

رواية

هبي .. والشرطان

بقلم / منال محمد سالم

فراشة أعلى الفرقاطة
(الجزء الثاني)

2018

رواية

هي.. والربان

بقلم / منال محمد سالم

فراشة أعلى الفرقاطة

(الجزء الثاني)

٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظة

لموقع

<https://www.facebook.com/LoveStories.by./ManalSalem>

قصص وروایات بقلبي منال سالم



نوع العمل: رواية

اسم العمل: هي.. والرؤبان (الجزء الثاني من فراشة أعلى الفارقة)

اسم المؤلف: منال محمد سالم

الطبعة الأولى (إلكترونية) ٢٠١٨

الناشر: موقع قصص وروايات بقلم منال سالم

التدقيق اللغوي: منال محمد سالم

تصميم الغلاف: منال محمد سالم

التصميم الداخلي: منال محمد سالم

جميع حقوق النشر الإلكترونية محفوظة لموقع قصص وروايات بقلم منال سالم

<https://www.facebook.com/LoveStories.by.ManalSale/m>

الجزء الأول

((فراشة أعلى الفرقاطة))

نشرت في عام ٢٠١٦

إهداء

"إلى زوجي وعائلي والقراء الأفاضل وكل من يدعمني للمضي قدمًا في
مسيرتي الروائية ... "

منال سالم

المقدمة

أَكْذُوبَةُ عَاشَتْهَا بِكُلِّ جَوَارِحِهَا،
وَحُفِرَتْ مَعَالِمُهَا فِي طَيَّاتِ ذَاكِرَتِهَا،
فَانْعَكَسَتْ سَلْبًا عَلَى حَيَاتِهَا..
وَيَبْنَ مَاضٍ قَدْ وَلَّى،
وَحَاضِرٍ قَدْ أَتَى
وَقَفَّتْ هِيَ ثَائِبَةً،
حَائِزَةً،
عَاجِزَةً،
حَتَّى عَنْ تَقْرِيرِ مَصِيرِهَا...
تُرَى هَلْ سَيَنْجَحُ رُبَانِيَّتَا فِي اسْتِعَادَةِ زِمَامِ أُمُورِهَا،
أَمْ سَيَغْرُقُ هُوَ الْآخِرُ فِي بُحُورِ أَحْزَانِنَا؟!

الفصل الأول:

خرجت من مخفر الشرطة متحفزة للغاية، لم تكن لتتركها تعيش حياة هائلة وهي مازالت تحملها الذنب في وفاة ابنها الوحيد، لم تقتنع بكونه قضاءً وقدرًا من المولى عز وجل، فهي بالنسبة لها الملامة الوحيدة فيما حدث لفقيدها الغالي، نظرت لها ابنتها باستنكار، فهي مثلها تعلم حقيقة الأمر، ولكنها لم تستطع إثناء أمها عن رأيه، هي أكثر عندًا مما ظنت، زفرت بضيق معاتبة إياها:

-برضوه عمليتي الي في دماغك يا ماما؟

نظرت لها "سميرة" شررًا، وأجابتها بامتعاض:

-ايوه، ومش هيهدي قلبي ولا يرتاح إلا لما أشوفها متبهلة، ومترمطة على الآخر!

حركت "كاميليا" رأسها رافضة تفكيرها العدواني، واحتجت قائلة:

-يا ماما هي ماتستهلش كده، والله حرام الي بنعمله فيها!

عنفتها سميرة بغلظة:

-بس اسكتي! ده لولا إنا عرفنا بالصدفة من جيرانها كان زمانا فضلنا على عمانا!

اعترضت عليها قائلة بإصرار:

-مش هاسكت! ده ظلم وافترى، ربنا هيحاسبنا!

نظرت لها سميرة بقسوة، وتابعت بصوت محتد:

-مالكيش دعوة، أنا أم مفترية اتحرق قلبها على ابنها، وهي رايحة تتمتع بشبابها!

أكفهرت ملامح وجهها أكثر، وأضافت بسخط:

بس كانت عملالي فيها حبيته المخلصة وهي ماصدقت إنه مات وراحت تتجوز بداله
في عدتها!

هتفت كاميليا مدافعة عن "فرح" بصوت جاد دون أن تطرف عيناها:

حقها يا ماما، وخصوصًا إنه.. إنه كان (مطلقها)...!!!

أظلمت نظرات الأخيرة بقوة ورغم يقينها بحقيقة الأمر إلا أنها رفضت التنازل عما ظنت
أنه حقها المشروع وتمادت في فعلها الأرعن دون النظر إلى عواقبه

.....

تململت بإجهاد كبير على الفراش، وشعرت بعظامها تن من قلة الحركة، كانت كمن
بذل مجهودًا مهلكًا لفترات طويلة فانعكس هذا على صحتها، وبتثاقل شديد بدأت تفتح
جفניה، أغمضتهما سريعًا لتعتاد على الإضاءة القوية بالغرفة أولاً، ورويدًا رويدًا بدأت
تبرز التفاصيل أمامها، حدقت حولها باندھاش غريب، هي ليست بغرفتها، هي في
مكان غريب عنها واسع ومريح، جدرانه مطلية باللون السكري الفاتح، وهناك نافذة
زجاجية عريضة على الجانب ينسدل عليها ستائر حريرية من نفس لون الغرفة، اعتدلت
في نومتها محاولة استيعاب ما دار مؤخرًا.

فأخر ما تذكره هو ذلك الحلم الوردى عن حفل زفاف مفاجئ لها أمام حشد غفير من
الناس، وهمس أسر لـ "يزيد" في أذنيها، نظرت إلى أصابع يدها متفحصة إياهم بنظرات
متفرسة، لم تكن ترتدي أي خاتم خطبة، وكانت هناك علامات لايرة طبية مغروزة في
رسغها، تجهمت تعابير وجهها، وبدأت في التركيز أكثر فيما يدور، هناك شيء مريب
بالأمر، والدتها لم تكن معها بالحلم العجيب، شيء ما في صدرها أشعرها بالمرارة والألم،

ابتلعت غصة عالقة في حلقها حينما جمعت خيوط الأحداث معًا، انقبض قلبها أكثر، وتهدج صدرها علواً وهبوطاً، ثم قبضت على طرف الغطاء بأصابعها بقوة.

اضطربت أنفاسها، وتجمعت حبات العرق الباردة على جانبي جبينها، مر سريعاً أمام مقتلتيها المتسعين شريطاً متلاحقاً ومتداخلاً لمشجرة عنيفة مع "يزيد" في سيارته، محاولة منه للاعتداء عليها لإرهابها، صدام شرس مع "هايدي" - طبيبتها النسائية - وتطاول بالألفاظ واليد منها، ثم تلقىها لذلك الخبر المفجع من "شيء" عن وفاة والدتها الغالية، هنا زادت حدة دقاتها، وبدت عاجزة عن التنفس للحظات، جاهدت لإخراج صوتها المحبوس في حلقها لعلها تستغيث بأحد.

لقد ماتت أمها دون سابق إنذار، تركتها بمفردها في تلك الحياة القاسية، اغرورقت عينها بالعبرات الغزيرة، وانسابت بلا توقف لتبلل وجهها كلياً، وفجأة خرج من صدرها شهقة عالية مصحوبة بصراخ متألم:

-لا، ماما!

لم تمر لحظات إلا وفتح الباب على مصراعيه لتلج بعض الممرضات للداخل، اهتمجت "فرح" وواصلت الصراخ بصورة هستيرية قائلة:

عاوذة ماما، فينها، هاتوهالي!

قيدت الممرضات حركتها، وحاولن تثبيتها في الفراش قبل أن تنهز وتنهز وتنفعل ما لا يحمد عقباه. هتفت إحداهن بصوت آمر:

-بلغني الدكتور انها فاقت وخليه يجي فوراً عندها

هزت أخرى رأسها ممثلة لأمرها المباشر وهي تقول:

حاضر!

وبالفعل ركضت المريضة إلى خارج الغرفة لتستدعي الطبيب النفسي المشرف على حالة "فرح" لتابعها فوراً.

.....

استند بكفيه على حافة شرفة منزله، وظل يراقب حركة المارة من الأعلى بشرود، بدا على وجهه علامات التعب والإرهاق وهو يزفر في ضيق، فرك وجهه بيده، ثم انحنى للأمام ليعود "بركات" بذاكرته إلى تلك الليلة التي أبلغته فيها زوجته سميرة بأمر خطير، كان كل شيء هادئاً إلا أن صراخها المذعور أفرعه وجعل الدماء تفر من عروقه، انتبه لصوتها المرتعد:

الحق يا بركات، إلحق ابنك!

هب واقفاً من جلسته المسترخية متسائلاً بفزع:

يا ساتر يا رب، ايه في ايه؟

أجابته "سميرة" بصوت شبه مرتجف:

-كريم اتصل وقال لي إنه هايتسجن واحتمال كبير يترحل لو ما اتصرفناش!

انقبض قلبه خوفاً على ابنه، وسألها مستفهماً:

طب ليه؟

ردت عليه بقلق جلي:

مراته عرفت بموضوع "فرح" وهددته!

ارتفع حاجباه للأعلى مصدوماً مما قالت، وهتف بارتعاد:

-ايه، هددته؟!

تابعت قائلة بعبوس خائف:

-ابنك محتاس ومش عارف يعمل ايه

ضرب كفًا بالأخر مرددًا بحيرة:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، هانتصرف ازاي دلوقتي؟!

ضافت نظراتها، ولمعت ببريق مخيف، ثم أجابته بجمود:

-مافيش قدامنا غير إنه يطلق "فرح"!

تجهمت قسماً وجهه لردها القاسي، وهتفت بنزق معنفًا إياها:

-يا سميرة حرام عليكي، "فرح" بنت ناس وأصول، والبنت شيلانا من على الأرض

شيل، نقوم احنا نجي عليها وآآ...

قاطعته قائلة بجمود وهي تشير بيدها:

-مافيش إلا كده، وإلا هاضيع ابننا!

هز رأسه مستنكراً اقتراحها، وردد قائلاً وهو يتحرك في الغرفة ذهاباً وإياباً:

-أكيد في حل ثاني!

تابعته بنظراتها القاسية، وهتفت بحدة:

-هو متجوز سعودية، يعني مواطنة مش واحدة أي كلام، هتهيدله ومش هایشوف

خير خالص، يطلق "فرح" الأول، وبعد كده نتصرف!!

توقف عن الحركة، ورمقها بنظرات ساخطة، ثم هتف بصوت محتد:

-ازاي؟ وهانقول لـ "فرح" ايه وأمها؟

ردت عليه ببرود:

-مافيش داعي يعرفوا!

نظر لها بحنق، وهتف مصدومًا من حديثها الغير منطقي:

-نعم، قصدك ايه؟

ردت عليه بصوت هادئ يناقض تمامًا حالة الخوف البادية عليها:

-بص هو هايعملك توكيل في السفارة وهيبتولنا هنا، واحنا بقى هنطلقها بموجب التوكيل ده!

استشعر بقلبه أن الأمر قد تم الترتيب له مسبقًا، وانزعج كثيرًا من ثقنها الواضحة وموافقتها على أمر مشين كذلك، حدج زوجته بنظرات صارمة مرددًا بتهكم:

-كده، بالبساطة دي!!

أجابته بإيجاز وقد لمعت عيناها:

-ايوه!

اغتاظ من استهتارها بالأمر وكأنه لا يستحق القلق، أضاف بحدة:

حطب يا ست يا تقيّة يا اللي عارفة ربنا كويس مفكرتيش إن "فرح" هيوصلها إعلام بالطلاق ده؟ ولا فكرك هاتكون عايشة في كوكب تاني ومش هتدرى باللي كريم ناوي يعمله؟

ابتلعت ريقها بتوتر قبل أن تجيبه بنبرة شبه مترددة:

-لا، ما احنا فكرنا في

ابتلعت كلماتها مترددة في إخباره بما اتتوت عليه، انزعج بركات من صمتها فهدر بها بتساؤل:

- في ايه؟ كملي يا سميرة!

أجابته بترقب:

- في إنا نبت إعلام الطلاق على عنوانا القديم!

اتسعت حدقاته مصدومًا من تفكيرها الشيطاني الذي خالف توقعاته، هتف مصدومًا من بين شفثيه:

- إتي بتقولي ايه؟

ردت مبررة فعلتها:

- ده الأسلم لينا وليها، وأهو بكده نضمن إنها مش هاتعرف مؤقتًا لحد ما ابنك ينزل أجازة ويبقى ساعتها يشوفله حل!

حدجها بنظرات احتقارية رافضة لما استباحته لنفسها، ردد بازدراء:

- حسبي الله ونعم الوكيل، بقي في تفكير كده! ده يرضي ربنا إزاي يا ناس؟!

ردت عليه بعدم أكثرأ بعد أن قطبت جبينها ليزداد عبوس وجهها:

- هو ده المتاح قدامنا!

ظل بركات يتمم بكلمات غاضبة غير مفهومة، فصاحت بصوت مرتفع لتجبره على الصمت:

- يعني إنت عاجبك أسيب ابني يتسجن ومانعرفش عنه حاجة عشان عيون الست "فرح"؟!

أدرك بركات أن جداله معها لن يفيد في شيء، فهي قد أعدت كل شيء مسبقًا،
ونقاشه بلا جدوى، نظر لها بضيق وهو يقول:

-إنتو أحرار! اصطفلوا!

وبالفعل أسرع سميرة في دفع زوجها لتولي إتمام إجراءات تطليق "فرح" غيائياً من
ابنها عن طريق التوكيل الرسمي، حدث كل شيء مثلما تمت بالتنسيق مع المحامي التابع
للعائلة، وتم إخفاء الأمر تمامًا عن "فرح" - بطرق غير شرعية وبالتدليس - لتسقط
عنها حقوقها المادية والمعنوية، ونجحوا في كتمانها لعدة أشهر، كما برع كريم في تمثيل دوره
كخاطب مغترب ومتربش بشغف ليوم عودته ليم إجراءات الزفاف، ولكنه ثوفي فجأة،
فانقلبت الأمور رأسًا على عقب، وفسد كل شيء.

فُجعت سميرة في ابنا وتناسست تمامًا جرميتها النكراء، وحملت الذنب كله لتلك المسكينة
المخدوعة فيهم، وما زاد الطين بلة قرارها بالذهاب للمخفر الشرطي لتحرر محضراً ضدها
تتهمها فيه بعقد قرانها خلال أشهر عدتها رغم عدم وجود عدة لها باعتبارها (مطلقة
دون حدوث خلوة شرعية مع زوجها الراحل)، نفص بركات عن عقله تلك الذكريات
المؤسفة مبدئياً ندمه القوي على إطاعة زوجته بإقدامه على فعل مشين كذلك، حاول
تعويض "فرح" مادياً مدعيًا أنه إرثها الشرعي لكنه يتذكر جيداً رفض والدتها له مما
صعب من الأمر كثيراً، لم يعرف طعم السكينة وعمد ضميره لتأنيبه ليل نهار، انتبه
لصوت زوجته المتذمر فالتفت برأسه نحوها، أزججه سبابها اللاذع لتلك التعيسة التي
تتحمل كل اللوم في شيء لم ترتكبه، لم تكثر سميرة بتوسلات ابنتها بالتوقف، لم
يتحمل المزيد فصاح بها:

-ركبتي دماغك وروحتي القسم؟!

حل الوجوم على قسماتها وهي ترد بشراسة واضحة في نظراتها:

-ايوه، زي ما إنت جريت على المحروسة أمها تديها فلوس من غير ما تقولي
هدر بها بصوت منفعل:

حقها، مش كفاية الذنب اللي عملناه فيها!

ردت مستنكرة بسخط أكبر:

-كسر حقها، هي تورثه عافية!!

ضاقت نظراتها أكثر وهي تتابع تبرير تصرفها الأرعن:

-الله يرحمه، كان مخنوق في غربته، مش عارف يراضي مين ولا مين، ضاقت في وشه!

وكان هايتسجن، أسيب ابني يروح في داهية عشان المحروسة دي؟!

اقتريت كاميليا من والدها، وربتت على ظهره برفق قائلة بتوسل:

-اهدى يا بابا، بلاش تتعصب، الضغط عندك بيعلى و....

قاطعها قائلاً بامتعاض وهو يرمق زوجته بنظرات مغلوطة:

-هو إئتو خليتو فيها ضغط، ربنا موجود!

لم تعباً سميرة به وأكملت عويلها قائلة وهي تضرب فخذيها بكفي يدها:

-آه، كبدي عليك يا حبيبي، روح وسبت كل حاجة في الدنيا!

انهمرت عبراتها تأثراً لرحيله فتابعت بنبرة حارقة:

-واللي بتدافع عنها راحت اتجوزت وعاشت حياتها

استشاطت نظراته من استمرارها في تصديق تلك الأكذوبة التي اختلقها فهدر بها

بغیظ:

-ارحمي نفسك، إتي وابنيك استغفلتوا الغلبانة دي وناسيين إن بنات الناس مش لعبة، ده احنا عندنا زينا

لوت ثغرها للجانب وهي ترد بنبرتها الباكية:

-يعني كان يعمل إيه؟

دنا منها زوجها، ونظر مباشرة في عينيها ليقول بجدية:

-كلنا شركا في الجريمة دي وهنتحاسب عليها يا سميرة، ربنا مايرضاش بالظلم، واحنا اقترينا جامد أوي!

بادلته نظرات متحدية وهي تكفكف عبراتها، تنفست بعمق متابعة:

-أنا مش فارق معايا ده كله، أهوو تحس شوية بالنار اللي جوايا! ده أنا أم يا ناس، أم!

.....

حالتها دلوقتي شبه مستقرة

قالها الطبيب بنبرة رسمية للغاية وهو يطالع المقدم "يزيد" الذي بدا وجهه مشدودًا ونظراته شارد، امتزج خوفه بقلقه عليها لكنه أخفى تعبيراته عن الجميع، تنفس بهدوء، ثم فرك طرف ذقنه برفق قبل أن يسأله بجدية:

-يعني هي فاقت وهترجع تتعامل معانا طبيعي؟

أجابه الطبيب بحذر:

صعب أحكم، هي لسه مقدرتش تستوعب الصدمة للآخر، بس اطمئن أنا متابعتها أول بأول!

كان حديثه منطقيًا بدرجة كبيرة، فهي لم تتعاف بعد من حالة الهروب النفسي التي لجأت إليها، ومن الطبيعي أن تثور وتجول فور إدراكها للواقع المرير، أخرج من صدره تهيدة تحميل الكثير من الأثقال والهموم، ثم ضغط على شفثيه قائلًا باقتضاب:

طبيب، شكرًا يا دكتور!

ابتسم الطبيب بتكلف وهو يرد:

-العفو، أنا في الخدمة

تابعه "يزيد" بنظراته القوية حتى انصرف من أمامه، فاستدار بظهره ليمسك بالمقبض ويلج إلى داخل الغرفة حيث ترقد حبيبته على فراشها، ضغط على شفثيه ليكتم آلامه التي يعانها وهو يراها في وضعيتها الغائبة تلك، أتعب قلبه فرارها الإجباري من الشعور بما حولها لتجعل عقلها يتخيل وقائع وهمية، بدت معه كأنها في رحلة ترفيهية تقضيها بعيدًا عن قسوة الحقيقة متوهمة أن والدتها لا تزال على قيد الحياة، اضطر أن يتعامل بحرفية مع حالتها بناءً على توصيات طبيبها النفسي، كما عاونه رفيقه "آدم" وزوجته "شيء" وابنتهما الصغرى سلمى في القيام بأدوارهم على أكمل وجه، لكنه في نفس الوقت لم يرد لفرارها في عالم اللاوعي أن يستمر للأبد خاصة، وأن الطبيب النفسي أبلغه بخطورة التمادي في المسألة إن ظلت محاصرة فيها لأكثر من هذان لذلك رتب لإبلاغها بحقيقة وفاة والدتها في خلوة خاصة بهما بعد أن اطمأن من تقبلها لوجوده في حياتها، ولكن أتت النتيجة عكسية، وتأزم الوضع بدرجة مخيفة مما استدعى نقلها للمشفى النفسي، تهدد بحزن واضح عليه، دنا منها يتلمس وجتها الناعمة بإصبعيه، انحنى على رأسها ليطلع قبلة صغيرة على جبينها وهو يهمس لها:

-كله هيبقى تمام!

اعتدل في وقفته ثم استدار برأسه للخلف ليبحث عن أقرب مقعد، سحبه بالقرب من فراشها وجلس عليه يطالعها بنظراته الحزينة، شرد في أول لحظة التقى فيها بها حينما تم إرسالها إلى وحدته لتتوب عن أحد الصحفيين، تذكر كيف عاملها بفضاظة وقسوة في بعض الأحيان لكونها فتاة، حاربها وشد من تصرفاته الجافة معها، لكنها أثبتت كفاءتها، وتسلمت إلى خلاياه رويدًا رويدًا فباتت "آدم" انه، تنهد مجددًا بحزن واضح عليه حينما استعاد مشهد شجاره المتهور معها بسبب زوجته السابقة، وكيف أخافها منه، لمعت عيناه تأثرًا من ظلمه لها، تنفس بعمق ليضبط انفعالاته ثم مد يده ليمسك بكفها، احتضنه بين راحتيه وقبله بشوق، رفع وجهه نحوها لينظر إلى قسماتها الساكنة بشروء، وضع يده الأخرى على رأسها يمسد عليه برفق قائلاً لها بتأكيد:

فترة وهاتعدي، أنا جيبك يا فراشتي !!

.....

الفصل الثاني:

مسح بنعومة على بشرتها قبل أن يتراجع بظهره للخلف لينتصب أكثر في جلسته الغير مريحة، أغمض "يزيد" عينيه مستعيدًا في ذاكرته ما حدث قبل وقت سابق عندما انتهت مراسم العرس واعتقد أن الأمور كلها قد مضت على خير، ودَّع "آدم" وزوجته بعد أن استقلا السيارة ليذهبا في طريقهما لتبدأ حياتهما الزوجية معًا، تشكل على ثغر "فرح" ابتسامة خجلة، وظلت تعبث بباقة الورد المسنودة على حجرها بارتباك ملحوظ، بينما لم تختفِ ابتسامته السعيدة عن محياه، وزع نظراته بينها وبين الطريق، بدا باله مشغولاً بسبب كيفية إبلاغها بما حدث لوالدتها، أتعبه إنكار عقلها لتلك الحقيقة المفجعة، ظل يفكر في طريقة تمكنه من ذلك تكون متضمنة أقل الخسائر.

بين جنبات نفسه أراد ألا يفسد روعة اليوم، ولكن لا مفر من الحقيقة، أخرجه من شروده الحائر صوتها الهامس وهي تقول بتنهيدة:

-كان نفسي ماما تكون حاضرة، أنا مش عارفة هي ليه مجاتش!

تحاشى النظر نحوها وهو يبتلع ريقه بصعوبة، حافظ على ثبات ملامحه الهادئة أمامها متسائلاً بحذر:

-هو إتي مش فاكدة هي راحت فين؟

أجابته برقة وهي تداعب الباقة المسنودة في حجرها:

-بصراحة لأ، حاسة إن في حاجة غلط، غياها المفاجئ ده قلقني!

حدق فيها بنظرات متفرسة دون أن يعقب على كلماتها التي شكلت خنجراً حاداً أوخر صدره بشدة، فإن أراد إخبارها برحيلها عن عالمهم الحسي عليه أن ينتقي الوقت

المناسب، والآن ليس بالجيد على الإطلاق، رغب أولاً في توطيد علاقته بها، خاصة أنها أصبحت زوجته وبعد برهة ستتلاحم روحهما سوياً، أكملت "فرح" حديثها قائلة بنعومة:

-أنا معرفش حاجة عنها من ساعة ما كنا في اسكندرية!

حركت "فرح" رأسها في اتجاهه لتضيف بعتاب:

-وقت الخناقة بينا! فاكّر؟

تهد "يزيد" بعرق وظل مسلطاً أنظاره على الطريق وهو يفكر بجدية في كيفية التصرف معها، حالة الهروب من الواقع التي تعيشها تؤرقه كثيراً، بل وشغلت كامل تفكيره، لاحظت هي شروده الدائم وصمته الذي طال، فسألته مستفهمة:

-مالك؟ ساكت ليه؟

رد عليها بخشونة قليلة:

-مافيش يا "فرح"

انتبه هو لصوت رنين هاتفه المحمول معلناً عن قدوم رسالة نصية، فمد يده ليلتقطه، ثم قرأ فخواها بنظرات سريعة، تضمنت الرسالة كلمات مقتضبة من رفيقه "آدم" توصيه بها، عاود قرأتها محدثاً نفسه:

-خلي بالك من "فرح"، بلاش تعرفها حاجة دلوقتي!

ضغط على شفتيه بقوة، ونفخ بضيق وهو يلقي بهاتفه على (تابلوه) السيارة، راقبت هي تصرفاته المريبة، وسألته وهي محدقة فيه بغرابة:

-مين؟

أجابها بفتور:

ده "آدم" ، بيحب يرخم كعادهتة عليا

لم تقتنع بإجابته، فتعاير وجهه توحى بالعكس تمامًا، ورغم هذا ردت باقتضاب:
-اوكي!

حركت "فرح" رأسها للجانب لتحقق في الطريق وتتأمل تفاصيله بشروء، لاحظت
تبدل وجهتها المعتادة للعودة إلى منزلها، فسألته بتعجب:

هو احنا مش رايجين على البيت؟

أجابها بجدية وهو يدير عجلة القيادة:

-لأ رايجين

أمعنت النظر في الطريق جيدًا، وردت معترضة:

-بس مش دي السكة!

ابتسم بألفة قائلاً:

ما هو احنا طالعين على بيتنا!

انعقد ما بين حاجبيها باستغراب مرددة بتعجب قليل:

-بيتنا؟!

هز رأسه بإيماءة خفيفة مجيباً إياها بهدوء:

-ايوه، عندي!

ارتبكت سريعاً من جملته المقتضبة، كما توردت وجنتاها بحمرة خجلة، وابتلعت ريقها
قائلة بهمس متلعثم:

-هاه، عندك!

غمز لها "يزيد" قائلاً بعث:

-إتي ناسية إن احنا متجوزين وعرسان جداد!

عضت على شفتها السفلى بجياء، وردت بنبرة مضطربة وهي تعبت بأناملها بالباقة:

-أها، بس كنت عاوزة أكلم ماما الأول، وأشوف هي فين و آآ...

قاطعها "يزيد" قائلاً بجدية:

-"فرح"!

حدقت فيه بتوتر مرددة:

نعم

مد "يزيد" يده ليمسك بكفها المختبي في حجرها، ثم جذبته نحو فمه، وقبله بعشق،

فارتجفت من لمسته، بادلها نظرات متيمة، وهمس لها:

-عاوزك متفكريش في حد خالص واحنا مع بعض، متفقين؟

هزت رأسها بخجل وهي تسحب كفها من بين يده:

-اوكي

ابتسم "يزيد" لزوجته، وردد بصوت رخيم:

-بأحبك يا فراشتي!

.....

جلست على طرف الفراش لتنزع حذاءها عن قدميها، ثم بدأت في فركهما بتمهل، كان

اليوم مرهقاً بالنسبة لها فقد تكفلت بإتمام الكثير، أطلقت آتات موجوعة وهي تدير

رأسها في وجه زوجها "آدم" الذي استرخى على الفراش، ضاقت نظراتها نحوه فرأته عاقداً لساعديه خلف رأسه ومحدقاً في سقفية الغرفة، هتفت "شيء" قائلة بقلق:

-أنا خائفة يا أندومي، مش مطمئة لي ممكن يحصل بعد كده!

رد عليها بفتور:

-يعني هأعمل ايه أكثر من اللي عملته؟ ما هو على يدك بعته رسالة أوصيه!

نهضت عن الفراش، وبدأت تنزع سحاب ثوبها للأسفل متابعة حديثها بنبرة متوجسة:

-شكلها مش مريحني خالص، ده ولا في بالها موضوع مامتها!

اعتدل "آدم" في نومته مسلطاً أنظاره عليها ثم رد بنبرة عادية:

ماهي مش على طبيعتها يا شيمو!

نزعت ثوبها عنها، وجذبت منامتها الحريية لترتديها، تهتت بعمق لتضيف بعدها:

-ربنا يستر!

تعلقت أنظار "آدم" بجسد زوجته، وجاب بعينه على قسماها المغرية، التوى فمه بابتسامة متسلية مردداً:

-يزيد واعى وهي عرف يتعامل زي ما أنا بتعامل

عاودت "شيء" الجلوس على طرف الفراش، وحدقت في زوجها قائلة بنبرة متعبة:

-كان نفسي نكون معاهم!

انتصب في جلسته، وحدجها بنظرات قوية مردداً بسخرية:

طب بدمتك ده ينفع؟ لأ وفي يوم زي ده، جرى ايه يا شيمو؟ خلي عندك فيلنج

(إحساس)

عbst بوجهها وهي تهف بعصبية قليلة:

-الله، مش قلقانة عليها!

دنا أكثر منها متفرسًا في مفاتها الأثوية باشتياق، مال على رأسها ليمس لها بعذوبة:

-بس إتي حلوة النهاردة!

لكزته "شيء" في كتفه بدلال لتزداد محبتها في قلبه، أشاحت بوجهها للجانب بعد أن فهمت مقصده اللاهي، وردت عليه بضيق مفتعل:

-يووه يا "آدم" ، وده وقته!

وضع "آدم" أصابعه على كتفها متحسسًا إياه برفق، ثم همس متسائلًا بمكر:

-أومال وقته امتي بالظبط؟

دفعته بقوة قليلة من صدره، وهبت واقفة من مكانها، نظر لها بضيق مبدئيًا انزعاجه من تصرفه، غمرت قائلة وهي تتغنج بجسدها:

-حاسب كده أما أشوف بنتك!

اغتاظ من تجاهلها له، ورد عليها بنبرة ممتعة:

-لومة في سابع نومة دلوقتي، ماحبكتش يعني!

زفرت بصوت مسموع، فنهض من مكانه، واقترب منها، ثم حاوطها من خصرها بذراعيه، فأصبحت محاصرة في أحضانه، نظر "آدم" مباشرة في عينيها، وتهدد قائلًا بحرارة:

-تعالى احنا نقول كلمتين كده على السريع

حاولت "شيء" تحرير نفسها منه، ولكنها فشلت، فقد تمكن منها كعادته، ثم هتفت بدلال:

-إنت فايق وتهزر؟!

ضمها أكثر إلى أحضانها صائحًا بجدية تحمل بين طياتها المرح:

يا بت خليكي ناصحة واستغلي الفرص، تعالي بقى! ده موضوع حيوي تقوم عليه حروب!!

.....

صف سيارته أسفل البناية التي يقطن بها، وأخفض رأسه قليلاً ليحرق في مدخلها، تلفتت "فرح" حولها بنظرات سريعة وشمولية محاولة اكتشاف المكان الذي أتت إليه معه، بدا التوتر الممزوج بالحنج واضحًا على تعبيراتها، لم يحالفها الحظ أن تراه من قبل، فقد حدث كل شيء بصورة سريعة للغاية، هي تعرفت عليه في فترة قصيرة، تعاملت معه بحذر لكن اندلعت شرارة الانجذاب بينهما رغم إنكار الاثنين لذلك في البداية، تودد هو إليها، وتطورت العلاقة بينهما من مجرد علاقة عمل رسمية إلى ارتباط شرعي في فترة زمنية محدودة، سيطر عليها إحساس داخلي بالخوف والقلق، فهي لم تعرفه جيدًا، ودومًا يتكرر الصدام بينهما في أي شيء، ومع ذلك هي تثق في حدسها الذي أنبأها بطيبته ورجولته، تذكرت كلمات والدتها عن شهامته وأخلاقه الكيسة ومدحها المتواصل له، فاستغلت ذلك في تشجيع نفسها على المضي قدمًا في حياتها معه، عفويًا ترجلت من السيارة لتحرك نحو أقرب مدخل للبناية الواقفين أسفلها، ولكنها استدارت برأسها للخلف حينما سمعت صوت "يزيد" يأمرها

-استني يا "فرح"!

ردت عليه متسائلة باستغراب:

-في ايه؟

اقترب منها بخطى متمهلة وهو يرمقها بنظرات رومانسية مطولة، ثم لف ذراعه حول خصرها، وانحنى بجذعه قليلاً للأسفل ليحملها قائلاً بخشونة محببة:

-هو يصح برضوه عروسة تدخل بيتها لأول مرة على رجلها؟!

شهرقت مصدومة من فعلته الجريئة، وتلفتت حولها بنجل بعد أن اكتسى وجهها بحمرة شديدة لتعابه بخوف:

-إنت بتعمل ايه؟

تقوس فمه بابتسامة عابثة وهو يجيبها:

-بأرحب بيكي

سار هو بها حاملاً إياها نحو المصعد الموجود بالطابق الأرضي، بينما ركلت "فرح" بساقها في الهواء قائلة باحتجاج نجل:

-يزيد، نزلي ما يصحش كده!

مال بجسده على مفتاح المصعد ليضغط عليه، ثم حلق فيها عن كذب مردداً بصوت خفيض:

-الله! قولها ثاني!

ردت عليه بحدة قليلة وهي تحاول إجباره على تركها:

-نزلي!

هز رأسه نافيًا وهو يصح لها:

-لا اسمي، يزيد!

يُست من تخليص نفسها منه، وردت بضجر بعد أن زاد شعورها بسخونة وجنتيها:
لو سمحت!

أمال "يزيد" رأسه على أذنها ليهمس لها متسائلاً بعتاب لطيف:
-ينفع الرسميات دي بينا!

عضت على شفتها السفلى بنجل كبير، فتابع بنبرة صادقة:
-بأحبك يا أحلى "فرح"ة في حياتي

اضطربت من تأثيره القوي عليها، وردت بنجل وهي ترمش بعينها:
-وأنا كمان!

فُتح باب المصعد على مصراعيه، فحدق كلاهما بصدمة في السكان الخارجين منه،
أطرقت "فرح" رأسها خجلاً بسبب ذلك الموقف المحرج، فمازال زوجها يحملها دون
أكتراث لمن حوله، لم تتبدل تعابير يزيد، بل ظل متشبثاً أكثر بها غير مهتم بنظراتهم،
تحرك بها للداخل بعد ابتعادهم، وضغط على زر غلقه، قاومته "فرح" محاولة إنزال
نفسها عنوة وهي تقول بضجر:

-عاجبك كده، الناس بتبصلنا وآآ....

قاطعها قائلاً بنبرة غير مبالية وهو يحكم قبضته عليها:

-ولا يفرقوا معايا، المهم إنتي وبس يا أجمل فراشة خطفت قلبي

أخفضت نظراتها خجلاً من غزله الصريح، بينهما أسبل هو عيناه نحوها متأملاً بشغف
واشتياق حياءها المثير لمشاعره المشتعلة بحبها.

.....

بعد لحظات خرج كلاهما من المصعد، فتوجه بها "يزيد" نحو باب منزله، رفض تركها حتى يلج بها للداخل، أنزلها برفق لتقف على قدميها، ثم لف ذراعه للخلف ليبحث عن مفتاح الإنارة ليضيء الصالة، تأملت "فرح" المكان بنظرات خاطفة. كان منمقًا ومرتبًا للغاية، أثاثه على الطراز الحديث، يخلو من أي لمسة أنثوية، فهو قد استبدل محتويات منزله بالكامل بعد أن انفصل عن "هايدي" - زوجته الأولى - ليبقى بمفرده فيه لسنوات متتالية،

شعرت بالخوف رغم إحساسها بمشاعرها العميقة نحوه، لكن التحول المفاجئ في حياتها أربكها كثيرًا، لا تعرف لماذا تحديدًا خالجهذا ذلك الشعور الآن، لكنها هكذا دومًا حينما تخوض تجربة جديدة عليها، ابتلعت ريقها بتوجس، وتنفست بعمق محاولة الحفاظ على ثباتها الانفعالي أمامه فهي اليوم مقبلة على مرحلة جديدة في حياتها، لاحظ "يزيد" شرودها، وكذلك اضطرابها، فاقرب منها، ثم انحنى برأسه على كتفها ليطلع قبلة ودودة عليه، فانتفضت فزعة في مكانها من حركته تلك.

ابتسمت بتكلف له، وهمست معذرة:

سوري، اتخضيت شوية

وضع يده على ظهرها ليضمها إلى صدره، ثم سألها بود وهو يشير بعينه:

-ايه رأيك في منزلي المتواضع؟

أجابته بابتسامة صغيرة:

حلو!

أضاف قائلًا بحماس وهو يتحرك معها:

لأن شاء الله هنعدل فيه حاجات كثير على ذوقك!

هزت رأسها متفهمة، فتابع متشجعاً:

-أنا غيرت أوضة النوم وجبت حاجة كده مودرن، يا رب يعجبك ذوقي!

عضت "فرح" على شفتها السفلى بارتباك كبير هامسة باقتضاب:

-اوكي!

غمز لها قائلاً بمكر:

-تعالى شوفها!

حاولت التملص منه قائلة بجدية:

-أنا عاوزة أشوف باقي البيت الأول!

جذبها من ذراعه إليه، وهز رأسه محتجاً:

-لا، مش وقته خالص!

خجلت من تلميحاته الضمنية، فابتسم لحياها، وأكمل متسلياً وهو يرمقها بنظرات ذات

مغزى:

-دي يا فروحتي أهم حاجة في البيت، والأولويات تقتضي نبدأ بيها!

وقبل أن تعترض عليه، أمسك بكفها، وسحبها منه خلفه، سارت "فرح" بخطوات

متعثرة بسبب ثوبها، وهتفت بضيق قليل:

-استنى بس!

التفت نحوها ليقول بابتسامة عريضة ونظراتها الشغوفة تطالعها بتلهف لتذوق طعم

السعادة من على شفتيها:

هنستنا احنا الاتنين جوا، يالا يا فراشة!

.....

قطمت قطعة كبيرة من البيتزا لتشرع في مضغها بشراهة قبل أن تسحب الحاسوب المحمول لتضعه على حجرها، ظلت تطالع ما يظهر على شاشته بتركيز شديد فلم تنتبه لنداءات زوجها لها، فرقع "أمير" ياصبعيه أمام وجهها لترفع رأسها نحوه وهي قاطبة لجبينها، سألها مهتماً:

-بتعملي ايه يا إيلي؟

أجابته زوجته "إيلين" بهدوء وهي تشير بعينها:

-باطبط كام حاجة كده في اللاب بتاع "فرح"

انزوى ما بين حاجبيه باستغراب من استحواذها عليه، هتف متسائلاً:

-وهو بيعمل ايه معاك؟

عبثت بخصلات شعرها ونفضتها للخلف، ثم أجابته دون تردد:

-يزيد جوزها ادهوني عشان التقارير اللي كانت كتبها فيه

هز رأسه متفهماً فتابعت موضحة:

-المفروض كانت تسلمها من فترة، ومستر عبد السلام سأل عليهم!

أكمل متسائلاً:

-واتي بتكملي شغلها، مضبوط كده؟

هزت رأسها نافية وهي تقول:

-لا، هي عاملة كل حاجة، ومجهزة التقارير، بس أنا بأرتبهم على حسب الأولوية و...

قاطعها مشيراً بكف يده:

-تمام

نظرت له بأعين لامعة، ثم أخفضت نبرة صوتها لتبدو رقيقة وهي تضيف:

-معلش يا حبيبي، ربع ساعة وهاكون معاك

فرك أمير مؤخرة رأسه قائلاً:

-براحتك يا إيلي، وأنا هابص على مارسيل وأرجعلك

أرسلت له قبلة في الهواء قائلة بابتسامة مشرقة:

-بأحبك

ابتسم لها زوجها بود وتركها تكمل عملها دون مقاطعة أخرى، فعكفت هي على إنهاء

ما بدأته في أقرب وقت مدعمة تلك المقالات الصحفية بما التقطته عدسات رفيقتها

الاحترافية من لقطات مميزة، أبدت إعجابها بمهارتها قائلة:

-برافو يا "فرح"، طول عمرك شاطرة!

.....

توقفت عند عتبة غرفة النوم مترددة في الدخول، حاولت أن تشتت تفكيرها المتوتر

في تأمل الأثاث الأنيق الذي امتاز بألوانه الداكنة، تحركت أعينها نحو الفراش فتجمدت

نظراتها عليه، إنه ذلك الشيء الذي سيجمعها بزوجها بعد دقائق، ارتجف بدنهما من

مجرد تخيل الوضع، لوهلة شردت في كلمات "كريم" المعسولة لها وهو يداعب أذنيها

بمعسول الكلام، كان جيداً في ذلك، نفضت عن عقلها جبراً ذكراه، وعاتبت نفسها

لتفكيرها فيه بعد زواجها من غيره، تابعها "يزيد" من الخلف بنظرات فضولية، لم يقاطع

تأملها الذي طال لكنه ضجر من الانتظار، دنا منها بخطوات متمهلة وهو يسألها بهدوء:

ها عجبك الأوضة؟

انتبهت لصوته ورسمت على ثغرها ابتسامة مرتبكة وهي ترد:

-ايوه، حلوة!

سلط أنظاره عليها متابعا بغزل صريح:

-بس مش أحلى منك!

وقف قبالتها ومد يده ليلتقط كفها بيديه، ارتعشت قليلاً من لمساته الحذرة ونظرت له بتوتر، تقوس فمه للجانب بابتسامة سعيدة، ثم سحبها إليه ببطء حتى باتت شبه ملتصقة به، تنهد قائلاً بنبرة تحمل المزيد من الأشواق:

-أخيراً اتقفل علينا باب واحد!

ابتسمت له بجيأ له مسبلة عينيها نجلاً منه، نظر لها بتمعن أكثر، ومال برأسه نحوها محاولاً نيل أول قبلة من على شفثيها، لكنها سحببت يديها فجأة من قبضتيه لتفسد عليه الأمر، انسلت من بين أحضانه قبل أن يتأدى معه قائلة بتلعثم نجل:

-اليوم كان لطيف

حدجها بنظرات شبه مغتاظة من فرارها العابث منه، وضغط على شفثيه بقوة ليقول:

-ه، كان ظريف وخفيف

أولته "فرح" ظهرها، ولفت ذراعيها حول نفسها محاولة بث شعور الاطمئنان لنفسها المضطربة، وقف "يزيد" خلفها ثم طوق خصرها بذراعيه ليحاصرها بداخل أحضانه، أسند طرف ذقنه على كتفها، واقترب بفمه من أذنها ليمس لها بعشق:

-مش هاتهرني مني يا فروحة!

قشعريرة لطيفة داعبت بشرتها، فارتكبت أكثر وحاولت التخلص منه، أحكم قبضته عليها جيدًا كي لا تفلت منه، وتابع قائلاً بصوت خفيض للغاية:

حبك ليا إجباري، مش اختياري!

تسارعت دقات قلبها من نبرته المؤثرة، شعر بتهدج أنفاسها واضطراب حركة صدرها، فتدفق الأدرينالين المتحمس في خلاياه وازداد رغبة في التعبير عن مشاعر حبه لها، تملكها أحاسيس مختلفة في آن واحد، ما بين الرغبة والشوق، الحب والخوف، التردد والإقدام، شعرت بسخونة تلهب وجتها وهو يطبع قبلة صغيرة عليها ليشعل أتون مشاعرها، سرت قشعريرة استمتاع في خلايا جسدها، أدارها ببطء نحوه دون أن يفلتها، وحقق فيها بنظرات مليئة بالعشق، مال عليها "يزيد" أكثر ليطبع قبلة أخرى ولكن على شفيتها، أغمضت عينيها مستسلمة لتأثير المشاعر الغريبة التي اجتاحتها وعصفت بكيانها، ظل يعمق من قبلاته لها بعد أن استشعر تجاوبها معه، للحظة اقتحم عقلها طيف صورة والدتها، فابتعدت فجأة عنه لتقول بصوت شبه لاهث:

-يزيد، أنا عاوزة أكلّم ماما الأول!

تصلبت عروقه وتخشّب جسده من جفائها الغريب، لم يكن راغبًا في إفساد ليلته معها، فرد بجذر:

-"فرح" مش هارينفع دلوقتي، خرينا نركز في

قاطعته بإصرار وقد عبست بوجهها:

-لأ، قلبي مشغول عليها

حاول إقناعها بالعدول عن تلك الفكرة فرفضت الانصياع له، وقف يطالها بنظرات حائرة يفكر فيما سيفعله معها، شعرت بالريبة من تجنبه المتعمد لكل ما يخص والدتها، كذلك أثار حفيظتها تحججه بأعذار واهية ليمنعها من مهاذلتها حتى، عاندته مرددة:

مش هاسم أي حاجة منك، خليني أكلها الأول، ولا أقولك أنا هاروحها
همت بالتحرك فاعترض طريقها بجسده قائلاً بجدة:

-استني يا "فرح"

نظرت له بجدة وهي تقول:

لو سمحت خليني أعدي

حسم أمره بالبوح بكل شيء، فإن استمر في إخفاء الأمر عنها سيعتقد كل شيء،
سحب نفساً عميقاً لفظه دفعة واحدة، جمد أنظاره عليها قائلاً:

طب اقعدي الأول

تسمرت في مكانها رافضة التحرك مما دفعه للإمساك بها من رسغها لإجبارها على
الجلوس على طرف الفراش، زفرت بصوت مسموع وانتظرت بترقب حديثه الغامض،
فرك طرف ذقنه عدة مرات ثم أشار لها بسبابته موضحاً:

-أنا عاوزك تبقي فاهمة إنك أغلى حد في حياتي، صعب أسيبك أو حتى أفرط فيكي
قطبت جبينها وهي تطالعه بنظرات غريبة، جثى "يزيد" على ركبته أمامها، والتقط كفها
بيده ليداعب أصابعها برفق، استصعب الأمر كثيراً فاستجمع شجاعته ليقول بجدية
تامة:

- "فرح"، مامتك الحاجة فوزية...

توقف عن إتمام جملته عاجزاً عن الاعتراف بحقيقته وفاتها، تنفس مجدداً ببطء ثم ضغط
على شفثيه متابعا بترقب متوتر:

ماتت

تجمدت أنظارها عليه ولم تبدو متأثرة بما قالته، ظنت أنها مزحة سخيفة منه يرددها على مسامعها ليزعجها فهتفت بلا تفكير تعنفه:

-إنت تهزر؟

سلط عينيه على تعبيرات وجهها المتشنجة مبتلعًا ريقه بتوتر، تابع قائلاً بتوجس وقد شعر ببرودة كفها:

-أنا مكوتنش عاوز أقولك، بس مش مستحمل أشوفك كده ومش هاستنى إنك تفكري إني مانعك عنها

هبت واقفة من جلستها لتصرخ فيه بانفعال طفيف:

-دي نكتة بايخة على فكرة!

نهض واقفًا من مكانه ليمسك بكفها الآخر رافضًا تحريرها وهو يقول بنبرة جادة:

-لا، للأسف دي الحقيقة اللي إتي مش عاوزة تصدقها

استشعرت جدية حديثه فانقبض قلبها بقوة، ارتجفت أطرافها من مجرد التفكير في احتمالية صدق ما قاله، دق قلبها بعنف وهي تعاتبه:

-يزيد بلاش تخوفني، أنا مش بأحب كده

سحبها إلى أحضانه ليضمها بقوة ليحتوي انفعالاتها قبل أن تطفو على السطح، همس لها مؤكدًا:

حبيبتي، هي دلوقتي في مكان أفضل، ادعيها بالرحمة

تهدجت أنفاسها على صدره وشعرت بأن روحها تقتلع منها، استعاد عقلها سريعًا مشاهدًا متداخلة من لحظات معرفتها بوفاتها، بدأت الصورة تتضح تدريجيًا، لم تكن أوهامًا، هي رحلت بالفعل، تجمعت العبرات سريعًا في مقلتيها مع اكتمال معرفتها بالحقيقة،

اعتصر فؤادها ألماً لفراقها الأبدي، وانتابتها نوبة من الصراخ الباكي فشدد "يزيد" من ضمه لها، توسلها قائلاً:

عشان خاطري اهدي، ماينفعش اللي بتعمله ده!
تضاعفت أحزانها بفجيعتها فيها، تشنجت بجسدها صارخة:

ماما! ليه سبتيني لوحدي؟ ماما!
أرخی ذراعيه عنها ليحتضن وجهها بكفيه، حلق مباشرة في أعينها الباكية هاتفاً بـرجاء:
حببتي، اهدي، ده قضاء ربنا!

وضعت كفها على يديه محاولة انتزاعها عنها وهي تصرخ فيه بجنون:
-بعد عني، أنا عاوزة أروح لماما

رفض تركها متفهماً حالتها الغير طبيعية، نظر لها بإشفاق وهو يرد:
-لا مش هاسيبك، إنتي مش في وعيك والصدمة كبيرة عل.....

أجبرته على قطع عبارته بصراخها القائل:
-إنت السبب، إنت اللي موتها!

اتسعت حدقاته مدهوشاً من كلماتها الخطيرة، استخدمت قواها الغاضبة لتدفعه عنها متابعة بتشنج:

-إنت اللي عملت فيها كده، أنا افكرت كل حاجة!
أحزنه تلمييحها الصريح وابتلعت ما قالته بمرارة، تعامل مع انفعالاتها المهتاجة قائلاً بحذر:
-أنا مقدر اللي إنتي فيه، بس صدقيني أنا...

وضعت يديها على أذنيها لتمنع نفسها من الإصغاء إلى صوته وتابعت بصوت لاهث:

ليه حرمتني منها؟ ليه؟

فاقت الحقيقة الموجعة قدرتها على الاحتمال وضاعف من تأثير ذلك عليها، لم يتمكن عقلها من الصمود كثيراً والمقاومة، أتعبها تذكر كل شيء، اجتمع في عقلها كل الذكريات الحزينة التي أضنت قلبها، ظلت تصرخ بصورة هستيرية حتى بدأت قواها تخبو تدريجياً، شعرت بالظلام يغلف عينيها بقوة، فاستسلمت له وغابت عن الوعي رغماً عنها، تهاوى جسدها فأسرع "يزيد" بإسنادها قبل أن تسقط وترتطم بالأرضية، رفعها إليه حاملاً إياها ثم وضعها برفق على الفراش، ركض باحثاً عن هاتفه المحمول، عبث بأزراره قبل أن يضعه على أذنه ليقول بعدها بخوف بائن في نبرته:

آدم تعالى عندي بسرعة، "فرح" عرفت بالحقيقة !!

.....

الفصل الثالث

استعان به ليكون إلى جواره حينما تأزم الوضع لديه، فقد كان انهيارها وشيكاً وهو خشي من عدم قدرته على التصرف، لم يتردد رفيقه "آدم" في الحضور إليه أو دعمه، هاتف "يزيد" الطبيب الذي أتى خصيصاً للكشف عليها، ووقف يترقب خروجه من داخل غرفة النوم، بالطبع لم يكن ليتركه بمفرده فقد بقيت "شيء" معه تعاونه إن طلب منها شيء ما، تهدد قائلاً بضيق وهو يدير رأسه في اتجاه باب الغرفة المغلق:

أنا بجد ما بقتش فاهم حاجة

رد عليه "آدم" بهدوء:

- "فرح" بقالها كام يوم متغيرة، وانت بنفسك لاحظت ده

ضغط على شفتيه قائلًا باحتجاج:

بس مش للدرجادي، احنا ملحقناش نعمل حاجة أصلاً

وضع "آدم" يده على كتف رفيقه يربت عليه وهو يضيف:

اصبر عليها شوية، دلوقتي يطالع الدكتور يقولنا مالها

زفر بصوت مسموع وهو يدس يديه في جيبي بنطاله، لحظات وخرج الطبيب من

داخل الغرفة فانتصب "يزيد" في وقفته متسائلاً بتلهف:

خير يا دكتور

حك الطبيب مقدمة رأسه بإصبعيه مردداً بهدوء معتاد:

زي ما توقعت بالضبط، المدام بتعاني من حالة نفسية ممكن نقول عليها مجازاً الهروب

من الواقع

سأله "آدم" بعدم فهم وهو ينظر له بغرابة:

ده اللي هو ازاي؟

التفت برأسه نحوه ليجيبه بنبرة علمية:

بمعنى أحياناً الإنسان نتيجة التعرض لصدمة عصبية حادة لو مقدرش يتجاوزها إنه

يلجأ لإنكار الحقيقة دي ويتعايش على إن الموضوع محصلش من الأساس

سأله "يزيد" بجدية واضحة على تعبيراته:

بس ده ممكن يعمل مشكلة بعدين

أوماً الطبيب برأسه بالإيجاب موضحاً:

-بالظبط، وده اللي حصل مع المدام، هي توهمت إن والدتها لسه عايشة، وماتقبلتش حقيقة موتها، وتعاملت مع الوضع من المنطلق ده، إنها هاتشوفها وهي موجودة، ولما تم مواجهتها بالحقيقة ماستحملتش

شرد "يزيد" يفكر بتعمق فيما قاله للحظات ليفيق سريعاً منه على سؤال رفيقه:

طب والعمل ايه دلوقتي؟

أجابه دون تردد:

-لازم تنقل مستشفى متخصص يقدر الدكاترة فيه يأهلوها على الأقل الفترة الجاية بحيث تتقبل الوضع ومايحصلش انتكاسة، في بعض الأحيان الموضوع ممكن يوصل لمضاعفات

ارتفع حاجي "آدم" للأعلى مردداً باندھاش:

-للدراجادي؟!

أوضح الطبيب خطورة الموقف قائلاً:

-يا فندم الطب النفسي ليه دوره المهم حالياً، وكثير من المشاكل اللي بتحصل بسبب الجهل بده

مد "يزيد" يده ليصافح الأخير قائلاً بجدية وقد عبست قسماته:

طبيب، أنا هاتصرف، شكراً يا دكتور

بادله المصافحة مبتسماً وهو يقول:

-العفو، وأنا في الخدمة!

.....

لاحقًا استجاب "يزيد" لتوصيات الطبيب وقام بإيداع "فرح" في أحد المشافي النفسية الحديثة للتعامل مع وضعها الحالي، ولازمها لأغلب الوقت رافضًا التخلي عنها، ورغم فساد عطلته الزوجية إلا أن رغبته في تماثلها للشفاء كانت الأهم، أخرج تهيدة حزينة من صدره تحمل الكثير من الهموم وهو يعود بذاكرته إلى الوضع الحالي، رمقها بنظرة أخيرة قبل أن ينحني على رأسها ليقبلها، خرج من الغرفة لينتظر خارجها محاولاً ضبط انفعالاته، فقد أتعبه رؤيتها على تلك الحالة الراضية للواقع، وخشي من استمراره معها، شعر بأنه مكتوف الأيدي عاجزًا عن التصرف، أتت رفيقتها المقربة "إيلين" لرؤيتها فتوسم خيرًا من قدومها، علما زيارتها تفيد في تحسن حالتها، أنهت من زيارتها لها والحزن يكسو تعبيراتها، مسحت العبرات العالقة بأهدائها لتقول بنبرة آسفة وهي تغلق الباب خلفها:

حبيبتي، قلبي كان حاسس إن في حاجة مش مضبوطة فيها
نظر لها "يزيد" دون أن يعلق عليها، فتهدت قائلة بحزن معاتبة نفسها:
-أزاي محدثش بس بالي منك يا فروح!
رد عليها بضيق بائن:

محدثش فينا كان يعرف، كلنا فكرنا إن تصرفاتها عادية!
اعتقدت أنه سيتعامل معها بخشونة بحكم بعض المواقف السابقة بينهما، فرفعت رأسها لتطالعه بنظرات متعشمة وهي تستعطفه:
سيادة المقدم، أنا بأرجو من حضرتك إنك تكون حنين معاها وتتفهم اللي.....
فهم تلميحها فأشار بكفه مقاطعًا بجدية:

يا أستاذة اطمني، دي مراقي مش حد غريب، فمش محتاج حد يوصيني عليها
هزت رأسها عدة مرات متابعة بتوضيح:
أنا عارفة، بس اللي "فرح" شافته واتعرضلته مش قليل وخصوصًا إنها مرت بأزمة
نفسية كبيرة لما مات كريم وكان صعب عليها أوي!
حل الوجوم المصحوب الانزعاج على تعابير وجهه الصارمة بعد ذكرها لاسمه، لاحظت
تبدل ملامحه سريعًا فتنحنحت قائلة بحرج:
أحم.. أنا أسفة مقصدش، بس هي كانت بتجبه ومتعلقة فيه أوي، كان بالنسبالها
لم يزد حديثها إلا سوءًا، فأغاظه حديثها المسترسل عن حبيبها المتوفي وجعله يبلغ ذروة
ضيقه في لحظات، لم يتحمل المزيد من الترهات عن علاقتها السابقة فصاح مقاطعًا
بعصبية:
تمام، ممكن نقفل على السيرة دي
استشعرت تصرفها الخاطئ فردت باقتضاب:
حاضر
فركت حقيبة يدها بأصابعها مدركة تسرعها الأهوج في الحديث عنه، عمدت إلى تغيير
الموضوع قبل أن يتأزم الأمر لكن منعها من التطرق إلى شيء آخر وصول رفيقه الآخر،
اعتذرت بلباقة قبل أن تنصرف قائلة:
إن شاء الله هاجي ثاني أشوف "فرح" وأطمئن عليها
حرك "يزيد" رأسه بالإيجاب مرددًا بامتنان:
شكرًا يا مدام إيلين على تعبك ووقفك معاها
ابتسمت قائلة بود:

على ايه بس ؟ دي أكثر من أختي!

راقبها "يزيد" حتى ابتعدت عنهما فزفر مع نفسه بضيق واضح، لم يستطع إخفاء انزعاجه البادي عليه بسبب حديثها عن حبیبها الأسبق، تلون وجهه بحمرة غاضبة أثارت انتباه "آدم" الذي طالعه بنظرات متفرسة وهو يسأله:

مالك ؟

أجابه بصوت محتد:

-أنا مخنوق وعلى أخري

من ايه ؟

ضاقت نظراته واحتدت وهو يرد محذراً:

مش طالبة معايا تحقيق

رفع كفه أمام وجهه متراجعاً عن سؤاله:

خلاص يا سيدي!

سحب "آدم" نفساً عميقاً لفظه دفعة واحدة وهو يعيد سؤاله باهتمام:

قولي ناوي على ايه بعد كده ؟ وبعدين إنت المفروض أجازتك أد ايه ؟

نظر له شزراً وهو يرد بهكم:

هو كان في أجازة أصلاً؟!

حك "آدم" مؤخرة رأسه موافقاً إياه في رأيه قائلاً:

في دي عندك حق

تابع "يزيد" قائلاً:

أنا هاجم نفسي وهارجع الوحدة

سأله رفيقه بجدية:

طيب و"فرح"؟

التفت ناحية باب غرفتها بالمشفى ليطلعه بنظرات شاردة قبل أن يجيبه:

مش عارف لسه، بس أكيد وجودها هنا هيفيدها!

فكر "آدم" في أمر ما لكنه لم يرتب لحدوثه بعد، ورغم ذلك اقترحه عليه على أي حال، هتف قائلاً:

-ايه رأيك لو خليتها تقعد مع "شيء"

بدا حديثه مبهمًا وإلى حد ما غامضًا، فردد بجدية:

مش فاهمك، وضح كلامك شوية!

تابع "آدم" وهو يشير بيده:

قصدي يعني "فرح" محتاجة تغير جو، وهي بترتاح مع مراتي وسلمي، واللاتين مش هيتأخروا عنها في أي حاجة، غير إن "شيء" زي ما إنت عارف اجتماعية وتعرف طوب الأرض ف....

قاطعه "يزيد" هاتفًا بضجر:

مش لما تفوق من اللي هي فيه الأول

ربت "آدم" على كتفه صائحًا بحماس:

إن شاء الله هاتبقى كويسة، خليك متفائل، هي مش أول حد يتعب!

لوى ثغره قائلاً بتنهيده متعبة:

ربنا يسهل!

.....

عاتبها زوجها لتصرفها الأرعن للإشارة عن زوج رفيقتها المتوفي وما له من تأثير سلبي في النفوس مع زوجها الحالي، ورغم صدق نواياها إلا أن "إيلين" رفضت تحمل اللوم ودافعت عن موقفها مبررة:

ماهو لازم يعرف عشان يقدر الظرف

صف أمير سيارته بجوار مقر جريدة الضحى ليدير رأسه في اتجاه زوجته وهو يتابع بتعنيف رقيق:

-وهو الراجل اتأخر عنها، بس مايصحش برضوه يطلع الكلام ده منك زمت شفتيها قائلة بتبرم:

-يووه، أمير إنت عاوز تطلعي غلطانة وخلاص أشار لها بحاجبيه موضحًا:

-أنا بأقولك الحقيقة ولازي تعرفي إنك اتسرعتي هزت كتفيها مرددة بعبوس:

-أهو اللي حصل!

تهد مضيقًا بهدوء:

-عمومًا هنتكلم بعدين، أما تخلصي عرفيني وأنا هاعدي أوصلك تحولت نظراتها العابسة إلى الإشراف وهي ترد بحماس:

واو، إيه الدلع ده كله؟

غمز لها بطرف عينه هامسًا بنبرة ذات مغزى:

مش مراتي

بادلته نظرات والهة وهي ترد بصوتٍ خفيض:

حبيبي يا ميروو

لفت أنظاره تجمعًا لبعض الأفراد ممن يرتدون الزي الشرطي، ساط أنظاره عليهم متسائلًا باستغراب:

إيه ده؟

التفتت برأسها للجانب لتحقق فيما ينظر إليه، تعجبت هي الأخرى من وجودهم، ثم ردت قائلة:

مش عارفة، هاروح أشوف

ترجلت من السيارة سائرة بخطوات متعجلة نحوهم وهي تلقي بحقيبة يدها على كتفها، دفعها فضولها للاقتراب منهم لتفهم ما يدور، وصل إلى مسامعها صوت أحد الموظفين وهو يرد بجدية:

لا مجاش النهاردة، الأستاذة في أجازة جواز

ظنت بجدها الصحفي أن للأمر علاقة بـ "فرح"، فمعظم حديثهم المقتضب يشير إليها تحديدًا، انخرطت بينهم متسائلة بنزق وكأنها تفكر بصوت مسموع:

هما يسألوا عن مين؟

أجابها زميلها دون تردد:

عن الأستاذة "فرح" عبد الحميد

كتمت شهقة مصدومة خرجت من جوفها ليدها قبل أن تتمالك نفسها لتسأل أحدهم
بتخوف واضح في نبرتها:

ليه في حاجة؟

تفرس الضابط في تعبيراتها القلقة باهتمام كبير، رد عليها بتساؤل جاد:

إنتي تعرفي مكانها؟

أجابته وهي تبتلع ريقها:

أيوه، بس ليه؟

قست ملامح وجهه وهو يرد بجمود:

في أمر ضبط وإحضار ليها!

اتسعت حدقتها على الأخير مصدومة مما سمعته، رفيقتها الأقرب في موضع اتهام دون
أن تعرف الأسباب، وقبل أن تفيق من ذهولها الصادم تابع الضابط محذراً بجدية مخيفة:

ويا ريت يا أستاذة توصلينا ليها وإلا هانعتبر سيادتك بتتستري عليها

ارتجف بدنها من تهديده الضمني، فردت بفزع:

إيه؟!!!!

.....

أعد عدته للرحيل والعودة إلى وحدته العسكرية، لكن قبل أن يسافر قرر "يزيد" أن
يقوم بزيارة أخيرة لها، سبقه إليها صديقه "آدم" وزوجته، ألقى الجميع عليها نظرات

حزينة لكن بعثت ابتسامة "شيء" التفاؤل في الأجواء وهي تخرج عن الصمت المشحون بالألم مرددة:

خلاص يا جماعة، دي مش آخر الدنيا، بكرة هاتروق وتحلى هتف "آدم" بمرح وهو يشير لزوجته بنظراته:

مش هنوصيكي عليها يا شيو

عبست بوجهها بضيق زائف وهي ترد:

دي أختي، وحقها عليا!

عادت ابتسامتها الصافية تلوح على ثغرها وهي تكمل بنبرة متحمسة:

ده غير بقى إن لومة هات "فرح" أوي لما تلاقيها وسطنا وأعدة معانا

رد عليها "آدم" مؤكداً:

اه طبعاً، ماhtصدق، بنتي وأنا عارفها!

التوى ثغر "يزيد" للجانب معلناً عن ظهور ابتسامة باهتة على محياه من حديثهما المرح، كان بحاجة إلى مثل تلك الأجواء لتخفف من حدة التوتر السائدة، لم يدم الأمر طويلاً فقد اقتحم الغرفة الطبيب المعالج لها، التفت ثلاثتهم نحوه وهو يقول بجرح:

سيادة المقدم

طالعه "يزيد" بنظرات ممعنة متعجباً من طريقته المريبة في النظر إليه، سألته بنبرة خشنة وجادة:

في ايه يا دكتور؟

أطرق رأسه بجرح واضح وهو يجيبه بتلعثم:

أنا مش عارف أقول إيه، بس.. ممكن كلمتين برا

تضاعفت ريبتة من طريقته الغريبة في الحديث، فاقترب منه متسائلاً بحدة طفيفة:

في ايه؟

فتح الباب على مصراعيه ليظهر في الخلفية عدد من الضباط وبعض الأفراد فمرر "يزيد" أنظاره عليهم، أكتست تعبيراته بالاندهاش والحيرة، هتف أحد الضباط قائلاً بنبرة رسمية

من غير لف ولا دوران، معانا أمر ضبط وإحضار للمدعوة "فرح" عبد الحميد فرغلي! حل الدهول على قسماته المشدودة، وبرزت مقلته في محجرهما وهو يرد مصدوماً:

نعم؟!

.....

الفصل الرابع

استقبلها رئيس الجريدة في مكتبه لتناقشه في تلك المسألة الحرجة قبيل انصراف القوة الأمنية بلحظات لكونها تمس أمهر الصحفيات فيها، أصغى لشكواها باهتمام كبير دون أن يقاطعهما، نهض "عبد السلام" واقفاً من مقعده ليدور حول مكتبه، وقف قبالة إيلين ليستأنف حديثه الجاد قائلاً:

-اطمني، احنا مش هانسيبها، وارد إن يرتفع قضايا ويتعمل محاضر ضد الصحفيين بتوعنا، لكن احنا في ضهرهم

لمعت نظراتها بحزن واضح وهي تضيف مبررة:

مستر عبد السلام، "فرح" بتمر بأزمة نفسية صعبة، وحضرتك شايف شغلها عامل ازاي!

أشار لها بسبابته قائلاً:

-أنا مش محتاج لشهادتك عنها، أنا واثق منها

تنفست الصعداء لكونه يشكل دعماً قوياً لأمثالهم من الصحفيين المجتهدين، هتفت قائلة بامتنان حقيقي:

بجد ميرسي أوي يا مستر عبد السلام على وقوفك معنا
تابع مضيئاً بجديّة:

-أهم حاجة خليكي جمبها، وأنا هاكون معاكي على اتصال مباشر، وإن شاء الله مش
هاسمح إنها تتحبس، هاطلعهما معاً اتكلف الموضوع
أومات برأسها عدة مرات وهي ترد مبتسمة:
-اوكي يا مستر، ويا ريت متوصلش لكده!

استأذنت بالانصراف لتتوجه فوراً إلى المشفى النفسي لتلحق بالضابط الذي سبقها
إلى هناك لتكون حاضرة وتبلغ رئيسها بالجديد أولاً بأول.

.....

اعتلى ثغرها ابتسامة متشفية بعد إنهاؤها لتلك المكالمات الهاتفية مع أحد أقربائها من ذوي
الصلات القوية، أوصته باستخدام نفوذه الشخصي للتأثير على القائمين بالتحقيق في
المحضر المقام ضد "فرح" ليعجل بإلقاء القبض عليها، ورغم المخاطر المحدقة بتلك الخطوة
الجريئة منها إلا أنها لم تعباً بتبعات فعلتها، جلست "كريمة" باسترخاء تام على الأريكة
متطلعة أمامها بنظرات متشوقة لإفشاء حقدّها في تلك التعيسة، نظرت لها كاميليا
بعتاب وهي تقول:

-والله يا ماما الموضوع ده هايقلب بمشاكل
لوت أمها ثغرها بتأفف واضح فتابعته موضحة خطورة الموقف:
صدقيني إنتي اللي هاتضري فيها، مكانش ليه لازمة ده كله

نظرت لها شزراً قائلة بتجهم:
-اطلعي منها زي أبوكي، أنا مش نقصاكي
ردت عليها ابنتها برجاء كبير:
-أنا خايفة عليكي
تمطت بكتفها في جلستها قائلة بتفاخر جلي:
-اطمني، أنا مسنودة كويس أوي! وقربي الي كلمته قال هايعمل معاها الواجب
وزيادة!
رفعت كفها للسماء مكلمة بنبرة مغلولة:
-إلهي يطفحوها الدم ويخربوا بيتها
انزوى ما بين حاجبها بضيق واضح من تصرفها الغير مدروس، وسألتها مستفهمة:
ليه بس بتكرهها، "فرح" طيبة وماتستهل....
قاطعتها كريمة بحدة:
-ماتجيش سيرتها قصادي، سامعة!
يئست كاميليا من إقناعها بالعدول عن قرارها الخاطئ مرددة باستسلام:
-براحتك يا ماما، بس افتكري كلامي
أولتها ظهرها لتتحرك في اتجاه غرفتها متابعة بصوت خفيض:
-ربنا يستر من الي جاي

.....

ظن في البداية أنها مزحة سخيفة من أحدهم ليتلف أعصابه المشدودة مسبقًا، لكن بالطبع ليس الأمر هكذا وخاصة حينما يتعلق بالمسائل القانونية، مرور أعينه المحتقنة على وجه الضابط الذي كان يطالعه بنظرات جادة للغاية، هتف "يزيد" معترضًا على ما قاله بجدة واضحة:

ليه الكلام ده؟ يعني ايه مراقي طالعلها أمر ضبط وإحضار؟

كتمت "شيء" شهقة مصدومة كانت على وشك الخروج من جوفها موزعة أنظارها المذهولة بين وجه زوجها ورفيقه المنفعل، دقق الضابط النظر في زيه الرسمي وأدرك سريعًا أنه يتعامل مع أحد أفراد القوات البحرية فانتصب في وقفته قائلاً بنبرة رسمية: يا فندم أنا بأنفذ القانون، وزى ما حضرتك ليك شغلك، أنا كمان جاي أقوم بشغلي هنا، والمدام مطلوبة للتحقيق!

هتف فيه محتجًا بعصبية وهو يشير بيده للخلف:

إنت مش شايف وضعها عامل إزاي؟ هي أداة بتلعب؟!!!

أضافت "شيء" صائحة بنبرة حادة وهي تتحرك صوبه:

ليه الظلم ده، "فرح" في حالها ومالهش دعوة بجد!

منعها زوجها بذراعه من الوصول إليه محذرًا إياها بنظراته القوية، فتوقفت مجبرة عن الحركة والحديث، استشاطت أعين "يزيد" متابعًا بغیظ:

مراقي محدش هياخذها من هنا

رد عليه الضابط بتريث عقلائي:

حضرتك فاهم في القانون كويس، وده اسمه.....

قاطعه بانفعال غير مكترث:

-ولا يفرق معايا، أنا اللي أقرر ايه اللي يخص مراتي
-تنح "آدم" قائلاً بخشونة:

-اهدى بس يا يزيد، الأمور ماتدختش قفش
حدجه بنظرات نارية هادرًا فيه:

-ملكش دعوة يا "آدم"

في تلك اللحظة ظهرت "إيلين" من خلف الضابط مبدية أسفها لكونها سببًا في ذلك
الموقف الحرج، فقد وصلت لتوها لتجد المشهد محتدًا، بدت تعبيراتها مزعوجة وهي
تقول بخجل:

-أنا أسفة يا سيادة المقدم، مقدرتش أمنعهم و...

قاطعها الضابط مشيرًا بعينه:

لو سمحتي يا أستاذة استني شوية

رد عليه "يزيد" بقوة وقد احتدت نظراته:

-بص يا حضرت الضابط، الموضوع ده في لبس أكيد، مراتي استحالة تعمل حاجة مخالفة

أضاف "آدم" هو الآخر مؤكدًا بثقة:

عنده حق، هي مش من ال....

قاطعها الضابط مرددًا بنبرة رسمية مستخدمًا ذراعه في التلويح:

-والله يا فندم ده هيبان في القسم

رد عليه "يزيد" متحديًا بعناد:

-وأنا مش هاسمح لإنها تطلع من هنا

وقف الضابط قبالة قائلاً بجمود دون أن تهتز عضلة واحدة من وجهه:

مع احترامي لشخصك، الدكتور بتاعها اللي يقرر!

قام "آدم" باستدعائه فوراً لإبداء رأيه في مسألة إخراج "فرح" من المشفى من عدمه، بدا الطبيب حائزاً في الاختيار وهو يجوب بأنظاره على أوجه المحدثين به خارج غرفتها، هي على الأرجح ليست مريضة تعاني من حالة نفسية مستعصية ووجودها وسط العامة لن يشكل ضرراً، فما تمر به يعد أزمة يسهل التعامل معها إن تهيأت الظروف لمعالجتها، كان عليه حسم قراره فأردف قائلاً بارتباك رغم هدوء صوته:

ماظنن إن حالتها تستدعي إنها تأجل التحقيق

كور "يزيد" قبضة يده ضارباً الحائط المجاور له بعنف كنوع من التعبير عن سخطه الشديد واستنكاره للأمر برمته، هتف "آدم" قائلاً بغموض:

واضح إن الموضوع متوصي عليه جامد

رد عليه رفيقه بانفعال:

مش هاسيديها

أضافت إيلين قائلة بجدية:

أنا هاروح معاها يا سيادة المقدم، واطمن مستر عبد السلام هاييغت محامي الجرنال للقس، جاز للموضوع علاقة بشكوى أو حاجة من التحقيقات اللي بنعملها

فركت "شيء" طرف ذقنها بإصبعها متسائلة بغرابة:

اللي مستغرباه إن الظابط مش عاوز ينطق بحرف عن الموضوع، تقولش سر حربي

رد عليها زوجها بامتعاض:

هانعرف كل حاجة يا "شيء"، ده غير.....

قطم عبارته مجبرًا بسبب صراخ "فرح" المرتفع، لم ينتظر "يزيد" كثيرًا حيث اندفع بلا تفكير للداخل مقتحمًا الغرفة ومسلطًا أعينه القلقة عليها، هتف صائحًا بتلهف وقد تجمدت نظراته عليها:

- "فرح"!

تجاهلت ندائه لها في البداية لتجهش ببكاء مرير، أسرع نحو فراشها ليمسك بكف يدها مرددًا:

- "فرح"، إتي معايا؟

استدارت ببطء نحوه لتحقق فيه بعينين باكيتين، هي أفاقت من جديد على الحقيقة المرة التي ظنت أنها وهما، توفيت والدتها وتركها بمفردها في لحظة غادرة وبات عليها أن تصدق أن ذلك الأمر حتمي حتى لو أنكره عقلها للأبد، تصارعت المشاهد الصاخبة بعقلها وكأن كل شيء قد حدث بالأمس، همست من بين بكائها:

ليه مخلتنيش أصدق إنها عايشة؟

شعر أنها تحمله الذنب بكلماتها المعاتبة فابتلع غصة عالقة في حلقه قائلاً بجذر ممتصًا ثورتها الغاضبة:

حبيبتي، أنا معاكي ومش هاسيبك!

تمنت "شيء" لو عاد بها الزمن للوراء لما تسبب أبدًا فيما حدث خلال مراسم عقد القران، هي متورطة بشكل أو بآخر في ذلك، ورغم مسامحة والدتها لها إلا أنها عاهدت نفسها على تعويض ابنتها بقدر ما تستطيع، بدت أعينها مليئة بعبرات رقراقة فجاهدت ألا تلفت الانتباه لها، ومسحت ما علق في أهدابها بأناملها سريعًا، هتفت "فرح" متسائلة بحزن جلي باحثة عن كذبة تريح قلبها المفجوع لفراقها:

هي مش راجعة تاني، صح؟!

تدخلت "شيء" في الحوار محاولة التهوين عليها بعد أن رأت حالتها النفسية قاتلة:

- ادعيلها بالرحمة، مامتك كانت إنسانة طيبة والكل يحبها

ردت عليه بصوتٍ متشنج:

- بس ملحقتش أشبع منها

وقبل أن تواسيها بالمزيد من العبارات المدعمة وُلج إلى الغرفة الضابط هاتفاً بجمود:

- أستاذة "فرح" عبد الحميد، معانا أمر ضبط وإحضار ليكي!

تجمدت العبرات في مقلتيها مصدومة من تصرّجه الغريب، التفتت برأسها نحو زوجها لتظهر حيرتها جلية في أعينها، تعلقت أنظارها بوجهه وهو يقول بصلاية مستنكراً تدخله السافر بدون أي مقدمات:

لحظة واحدة، هي مش هتهرب يعني

رد عليه ببرود:

- أنا بأقوم بشغلي، وأظن لو سيادتك مكاني هتعمل ده

بدا التحدي بينهما واضحاً فتحفز كلاهما للآخر بصورة مقلقة، أراد "آدم" أن يلطف حدة الأجواء فهتف بجذر وهو يشير بيده:

- ادينا بس دقائق نفهم المدام على الوضع بالظبط

رغم عدم اقتناعه إلا أنه ترك لهم مساحة من الخصوصية لتستوعب ما الذي يدور معها، وانسحب بهدوء ليقف بالخارج، أطلق "يزيد" سبة خافتة ثم التفت ناحية زوجته، مد يديه ليحتضن وجهها الباكي براحتيه، مسح بإبهاميه عبراتهما قائلاً بقوة:

- متخافيش يا "فرح"، أنا معاكي يا حبيبتى!

لم تتعاف بعد من صدمتها لتجد المصائب تتوالى فوق رأسها تباعاً، سألته بخوف واضح
في نظراتها:

-هو إيه اللي حصل؟ إيه الكلام ده؟

رد عليها بهدوء رغم احتقان غضبه بداخله:

-لسه مش عارفين

حاول أن يبث الطمأنينة في نفسها المضطربة، فتكالب الظروف عليها في ذلك الوقت
العصيب قد يؤثر عليها أكثر ويفقدها إحساسها بالأمان بالإضافة إلى ما تعانيه حالياً من
مشاعر الوحدة واليتم، هتفت "شيء" من الخلف قائلة بابتسامة باهتة:

-كلنا معاكي يا حبيبتي، مش هانسبك

ابتسمت إيلين مرددة بمرح زائف علما تطمئنها هي الأخرى:

-تلاقيا شكوى كيدية ولا حاجة، ما إتي عارفة في مھنتنا دي بنشوف العجب!

ظلت أنظارها معلقة بوجهه الذي لم يفارقها بنظراته الثابتة مؤكداً لها أنه درعها الذي
سيحميها من أي خطر تتعرض له، أدار رأسه في اتجاه "آدم" صائحاً بصيغة أمر:

-كلم حبايبنا من الموجودين هنا وفي أجازات يحصلونا

لم يخرج عن دهشته وهو يسأله باستغراب:

قصدك مين؟ اوعى تقولي الكتيبة!

التوى ثغره بابتسامة غير مريحة على الإطلاق وهو يرد مؤكداً:

-أيوه

.....

اضطرت أن تستقل سيارة الشرطة رغم خوفها تنفيذًا لأوامر القانون، انكشيت في مقعدها ملتفتة برأسها للخلف لتجد زوجها من خلفها ومعه "آدم" وزوجته ورفيقتها إيلين، أشعرهم وجودهم حولها بنوع من الاطمئنان، تذكرت ما مرت به من موقف مشابه حينما استدعى لها زوجها الشرطة العسكرية مدعيًا هروبها من أداء مهامها المكلفة بها، ابتسمت لنفسها محاولة إبعاد أي أفكار سوداوية عن عقلها المنهك مسبقًا بسبب ما تمر به من ضغوطات قاسية، لاح في مخيلتها وجه والدتها البشوش، وبسمتها الناعمة، فترقرت العبرات سريعًا في حدقتها متأثرة بفقدانها، اعتقد الضابط لوهلة أنها مضطربة بسبب القبض عليها، لكن حينما رأى بسمتها المتناقضة نظر لها بفوقية وهو يستطرد حديثه قائلاً بسخرية ملحوظة:

-افتكر واحدة زيك مش هياثر فيها حاجة زي كده

كفكت عبارتها بظهر كفها قبل أن تهمر على وجنتيها عقب جملته الغامضة تلك، ثم عقدت ما بين حاجبيها بضيق واضح وهي تسأله:

-مش فاهمة حضرتك!

التفت برأسه للخلف موضحًا:

-يعني جوزك وعيلتك معاك، شكلك هاتطلعي منها قبل ما نوصل هناك!

اغتاظت من تلميحه الضمني بكونها تسيء استخدام وظيفة زوجها لمصالح خاصة فسألته بتذمر لتتأكد من شكوكها:

-قصدك إني مسنودة؟

تحولت نظراته للازدراء قائلاً:

-تقدري تنكري ده؟

احتقن وجهها بحمرة منفعة وهي ترد مدافعة عن نفسها بقوة:
-وحد قال لسيادتك إني متهمة في قضية مخلة بالشرف ولا حاجة؟ إذا كان أنا رايحة
معك القسم ومش عارفة مقبوض عليا ليه
أشار لها بيده بطريقة تحقر من شأنها وهو يرد:
-بطلي دوشة، هناك هتعرفي!
رمقته بنظرات حادة متممة مع نفسها بضيق كبير:
قلة ذوق

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه لتحقق بأعين شاردة في الفراغ أمامها، أربكها أن تكون في
موضع الاتهام دون أن تعرف أسباب ذلك، فرمى الأمر أبسط من ذلك بكثير، لكن
طريقة تعامل الضابط معها بغلظة فظة وعدم تقديره لظرفها النفسي الحرج ضاعف من
فضولها !!.....!!

.....

الفصل الخامس:

أجرى عدة مكالمات هاتفية مع المقربين من زملائه ورفاقه وأقرانه في وحدته العسكرية
ومن يطمعون في تقديم أي خدمة له ليتواجدوا على مقربة من مخفر الشرطة لتقديم
الدعم والمساندة، التفت "آدم" برأسه ناحية "يزيد" الجالس في مقعد الراكب إلى جواره
قائلاً بثقة:

-اطمن، كل الحبايب هايجولنا هناك

قست قسماته وهو يرد بضيق:

-الي يهمني دلوقتي "فرح"!

ضرب بقبضته المتكورة على الـ "تابلوه" أمامه متابعا بنبرة محتقنة:

-هاتجن، ازاى تركب معاهم وكأنها متهمة؟!

رد عليه "آدم" مبررا:

-ما إنت عارف الإجراءات، دي ماقدرش نعمل فيها حاجة

تهدت "شيء" قائلة من الخلف:

-ربنا يستر ويطلع الموضوع بسيط

رد عليها زوجها بابتسامة باهتة للتقليل من حدة الأجواء:

-إن شاء الله هاتكون حاجة عادية، اطمنوا!

التفت برأسه ناحية رفيقه ليجده محددًا أمامه بنظرات تحمل الكثير، تمنى في نفسه أن يمر الأمر على خير، ساد صمت مشحون للحظات قبل أن تقطعه "شيء" مجددًا متسائلة باهتمام:

على كده ده ممكن يآثر عليك، فاهمني؟

انزعج "آدم" من طريقتها المستثيرة لأعصابه المتلفة فحذرهما قائلاً:

مش وقته يا "شيء"

تجاهلت تحذيره عمدًا لتواصل استرسالها الفضولي متابعة:

-أنا عارفة إن طالما الموضوع ليه علاقة بالأقسام ممكن يخلي....

قاطعها "آدم" تلك المرة صائحًا بصرامة أشد:

قولت ايه

لوت ثغرها مبدية عبوسها من منعه جبرًا لها من الحديث مرددة باقتضاب متجههم:

خلاص!

أمسكت لسانها عن الكلام لثوانٍ معدودة قبل أن تضيف:

-كويس إن رئيسها هيبعتها محامي

رد عليها "آدم" بتهكم:

-يعني هايسبها تتحبس مثلاً؟

وكانه سابح في عالم خاص به بعيدًا عن ثرثرتها الفارغة يفكر مليًا في كيفية التصرف في

أمرها إن خرج عن المألوف وفاق قدرته، ضجر "يزيد" من لغوها المتواصل فصاح بهما بغلظة:

-ممكن تسكتوا دلوقتي، أنا جايب أخري-

تنحج "آدم" بخشونة وهو يقول بخرج:

حاضر!

ثم حدق في انعكاس وجه زوجته في المرآة ليقول بعدها بعبوس زائف:

بس بقى يا "شيء"، شغالة رغي من الصبح!

انزوى ما بين حاجبها بضيق جلي مرددة باستنكار:

-أنا برضوه؟!

غمز له بطرف عينه لتفهم مقصده في عدم المجادلة حاليًا في ظل الظرف الراهن، وعلى مضض كبير تقبلت الأمر من أجل رفيقه الذي كان في وضع لا يحسد عليه.

.....

لاحقًا، أصر على حضوره التحقيقات معها بعد تقديمه لما يثبت هويته ليعرف أسباب استدعائها بتلك الطريقة المقلقة، اتسعت حدقاته مصدومًا حينما عرف الحقيقة، فزوجته متهمة - من قبل والدته زوجها السابق - بالزواج قبل أن تنتهي عدتها الشرعية منه بما يخالف الشريعة، هب "يزيد" واقفًا من مكانه ضاربًا بيده بعنف على سطح المكتب هاتفًا بانفعال مبرر:

ده كله كذب، محصلش الكلام الفارغ ده!

نظر له وكيل النيابة محذرًا وهو يقول مشيرًا بسبابته:

من فضلك اهدى!

تحولت نبرته للصرامة وهو يتابع حديثه الجدي:

-إنت هنا في تحقيق

كاد "يزيد" أن يفقد أعصابه بتهور كبير بسبب بطلان ذلك الادعاء، فتنفس بعمق ليضبط انفعالاته أمامه كي يثبت براءتها، احتقن وجهه وبرزت عروقه بوضوح في عنقه وهو يدير رأسه في اتجاه "فرح" التي نظرت له بصدمة جليلة، كتمت شهقتها واضعة يدها على فمها، لم يطرأ بمخيلتها أبدًا أن تقدم فيها حمايتها بلاغًا رسميًا تتهما بذلك الأمر متناسية روابط الود بينهما، حاول عقلها أن يحتسب المدة الزمنية التي انقضت منذ إبلاغها ب وفاة "كريم" وحتى زواجهما من يزيد، لكنها توترت وارتبكت ففقدت قدرتها على التركيز، عاتبت نفسها بقسوة لأنها غفلت عن تلك الجزئية الهامة وتناست ذلك في خضم انشغالها بحب جديد، أخرجها من تفكيرها المضطرب صوت زوجها الصارم:

-أنا هاجييلك نهاية الموضوع!

تجمدت أنظارها عليه وجبست أنفاسها مترقبة ما سيلفظه من جوفه، استخدم "يزيد" يده في الإشارة موضحًا بثبات واثق:

-المدام قبل ما تكلف بمهمة صحفية عندنا اتعمل تحريات شاملة عنها
أشعرتها نبرته القوية بنوع من الارتياح رغم الخوف الذي يعتريها، استأنف حديثه قائلاً:

-أه هي كان مكتوب كتابها على الـ.. مرحوم

ضغط على شفثيه بقوة كنوع من التعبير عن ضيقه ليواصل بعدها بهدوء حذر:

-بس اللي سيادتك مش عارفه إنه طلقها من زمان!

شخصت أبصارها مذهولة من جملة المفاجئة تلك، هتفت بلا وعي وقد انفرجت شفثاها للأسفل:

-ايه؟

قطب وكيل النيابة جبينه هاتفاً بجديّة:

-مش فاهم قصدك، وضحلي أكثر

أوماً برأسه مؤكداً:

-أيوه، الملف الخاص بيها مدرج فيه صورة من عقد الجواز، وقسيمة الطلاق، ومن زمان جدّا، من قبل وفاته حتى!

كانت كمن تلقى صفعه قوية على وجهه ليفيق على حقيقة أكثر قسوة، لم يكن حبه لها حبّاً شغوفاً كما أوهما، بل مجرد أكاذيب اختلقها، ومشاعر زائفة حاكها حولها لتظل مغيبة عن الحقيقة، تمت من بين شفيتها بهمس مرتعش:

ط... طلقني، ازاي؟

أكمل "يزيد" بثقة وقد اشتدت تعبيراته صلابه:

-وتقدر تتأكد من كلامي ده، والملف بتاعها موجود عندنا في القاعدة البحرية تهديجت أنفاسها بصورة واضحة بعد أن تكشفت الحقائق جلية أمامها، همست غير مصدقة:

-مش ممكن، طب والكلام اللي كان بيقوله ليا؟ يعني كان بيضحك عليا؟

أشار وكيل النيابة بيده للجالس على يساره آمراً:

-سجل أقوال المقدم في المحضر

ترقرقت العبرات في مقلتيها سريعاً حسرةً على حالها، هي عاشت معه أكلوبة مكتملة الأركان اعتقدت فيها أنها محور حياته، لكنها كانت مهمشة، مجرد تسلية لقتل الفراغ والممل، انسابت دمعاتها بغزارة رغم الصخب الدائر في عقلها وهي تهمس محدثة نفسها:

طب ليه عمل كده؟ أنا ماستهلش ده منه؟ والحب اللي حبيتهوله؟ ده أنا...

أجبرت فيها على التوقف عن الحديث عنه، هو لا يستحق البكاء عليه، لكنها ذرفت العبرات لإحساسها بالغدر والخيانة في مشاعرها النقية، في ذلك الحب الذي قدمته له والمقابل كانت أكاذيب محكمة نسجت براءة لإبقائها حبيسة حبه المزعوم، تابع "يزيد" موضعًا بجدية:

- "فرح" مراقي يا فندم يعتبر مالهاش عدة شرعية من الأساس، باعتبار إنها مطلقة قبل الدخول والخلوة الشرعية، يعني من حقها تتجوز من ثاني يوم ضاقت نظراته وهو يكمل مبدئيًا سخطه:

- وأظن إن اللي حصل معاها إساءة بكل المقاييس

التفت "يزيد" برأسه نحوها ليجدها تبكي بلا توقف مما أوغر صدره بقوة، خرج عن ثباته الهادئ صائحًا بتهديد:

- وأنا مش هاسكت عن حقها، وهاعمل محضر في اللي عمل كده فيها أومأ وكيل النيابة برأسه قائلاً:

- تمام

استمر بعدها في إكمال باقي تحقيقاته معتمدًا على أقوال "يزيد" لإضافتها في المحضر، وطالب في الأخير بالوثائق التي تؤكد صحة ادعائه ليضيف بعدها:

- وبناءً عليه يتم الإفراج عن "فرح" عبد الحميد فرغلي بضمان بطاقتها الشخصية سلط أنظاره عليها ليأمرها بهدوء:

- اتفضلي وقعي هنا

لم تنتبه له بسبب انخراطها في بكائها الحزين مما أزعج زوجها وأوصله لحالة من العصبية الواضحة، كظم غضبه في نفسها هاتقًا من بين أسنانه المضغوطة:

أظن حضرتك شايف الحالة النفسية اللي وصلتها بسبب الكذب ده

.....

لم تكن التحقيقات قد انتهت حتى احتشد أمام المخفر عدد لا بأس به من أفراد القوات البحرية بزيمهم الرسمي، وكأن المكان قد تحول لساحة من القتال، بالطبع أثار تواجدهم نوعاً من البلبلة والضوضاء في الخارج، لم يجد "آدم" صعوبة في السيطرة عليهم، وقف أعلى الدرجات الرخامية للدرج المؤدي لداخل المخفر هاتفاً بنبرة عالية وخشنة:

يا رجاله، مش عاوزين قلق لحد ما نشوف هياحصل إيه جوا

انزع ضبطا المخفر من وجودهم الغير مبرر فرد أحدهم من الداخل بضيق كبير:

-ماينفعش التجمع ده هنا

التفت له أحدهم قائلاً بتحد:

مش إنت اللي هاتقولنا إيه اللي ينفع معنا؟

أشار لهم "آدم" بيده محذراً:

بالراحة يا رجاله

اضطر المأمور أن يخرج إليهم بعد أن وصل إليه أنباء عن تواجد حشد ليس بالقليل أمام مخفره ليحقق بنفسه في ذلك الأمر، مرر أنظاره سريعاً عليهم وهو يسألهم:

في إيه؟

كان "آدم" على وشك إجابته حينما لمح "يزيد" يأتي من الداخل فهتف قائلاً

ثواني كده، هاشوف سيادة المقدم

انزعج المأمور من أسلوبه لكنه تمالك أعصابه ليسيطر على الموقف قبل أن يحدث تشابك غير محمود العواقب بين الطرفين، فصاح بصوت جهوري:

-اهدوا يا رجاله، عاوزين نفهم بس في إيه، لو في مشكلة أوعدم إني هاحلها!
هرول "آدم" نحو رفيقه متسائلاً بتلهف بعد أن رآه محاوّطاً لزوجته من كتفها:
حصل إيه؟

ثم حدق في وجه "فرح" الباكي باندھاش عجيب، بدت أعينها الحمراء ملتهبة من كثرة البكاء مما أثار ريبته، عاود النظر نحو رفيقه متسائلاً بتوجس:
ما ترد عليا، في إيه؟

زفر "يزيد" بصوت مسموع وهو يجيبه بامتعاض من زاوية فمه:

هاقولك بعدين، المهم نمشي من هنا

أشار "آدم" بسبابته للخلف متابعاً:

-الكتيبة كلها برا، ولو.....

قاطع "يزيد" بصرامة:

-أنا هاشكرهم، مش محتاج مساعدتهم في حاجة

أخفض نظراته وهو يشدد من ضمه لـ "فرح" ليضيف بعدها بنبرة شبه مزعوجة رغم هدوئها:

-الموضوع طلع آخر حاجة ممكن تتوقعها

دنا "آدم" منها متسائلاً باهتمام:

-"فرح" إتي كويسة؟

كفكت عبراتها ماسحة إياهم من على وجنتيها وهي تقول بصوتها المنتحب:

-أنا عاوزة أمشي من هنا

رد عليها "يزيد" بإيجاز وهو يومئ برأسه:

حاضر

سبقهما "آدم" في خطواته ليصرف المرابطين أمام المخفر شاكرًا إياهم على مجيئهم للدعم، لكن المأمور لم يسمح له أو ليزيد ولزوجته بالانصراف قبل أن يقول بعتاب:

-ماينفعش اللي حصل هنا!

رد "يزيد" مبررًا تصرفه:

-وأظن ماينفعش تجرجروا مراقي على القسم من غير ما تتأكدوا من تحرياتكم

اعترض عليه المأمور قائلاً بجمود:

-وارد إن يحصل أخطاء، وده تحقيق يعني.....

قاطعته بانفعال وقد احتدت نظراته المشتعلة:

-ماليش في ده كله، وحق مراقي مش هاسكت عنه

رد عليه بترث محذراً:

-أكيد ده حقك، طالما بالقانون!

نظر له "يزيد" شزراً وهو يضيف بتهكم واضح عليه:

-أها، إذا سمحت عشان المدام زي ما إنت شايف

وجه المأمور أنظاره نحوها مردداً:

-اتفضل!

ضمها "يزيد" أكثر إليه ليحتوي حزنها الواضح للعيان وهو يسحبها إلى خارج المخفر
هامسًا بتأكيد:

-اطمني يا حبيبتي، أنا هافضل جمبك ومش هاسمح لحاجة تضايقك أبدًا
لم تكن مصغية لأغلب ما قاله، فعقلها مشغول بالتفكير في الأكذوبة المحكمة التي حيكت
عليها براءة شيطانية لتظل في أسر حبه المخادع، كانت مستسلمة لسحبه لها نحو
السيارة، لم تنبس بكلمة واحدة، ولم تجف دمعاتها الحارقة، شعر بما يختلج صدرها من
مشاعر حزن ممزوجة بالغضب، أراد إحراق من تسبب لها في ذلك، ولن يصمت أبدًا
عن الثأر لها، هتفت "فرح" فجأة بصوتها المختنق:

-وديني بيتي

رد عليها بهدوء مصطنع:

-ماشي

رفعت وجهها نحوه لتنظر في عينيه بأعينها الباكية وهي تكمل موضحة:

-بيت بابا

تعقدت تعبيراته من كلماتها المقتضبة، ورغم ذلك عمد لجعل نبرته طبيعية وهو يرد:

- "فرح" إتي دلوقتي متجوزة، يعني مكانك الطبيعي في بيتي

انهمرت عبراتها من جديد قائلة بمرارة:

-أنا مش عارفة أنا إيه دلوقتي

احتضن وجهها بين راحتيه مجبرًا إياها على التطلع إلى نظراته القوية، هتف مؤكدًا بنبرة
غير قابلة للجدال:

-إتي مرااتي!

بللت دمعاتها الدافئة أصابعه، فأعصر قلبه ألماً، ليس من السهل أن تكتشف في لحظة أن ما خضته من مشاعر وأحاسيس كانت مجرد أكاذيب لعينة، حتماً ستترك أثرها السيء في نفسك، ومع ذلك أكمل بنفس الثبات الواثق كي يشعرها بعدم تأثره بما حدث مؤخراً:

-أنا عارف من قبل ما أشوفك الحقيقية، بس ماتوقعتش إنك تكوني مش عارفاها ردت عليه بألم جلي:

ليه عمل كده فيا؟

انتجبت أكثر وهي تكمل بصعوبة:

-كان متجوز وخبا ده عليا!

أزاحت يديها المرتجفتين قبضتيه عن وجهها لتكمل بنشيج:

فضل معيشني الوهم، وطلع مـ.. مطلقني!

سارت خطوتين للأمام مبتعدة عنه ومحدثة نفسها بصدمة:

حطب ليه كذب؟ ليه خلاني أعيش أحلام مش هتحصل؟ مجاش في باله للحظة إني هاعرف كدبه؟

لحق بها "يزيد" ثم تحرك ليقف قبالتها فسد عليها الطريق بجسده، مد يده ليمسك بكفها، ضغط عليه بأصابعه قائلاً:

-كل ده مايمنيش!

خلل أصابعه في كفها ليضيف بوعيد مهدد وقد قست نظراته:

-بس وحياة دموعك الغالية دي عندي لهدفع الي عمل فيكي كده التمن غالي أوي!

.....

انتفضت من جلستها المسترخية على الأريكة لتتحول تعبيراتها للخوف، ارتفع حاجباها للأعلى غير مصدقة ما تلقته تَوَا عبر الهاتف النقال، انقبض قلبها بخوف ثم ابتلعت ريقها لتهمس بصوت مرتبك:

-مطلقة؟

أتاها صوت الطرف الآخر هاتفاً بعصبية:

-إنتي ماقولتليش كده يا كريمة

ردت بتلعثم وهي تجاهد للسيطرة على نوبة الخوف التي تخلل أوصالها:

-...مكوتتش أعرف

صاح بها قريبها بنبرة اخترقت آذانها:

-كريمة، أنا مش هاقدر أساعدك لو جوزها رفع قضية ضدك، ده ظابط بحري

تضاعف خوفها بعد ما قاله، فتوسلته برجاء:

-اسمعي بس

رد عليها بقوة ناهياً أي محاولة منها لإصلاح خطئها:

-حلي مشاكلك بعيد عني

أنهت المكالمة معه لتعاود الجلوس وجسدها ينتفض بقوة من توقع الأسوأ، أسندت

الهاتف إلى جوارها محدثة نفسها بتوجس وهي تهز بدنها للجانبين:

-يا النصيبة

نظر لها زوجها مطولاً مبدئياً استيائه من فعلها الأحمق الذي توقع نتيجه مسبقاً، هتف قائلاً بازدراء:

-كده ارتاحتي يا كريمة؟ ركبت دماغك وماردتيش تسمعي لحد
لطمت على فخذيها مرددة بغضب:

-يووووه، خلاص بقي يا بركات، مش وقت تقطيم، ده بدل ما تقولي أعمل ايه دلوقتي
نظر لها من طرف عينه بتأفف وهو يرد:
-إنتي حرة!

رمقته بنظرات مغتاظة وهو يوليها ظهره، لكن غضبها منه لا يقارن أبداً بخوفها من
تبعات ما سيحدث، ضربت كفها بالأخر محدثة نفسها بحيرة جلية:

هاتصرف إزاي أنا دلوقتي؟!؟

.....

الفصل السادس

وصل إلى مسامعه تفاصيل المحضر المقام ضدها، فهدأت أفكاره المتصارعة واستكانت لكونه لا يتعلق بأعمال الجريدة، جلس باسترخاء على مقعده مبتسمًا لإيلين التي كانت تطالعه بنظرات مزعوجة، طرق "عبد السلام" بأصابعه بثبات على سطح مكتبه للحظات ثم استطرد حديثه قائلاً بهدوء:

طالما دي مسائل عائلية فاحنا مالناش دخل فيها

اعترضت عليه هاتفة باحتجاج قوي:

-بس يا مستر عبد السلام ده....

قاطعها بلهجة صارمة مشيرًا بسبابته:

-أستاذة إيلين ركزي في شغلك أفضل، في حاجات أهم من خلافات "فرح" ومشاكلها! توقف لالتقاط أنفاسه لثوانٍ قبل أن يكمل بهدوء مستفز جعل قسماتها تزداد عبوسًا: -وبعدين هي تقدر تحل مشاكلها بنفسها، ده غير إني مديها أجازة مفتوحة لحد ما تهدي وترتاح

كظمت إيلين غيظها في نفسها مضطرة، فحاولتها لإقناعه بدعمها في تلك المحنة الأسرية لن تؤتي ثمارها، ضغطت على شفيتها مرددة على مضض:

-ماشي يا مستر

أولته ظهرها متجهة نحو باب الغرفة محدثة نفسها بتبرم:

محدث هايجس بالغلب اللي هي فيه، بجد "فرح" ماتستهلش ده كله

.....

احتدم الجدل بينهما بداخل السيارة لرفضها الذهاب معه إلى منزله في مقابل إصراره على بقائها هناك حيث المكان الطبيعي لها، كانت في حالة تخطيط رهيبية بعد اكتشافها للخدعة المحككة التي وقعت في أسرها لفترة ليست بالقليلة، ولكون رأسه صلبًا وطباعه حامية أصر على رأيه وتمسك به، فتحوّلت محاولاته لإقناعها بالبقاء فيه إلى عناد من قبله، وما هي إلا لحظات حتى صارت مشاجرة حادة بينهما، ضربت "فرح" يديها المتكورة على جانب المقعد كتعبير عن غضبها وهي تقول بحدة:

-مش هاروح بيت حد

كر "يزيد" على أسنانه مغتاظًا من عنادها المزجج، شدد من قبضته على المقود ملتفتًا ناحيتها وهو يقول بتحدٍ:

-ده بيت جوزك، مالكيش مكان إلا هو

تابعها "آدم" وزوجته بتوتر ملحوظ، فالمشادات على وشك اتخاذ منحًا آخرًا، ربما نتيجة لن تكون محمودة أبدًا، فتدخل للفض بينهما قائلاً بمرح:

-بصوا، الليلة دي حلها عندي!

توقف "يزيد" عن الحديث مجبرًا ليصغي إليه حينما تابع بحماس ليمتص الأجواء الملتهبة بشرارات العصبية:

-كده كده احنا راجعين الوحدة البحرية، يعني "فرح" هاتقعد لوحدها، وشيئا نفس الكلام، احنا نلم شملهم ويقعدوا مع بعض يسلموا بعض، ها قولتوا إيه؟ وافقته زوجته الرأي فأضافت مؤكدة بابتسامة ناعمة:

-اه والله، ده حتى سلمى هات "فرح" أووي

ثم وجهت حديثها إلى "يزيد" قائلة وهي تشير بحاجبيها:
-واحنا كنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده، فاكرا يا سيادة المقدم
نظر لها "آدم" بضيق طفيف بسبب استخدامها للتعاملات الرسمية مع رفيقه بصورة
مبالغ فيها فهتف معاتباً بحذر:
-شيلي التكليف يا شيمو، مش لازم الاحترام الزايد ده
ردت عليه بدلال متعمدة استفزازة:
-مش كل واحد وقيته
زوى ما بين حاجبيه متسائلاً بصرامة زائفة:
-قصداك ايه؟
أشاحت بوجهها بعيداً عنه لتقول ببرود:
-مش وقته
رد عليها متوعداً بكلمات موحية:
-ماشى يا شيمو، لينا اجتماع خلف الأبواب المغلقة!
فهمت المقصد من وراء حديثه العايب فحذرتة:
-اسكت بس خلىنا نشوفهم الأول!
أوما برأسه موافقاً فحركت رأسها نحو "فرح" لتسألها باهتمام:
-ها قولتي ايه يا فروحة؟ دي أرض محايدة!
رد عليها "يزيد" بجدية دون أن ترتخي قسماته المشدودة بقوة:
-أنا موافق، خليكى مع "شيء" الكام يوم دول

نظرت له بأعين محتقنة بسبب بقايا بكائها وهي تقول بتجهم:

-او كي، بس برضوه.....

قاطعها تلك المرة "آدم" ليمنعها عن الاعتراض مردداً بصرامة محبة:

خلاص يا "فرح"، قولتك الليلة معايا، ماشي؟

لوت شفتيها لترد بعبوس:

طيب

تهد لعدة مرات محاولاً السيطرة على ضيقه، فما عرفه مؤخراً وما حدث من استدعاء لزوجته بالخفر سبب له ضيقاً كبيراً، فزفر "يزيد" قائلاً بصوت خفيض لكنه مسموع لمن حوله:

-اللهم طولك يا روح

تنح "آدم" قائلاً بخشونة مستخدماً يده في التلويح:

شهيق زفيق عشان نهدي

صححت له "شيء" كلمته الخاطئة قائلة:

-اسمه زفير يا أندومي!

رد عليها غير مكترث:

-أي حاجة، هو أنا هاشتغل مدرس

زمت شفتيها قائلة بعبوس طفيف وهي تغمز له:

ماشى يا سي "آدم"، لينا بيت

ابتسم لها دون أن يضيف المزيد فيكفيه أن صرف أذهان الجميع عن الخناق والعتاب
ليضفي هو بروحه المرحه أجواءً لطيفة عليهم.

.....

منحتها غرفة صغيرتها مكان معزولٍ ليتحدثا فيه بخصوصية قبل أن يتركها ويعود إلى
مهامه العسكرية، جلست "فرح" على طرف الفراش تهز ساقتها بعصبية واضحة بينما
وقف "يزيد" قبالتها يراقبها بأعين ثاقبة واضعاً كلتا يديه على منتصف خصره، تحرك
نحوها مرخياً ذراعيه وهو يقول بصوته الأجش:

- "فرح" أنا وعدتك هاكم محامي يمشي في إجراءات القضية

توقفت عن تحريك ساقتها لتنظر إليه بأعينها المحتدة وهي ترد بانفعال:

ده مش موضوعك!

استشاطت نظراته من طريقها الغريبة معه، وتضاعفت ثورته المتعصبة بداخله بعد أن
أكملت بندم:

أنا من الأول اللي غلطت

قبض "يزيد" على ذراعيها يهزها منها بعنف هادراً بحدة:

غلطتي في ايه فهميني؟

حاولت انتزاع نفسها من بين قبضتيه اللاتين تعصران جسدها مرددة بصوتٍ شبه
مخنق:

إني حبيت من تاني واتجوزت، مكاش لازم أعمل كده

رفض تحريرها صارخاً فيها بقوة:

ليه كل ده، فهميني يا "فرح"؟!

ترقرقت العبرات في مقلتيها سريعاً تأثراً بكل ما تجابهه بمفردها من ضغوطات تفوق قدرتها على الاحتمال، واصل "يزيد" صراخه بها قائلاً:

-أنا من الأول عارف بحكايتك، إنتي مفكرة الجيش لعبة؟ لأ يا "فرح" قبل أي حد ما يلتحق حتى بالخدمة فيه بيتعمل عنه تحريات هو ذات نفسه ما يعرفهاش!

أرخی قبضتيه عنها حينما رأى عبارتها تنساب ليقول بصعوبة محاولاً ضبط أعصابه من جديد:

-اللي مستغربه إن أهل الـ... مرحوم يعملوا كده فيكي

فركت "فرح" ذراعها بكفيها مبررة تصرفهم:

سجيز لأن مامته كرهتني بعد اللي حصل، مع إن والله أنا كنت بأحبها وباعتبرها في مقام ماما

انزعج من حديثها المسترسل عن عائلة زوجها المتوفي وكأنهم لم يرتكبوا في حقها أي شيء، ابتعد عنها متجهاً نحو خزانة الثياب، ضرب ضلفتها بعنف مفرغاً غضبه المشحون فيها، انتفضت من عنف ضربته وانكمشت على نفسها، استدار ليواجهها قائلاً بقوة:

-انسي اللي فات يا "فرح" زي ما بأقولك، وركزي في حياتنا أحسن

كفكت عبارتها المنسابة على وجنتيها بظهر كفها لتقول بنبرة مختنقة:

حياتنا انتهت قبل ما تبتدي!

أخرجته عن شعوره بجملتها الأخيرة تلك، انفلتت أعصابه المستثارة مسبقاً، لم يشعر بنفسه وهو يندفع نحوها من جديد ليمسك بها من كتفيها يهزها بعنف، تأوّهت من ألمه الذي أحدثه بها، صرخ بها منفعلاً بغضب يصعب السيطرة عليه:

- "فرح" إنتي مجنونة؟ إيه الكلام ده

حاولت أن تستجمع شجاعته أمامه، أن تتحمل غضبه وقوته لتدافع عن اعتقادها،
ردت بصلافة رغم اهتزاز نبرتها:

-لا، أنا دلوقتي عقلت، لازم كل حاجة تتصلح وترجع زي الأول!
عادت نبرتها للاختناق حينما أكملت متذكرة والدتها الراحلة:
مع إنه صعب أوي

حرق فيها بأعين تشتعل غيظًا من تفكيرها الأحمق والمحدود، هي تنظر للأمور من
أفق ضيق، تحصر نفسها في بوتقة الأحزان رافضة منح نفسها فرصة للتعامل مع ما
تعرض له بعقلانية، صرخ فيها باستياء دون أن يفلتها من قبضتيه:
-إنتي هاتجني معاك

ردت بقوة رغم تسرب العبرات من طرفيها:
-كفاية عليا حزني على ماما، أنا مش عاوزة حاجة ثانية تكسرني
أرخی قبضته عن كتفها الأيسر ليقبض على فكها، رفع وجهها إلى وجهه محدقًا أنظاره
في عينيها اللامعتين:

خوقي واسمعيني، الهبل اللي في دماغك ده لازم تنسيه
ردت بصوتٍ مختنق:

هو بالعافية؟

رد متحديًا بصرامته المعهودة:

-اعتبريه زي ما تعتبره، أنا سايبك تهدي هنا كام يوم، بس أما هارجع هـ.....
على إثر صراخه المرتفع دق "آدم" الباب قبل أن يفتحه ويلج للداخل ليردد مازحًا:

مسا مسا يا يزيد، يالا يا باشا اتأخرنا

تجمد في مكانه مصدومًا حينما رأى الالتحام بينهما على أشده، اضطر "يزيد" أن يحرر زوجته لتراجع مبتعدة عنه دون أن يتركها بنظراته المحتقنة، وقف "آدم" بينهما بجسده موزعًا أنظاره عليهما وهو يقول ساخرًا:

-كويس إني بأتدخل في الوقت المناسب بدل ما تولع والأقويك مستدعي الفرقاطة باللي عليها هنا!

رد عليه "يزيد" بخشونة وقد قست تعبيراته على الأخير:

-بيننا بدل ما أعمل حاجة أندم عليها

ولجت "شيءاء" هي الأخرى إلى داخل الغرفة لتجد الموقف محتمم وعلى أشده، استشعرت اشتعال الأمور بينهما من جديد، وقبل أن يدفعها فضولها للسؤال تحرك "يزيد" نحو الباب مندفعًا نحو الخارج بخطى سريعة، لحق به "آدم" تاركًا المسؤولية بالكامل لزوجته للتعامل معها بروية، وما إن تأكدت "فرح" من خروجهما حتى انهارت باكية وهي تجلس على الفراش، خبأت وجهها بين راحتيها قائلة بأنين حزين تشكوها تصرفاته المتعصبة معها:

-شايفة؟

جلست "شيءاء" إلى جوارها تمسح على ظهرها برفق قبل أن تضمها إلى صدرها وهي تقول بهدوء في محاولة بائسة منها لتهوين الوضع عليها قليلًا:

-اهدي يا حبيبتى، كل حاجة هتبقى كويسة

استندت برأسها عليها مواصلة بكائها الحزين، همست بأسى:

-محدث حاسس بيا

حاوطتها بكلا ذراعيها لتشد من ضمها لها قائلة بتبرير:

أنا فاهمة ومقدرة الظروف اللي إنتي فيها، بس إدي فرصة ليزيد يقف جمبك، صدقيني والله ده يبحبك

رغم يقينها بأنه يكن لها من المشاعر ما يفيض ويغطي على جميع أوجاعها إلا أنها كانت تعاني من صراعٍ نفسي جعلها تشعر بشيء يثير الشكوك بداخلها حول مصداقية مشاعرها نحوه، فقدت رغبتها في القتال والاستمرار مستسلمة لأحزانها الممزوجة بذكرياتٍ مخادعة لم تترك لها إلا بقايا مؤلمة.

.....

رفض زوجها الذهاب معها وتركها تلاقى مصيرها، فتوجهت بصحبة أحد المحامين للمخفر، وبعد ساعات من التحقيق معها في المحضر المقام ضدها أُخلي سبيلها بضمان مالي كبير، جرجرت كريمة أذيال الخيبة ورائها وهي تخرج من مكتب وكيل النيابة مستندة بيدها على الحائط، هرولت كاميليا نحوها لتحقق في وجهها الذابل بنظرات متوترة، هتفت متسائلة بخوف وهي تزدرى ريقها:

خير يا ماما؟

رفعت والديتها رأسها المنكسة بخزي للأعلى لتنظر في عينيها بشرود، فالخطب جلل بالتأكد، ولن يمر الأمر على خير مثلما كانت تتوهم، تخلى عنها قريبها ذو السلطة وباتت بمفردها، هي طاوحت شيطان رأسها وعاندت دون أكراث بالعواقب الوخيمة لجرمتها فباتت متهمة بالكذب والتدليس بالإضافة إلى التشهير والتزوير، كم من القضايا الشائكة ظهرت لها من عدم لتقضي على ما تبقى من سنوات عمرها في محاولة النجاة منهم جميعًا، شعرت بوهن كبير يحتاج بدنها المرهق، لم تستطع الصمود أكثر من ذلك، همست لها بصوت مختنق وهو تشير بيدها:

أنا روحت في داهية خلاص!

تثاقل جسدها الذي لم يتحمل المزيد من الصدمات، فترنحت مهددة بفقدان وعيها،
جزع قلب ابنتها فصرخت مستغيثة وهي تحاول إسنادها لتمنعها من السقوط:

حد يلحقتي، ماما!

على إثر صرختها المفزوعة تجمع الكثير من الأشخاص لمساعدتها بعد أن فقدت أمها
وعيها وانهارت على الأرضية الصلبة.

.....

ترك لنسماته الباردة مهمة تبريد صدره المثلث بالهموم محدقًا في أمواجه المتلاطمة بشرود
عميق، عاد من جديد لنقطة الصفر معها بعد أن ظن أنه قطع شوطًا في علاقتها
المستقرة، تنفس بعمق طامعًا أن يتكفل البحر بإسكان العواصف المهتاجة بداخله،
تابعه "آدم" من الخلف بعد أن أعطى أوامره لضباط الصف ليتحرك نحوه، وقف إلى
جواره منتصبًا بجسده عند مقدمة الفرقاطة مستندًا على حافتها بيديه، التفت نحوه
قائلًا بهدوء:

لسه بتفكر في اللي حصل؟

أجابه "يزيد" بتنهيذة دون أن يدير رأسه:

أنا مبقتش عارف أعمل معاها إيه

رد عليه رفيقه بنبرة عقلانية

الموضوع محتاج شوية وقت، وكل حاجة هاترجع زي الأول وأحسن

تحدث "يزيد" من زاوية فمه قائلًا بعدم اقتناع:

مش باينلها

حاول "آدم" أن يتسم وهو يضيف:

حبيب سيبك من مشاكل الستات وخلينا في شغلنا
التفت ناحيته مجدداً ليصغي له بانتباه واضح وهو يكمل بجدية:
-دلوقتي عندنا أوامر بالتجهيز لمناورة مشتركة مع وحدات عربية
أوماً "يزيد" برأسه مردداً باقتضاب:

-تمام

استأنف حديثه موضحاً أهمية الأمر:

-وهايكون فيها تدريب على تنفيذ معركة تصادمية في عرض البحر، ده غير عمليات
الإنزال و....

قاطعته بجمائيس مفاجئ:

-حلو أوي، محتاجين نجهز لكل ده

رد عليه "آدم" بثقة:

-رجالتنا جاهزين، وأنا إديت الأوامر خلاص

ضرب "يزيد" بيده على ذراعه قائلاً بابتسامة باهتة:

-كويس، فرصة نتلهى فيها شوية

فرك "آدم" طرف ذقنه مازحاً:

-أيكيد، ده احنا هنتنفخ، مش عارف أقولك ايه يعني، المرادي وصاية

وكان عقله قد أضاء بفكرة ما اعتقد أنها ستفجح معها، هتف مفكراً بصوت مرتفع وقد
تحولت تعابير الجادة للحماسة:

- بأقولك ايه في دماغي فكرة كده، لو ضبطت تبقى فرصة

بدا "آدم" كمن يقرأ أفكاره بوضوح فهتف بنزق:

- اوعى تقول إنك عاوز تجيب "فرح" تغطي الليلة

التوى ثغره بابتسامة مأكرة وهو يرد:

- احنا نخط اسمها ونوصي عليه عند القادة، تبقى المراسلة البحرية و...

قاطعه "آدم" بتوجس ملحوظ:

- شكك ناوي تعيده تاني

لكزه بظهر كفه قائلاً بغرور وهو يغمز له بطرف عينه:

- بس المرادي بمزاجي أنا!

لم يبدو عليه التأثير بكم الحماس المريب على وجه رفيقه، بل على العكس كان مزعوجاً
من فكرته تلك حتى وإن بدت له منطقية لإعادة الشمل، همس من بين شفثيه قائلاً:

- ربنا يستر !!

.....

الفصل السابع

ولأنها تشكل محور حياته واعتاد على البوح بكل ما يخصه لها، فلم يستطع منع لسانه من الصمت عن كشف مخطط رفيقه لإحضار زوجته بالطرق الرسمية لتكون إلى جواره في مهامه التدريبية، تملك "شيء" الحماس معتقدة هي الأخرى أنها فكرة جيدة لرأب الصدع في علاقتها المهترئة حاليًا وتوطيد الصلة بينهما، توجهت سريعًا إلى غرفة صغيرتها سلمى حيث تلاعبها "فرح" ببراءة فغفت الصغيرة من كثرة اللهو والضحك بين يديها، دثرتها جيدًا في الفراش ثم سردت عليها بإيجاز ما أبلغه به "آدم"، تعقدت تعبيراتها وتحولت نظراتها للانزعاج، عبست "فرح" بفمها هاتفة باحتجاج شديد:

-لأ طبعًا مش موافقة! هو مصدق

انزوى ما بين حاجبيها باستغراب وهي تقول:

-ده "آدم" بيقولي فرصة حلوة ليكي، هاينتلك في مجالك و...

قاطعتها بإصرار عنيد رافضة الإصغاء لها:

-مش هايحصل، أنا ويزيد مش هانتجمع في مكان ثاني مع بعض

انتابتها حالة من القلق بسبب عنادها الرافض، فسألتها بتوجس:

ليه بس كده؟

ردت مبررة وقد تشنجت تعابير وجهها:

-موضوع إني أكون مراسلة صحفية معاه بقي بايخ أوي، وقديم ومتكرر!

استنكرت "شيء" أفقها المحدود والضيق في تفسير الأمور قائلة:

-مش ده شغلك

ردت عليه موضحة موقفها الرافض:

-ايوه بس مش معاه!

ضاقَت نظراتها لتضيف بانفعال ملحوظ:

-أنا ممكن أشتغل في أي مكان ثاني إلا إني أكون وياه، لأ وفي الوقت ده بالذات!
تعجبت كثيرًا من حالة الرفض المسيطرة عليها، والتي كانت منافية للمنطق، فيزيد زوجها ويحبها حبًا جمًّا، وهي لا تريد إعطاء ذلك الحب فرصة للنمو، دنت منها "شيء" واضحة يدها على ذراعها لتضغط عليه قليلاً وهي تقول بترث محاولة إقناعها بالعدول عن رأيها الخاطئ:

-يا فرووحة إتي مش مدينة نفسك فرصة أبدًا، عاوزه تفضلي حابسة نفسك في الأحزان وبس، وده غلط عليك!

زمت "فرح" شفيتها نافخة بصوت مسموع قبل أن ترد بضجر:

-أنا عاوزه أعرف راسي من رجليا!

توترت نظراتها وهي تكمل بصعوبة:

-أنا عاوز أرتب حياتي الأول، كل حاجة بقت ملخبطة معايا جدًا

مدت "شيء" يدها لتضعها على وجتها، مسحت عليها برفق، ثم ابتسمت قائلة بود:

-معلش يا حبيبتي، فترة وهتعدي!

تحولت تعبيراتها للجدية حينما تابعت عليها تستطيع استمالة عقلها وإزالة تلك الغشاوة عنه:

-وبعدين إتي ربنا يبحبك، تخيلي لو كنتي عرفتي بكذب اللي ما يتسمى.. قصدي يعني المرحوم، ساعتها كنتي هاتعملي إيه؟ ده من رحمة ربنا إنه بعدك عن العيلة دي

لمست فيها وترًا حساسًا بالحديث عن أكلوبة حبها السابق والذي أعطته جزءًا من مشاعرها، ابتلعت "فرح" غصة مريرة في حلقها قائلة برجاء رغم جدية نبرتها:

-بلاش نفتح في القديم

ردت عليها "شيء" معللة:

أنا عارفة إنه بيضايقك الكلام في الموضوع ده، بس إتي بتظلمي نفسك ويزيد معاك، ده إنسان لعب بمشاعرك وكذب عليك واستغل حبك ليه وعاش حياته زي ما هو عاوز، ده كفاية إنه اتجوز وخلف، لأ وكان مطلقك كمان و....

قاطعتها تلك المرة بحدة رغم توسلها:

عشان خاطري كفاية بقي

استشعرت انزعاجها الكبير من ضغطها المستمر عليها، تهدت مرددة بهدوء:

أنا أسفة إن كنت بأضغط عليك، بس إتي صعبانة عليا

أدركت أنها باتت محاصرة منها، لن تستطيع الإفلات من أسئلتها المتكررة، ومن حديثها الجاد الذي سيقظ بداخلها المزيد من الأوجاع التي تجاهد لدفنها، لن تصمد أمامها لذلك الأسلم لها حاليًا ترك ذلك المكان قبل أن تنهار فيه، هتفت فجأة بنزق وقد تبدلت قسماتها للجمود:

-شيء أنا هامشي

انقبض قلبها من تلك الكلمة فاعترضت طريقها هاتفة بخوف:

-رايحة فين؟

ردت بتنهيذة متعبة:

محتاجة أفضل لوحدي فترة

وضعت "شيء" يدها على طرف ذقنها تفكره بخوف، ربما أخطأت في بوحها بما لا يجب قوله، حاولت إنقاذ ما يمكن إنقاذه قائلة:

بس أنا وعدت "يزيد" إنك

قاطعتها مرددة بصرامة رافضة محاولاتها للنقاش:

ده قراري

وقفت "شيء" أمامها تسد عليها الباب بجسدها وهي تتوسلها:

-اهدي بس بلاش انفعال، خلاص مش هاتكلم في حاجة

هتفت "فرح" قائلة بعناد أكبر:

-شيء أنا مقدرة اللي بتعمله عشانى، بس حقيقي أنا محتاجة أكون لوحدي أرتب أفكارى كلها من أول وجديد

استسلمت الأخيرة أمام إصرارها فتركها بالغرفة تعد حقيبتها استعدادًا لذهابها، تسلمت سريعًا إلى داخل غرفتها لتتمكن من محادثة زوجها وتخبره بما استجد في أمرها

.....

وكانها قرعت نواقيس الحرب في رأسه ليمتلكه الغضب الأعمى المزوج بنوبات انفعالاته المتهاجة، وجد رفيقه صعوبة في السيطرة عليه وضبط أعصابه المنفلتة بعد أن أبلغه بما أخبرته به "شيء"، هدر "يزيد" صائحًا بتشنج وهو يضرب بقبضته المتكورة ضلفة دولابه المعدني بعنف:

-تجننت دي!

أحدث ضربه القوية صوتًا مزعجًا لكنه لا يقارن بتهديده الصريح:

هي عاوزاني أنزل أجيبها من شعرها

اعترض "آدم" طريقه قائلاً بتوجس:

-أهدى بس، الدنيا ليل، إنت كده هاتعمل قلق في المكان
لوح "يزيد" بيده هادراً بغيط وقد برزت مقلته بجمم ملتهبة:
ياخي هو بقى فيا عقل عشان تقولي أهدى، الهانم عاوزة تبات لوحدها وتقولي أفكر
وأرتب حساباتي!

رد "آدم" مازحاً كوسيلة للتخفيف من حدة الأجواء المشتعلة مسبقاً:
تلاقيا ماشية بمبدأ سترونج انديبنندت وومن (امراة مستقلة)
هتف "يزيد" من بين أسنانه المضغوطة بشراسة:

-أنا هاطلع أم السترونج ده على دماغها
كتم ضحكته بعصوبة وهو يرد بهرج:

-مالكش حل، إنت.....

قاطع "يزيد" بنبرة محتقنة مستنكراً استخفافه بالأمر:

-اسكت الله يكرمك، أنا مبوء منها وعمال أصبر نفسي وأقول أديها فرصة، بكرة تعقل،
لكن كل يوم بتتهبل عن اليوم اللي قبله
رد عليها وهو يومئ برأسه:

صواميل مخها فوتت

احتقنت أعينه على الأخير وبدا وجهه أكثر تصلباً وهو يقول بوعيد مهدد:

-بس مابقاش "يزيد" جودة إن ما ضبطتها من أول جديد

استشعر "آدم" احتمالية إقدامه على شيء متهور ربما يدفعه للندم لاحقاً، فأردف قائلاً
بنبرة عقلانية عله يصني إليه:

راعيها بس شوية، هي برضوه حزينه على أمها، وفي حيرة وموضوع القسم واللي حصل فيه مآثر عليها

قست نظراته قائلاً بزجرة مقلقة:

ده مش حجة يعني، أنا جوزها مش مرافقها

لاحظ "آدم" احتقان وجهه بتلك الحمرة المخيفة والتبدل السريع في حالته الهائجة، خشي من تفاقم الأمور معه فحذره بجدية:

طيب خلاص اهدى وهانشوف هنتصرف ازاى!

احتدت نظرات "يزيد" قائلاً بغموض مريب:

المرداي مش هابعملها الشرطة العسكرية

اتسعت حدقتي "آدم" متسائلاً بتخوف:

هاتعمل ايه؟!

أجابه بنبرة أكثر غموضاً أثارت الريبة في نفسه:

هاعرفك بعدين، ما احنا حباينا كثير!

ابتلع "آدم" ريقه متيقناً أنه رفيقه سيقدم على شيء سيهره بالتأكيد، أخرجه من شروده السريع حينما تابع بصلافة:

المهم دلوقتي كلم مراتك وقولتها تعمل اللي هاقولك عليه بالحرف

هز رأسه بإيماء موافقة وهو يرد:

ماشي

أشار "يزيد" بسبابته محذراً:

مش عاوز غلط

ضرب "آدم" على صدره بقوة مرددًا بتفاخر ممزوج بالحماس:

-اطمن، وراك رجالة!

.....

كان عليها أن تطيع زوجها حينما أمرها بوضع أحد الأقراص المنومة -والتي تستعملها عند الحاجة- في مشروب بارد لتخدير "فرح" كوسيلة خفية لتعطيلها لبعض الوقت، لم يكن الرفض خيارًا متاحًا أمامها، فامتثلت "شيء" لطلبه دون نقاش وشرعت في إعداد المشروب، طحنت القرص ومزجته مع السكر لتخفي طعمه ثم وضعت كأس المشروب في صينية لتحرك بعدها في اتجاه غرفة صغيرتها، وقفت قبالة "فرح" مرددة بحزن ملحوظ في نبرتها:

خلاص يا فروحة نويتي تمشي؟

أجابتها الأخيرة باقتضاب وهي تغلق حقيبة سفرها:

-ايوه

أضافت "شيء" قائلة برجاء فرما تستجيب لها:

حطب استني للنهار!

ضبطت "فرح" من سترتها الرمادية الداكنة، وعدلت من وضعية ياقة قميصها الأسود قائلة بإصرار:

حابة أفضل مع نفسي

يئست من إقناعها بالعكس، هي متشبثة برأيها، تهدت قائلة وهي تمد يدها بالمشروب نحوها:

سراحتك، بس اشربي ده يروق دمك
أشارت لها "فرح" بكفها مرددة باعتراض لبق:
-ماليش نفس حاجة، تسلمي
أصرت "شيء" على ارتشافها إياه قائلة بالحاح:
-معلش، ده عصير فريش هيروق دمك يا فروح، هاتكسفي إيدي؟
لم ترغب في إحزانها فتناولته منه قائلة بابتسامة صغيرة مجاملة رسمتها على شفيتها:
طيب

بادلتها "شيء" نفس الابتسامة لكنها كانت قلقة وهي تقول:
-ألف هنا وشفا

انتهت "فرح" من ارتشاف أغلبه ثم أسندت الكأس على أقرب طاولة لتتجه بعدها
للمرأة محدقة في هيئتها لمرة أخيرة، هتفت قائلة بهدوء وهي تتأكد من ضبط رباط
شعرها المعقوص كذيل الحصان:
-بأقولك أنا كنت هاطلب تاكس.....

بترت عبارتها مجبرة فقد شعرت بثقل كبير يعصف برأسها وبدوار عنيف يزلزل الرؤية
أمامها، ترنخت في وقتها وحاولت الاعتدال لكن ذلك الخدر المهلك تسرب إليها بقوة،
أظلمت الدنيا في عينيها وقبل أن تسقط فاقدة وعيها تعلققتها ذراعي "شيء" التي
أسندتها بكل قوتها مانعة إياها من الارتطام، جرجرتها ببطء نحو الفراش لتمدها عليه
وهي تتم بخفوت:

-ربنا يساعني بقي

.....

قطع أشواطًا من طريقه الطويل عله يصل إليها قبل أن تستفيق من غفلتها الإجبارية، تحجج لقائده برغبته في اصطحابها بنفسه لتتولى مهامها الجديدة بعد أن زح باسمها ضمن المرشحين لتغطية الأخبار الخاصة بهم كمراسلة معتمدة، ونجح في مسعاه بإقناعهم بها، بالطبع عملها السابق كان كفيلاً بتركيتها، وصلة القرابة بينها وبين أكفأ الضباط منحها أولوية عن غيرها، بالإضافة إلى بعض التوصيات والدعم من ذوي المعارف من القادة المرموقين، وافق قائده الأعلى على طلبه مانحًا إياه إذنًا بعدد من الساعات للسفر وإحضارها، فلم يتوان عن القدوم إليها قاطعًا المسافات بسيارته عدوًا إليها.

جلس "يزيد" على المقعد الذي سحبه بالقرب من فراشها يطالعها بنظرات مطولة، حدق في ساعة يده متوقعًا عودتها بين لحظة وأخرى إلى وعيها، تأوهت بصوت خفيض وناعس وهي تحرك رأسها للجانبين، لم تفتح "فرح" عينيها بعد بسبب ذلك الصداع القوي الذي يؤثر عليها، تشاءبت بصوت خفيض وهي ترمش بجفניה لتعتاد على الإضاءة، همست بصوتٍ شبه ناعس:

دماغي ثقيلة كده ليه؟ آه، أنا فين!

انتفضت في نومها مذعورة حينما رأت زوجها جالسًا قبالتها يطالعها بنظرات غريبة، استندت على مرفقيها لترفع جسدها قليلًا وهي تسأله بصوت مرتبك:

-بتعمل هنا إيه؟

تحدث من زاوية فمه قائلًا بتهكم:

سجاي في مهمة رسمية يا أستاذة

أقلقتها نبرته الغير مريحة والتي تنذرهما بشيء أكثر غموضًا، انتصبت في جلستها على الفراش متابعة بتحذير شديد اللهجة:

لو بتفكر تعمل اللي في دماغك، فصدقي مش هايحصل!

رد عليها بهدوء مريب:

-واتي تعرفي دماغي فيها إيه؟

أجابته بثقة:

-أيوه

كتف "يزيد" ساعديه أمام صدره متسائلاً بغرور وتلك الابتسامة المتغترسة تعلو
ثغره وكأنه يعتمد الاستخفاف بقدراتها العقلية:

طب قوليلي يا سيادة المحققة المحترفة أنا بأفكر في إيه؟

استشعرت طريقته المستهزئة بها فهتفت بانفعال مستخدمة يدها في التلويح:

-أنا مش هاروح معاك في حته، ولو حكمت هاستقيل من شغلي خالص عشان ترتاح
و.....

تلجلجت نبرتها حينما أرخى ساعديه لينحني بجسده نحوها فتراجعت بتوتر للخلف
متحاشية اقترابه المقلق، حدق فيها بنظرات أكثر إصراراً عن ذي قبل، نظرات تفهمها
جيّداً، همس لها من بين شفثيه قائلاً بثقة أصابتها بالاضطراب:

-ده في عرفك! مش في عرفنا!!

ازدردت ريقها بارتباك أكبر مستشعرة قوته من مجرد لفظ تلك الكلمات الموحية بالكثير،
استجمعت جأشها لتقول بتحدٍ:

-وأنا مش هاروح معاك في حته!

رأت ابتسامة مأكرة تتشكل على ثغره امتزجت بقوة نظراته، أشاح بوجهه للجانب صائحاً
بنبرة عالية:

-آدم!

جفل جسدها من صوته المرتفع، وزاد توترها مما ينتوي على فعله، لمحت "آدم" وهو يلج للغرفة ليظهر أمامها حاملاً بعض الأوشحة السوداء في يده، انزوى ما بين حاجبيها باستغراب، لم تكد تفيق من دهشتها المتسائلة حتى داهمها "يزيد" بتطويق ذراعيها، صرخت مفزوعة وهي تسأله:

-إنت بتعمل إيه؟

رد ببرود شل تفكيرها مؤقتاً:

-اختطاف قسري!

وقبل أن تشرع في الصراخ حذرها بصرامة:

-لو صوتي الفضيحة ليكي!

نظرت بأعين قلقة إلى رفيقه تتوسله:

-خلي صاحبك يعقل، بلاش جنان

رد "آدم" بمزاح وقد رسم علامات الجدية على تعبيرات وجهها:

-سيادتك أنا بأخذ الأوامر منه ولو خالفته هيوديني ورا الشمس

استشاطت نظراتها من دعمه له، وما زادها غيظاً هو مساعدته في تقييد يديها بأحد

تلك الأوشحة -وكذلك قدميها- هدرت فيه بصوت متشنج مهددة إياه:

-هشتيك للقيادة بتوعك، هاقولهم على اللي بتعمله!

رفع حاجبه للأعلى مردداً بعدم أكثر:

-وماله!

كم "آدم" فمها ليمعها من التفوه بأي حماقات لا تعرف توابعها، خاصة أن طليقة رفيقه السابقة "هايدي" استخدمت مثل تلك العبارات في تهديده سابقًا، وأتت النتائج سيئة على الجميع، مرر "يزيد" ذراعيه أسفل جسدها ليتمكن من رفعها من على الفراش، انتفضت كليًا محاولة الخلاص منه، لكن بالطبع فشلت مقاومتها وحملها عنوة نحو الخارج، نظرت لها "شيء" بإشفاق فلم يكن بيدها أي حيلة، فزوجها يهتم حقًا بأمرها وهي لا تعطيه الفرصة لإظهار ذلك، هتفت قائلة برجاء:

خذ بالك منها

التفت "يزيد" برأسه نحوها قائلاً:

اطمني، دي مراقي برضوه

تلوت "فرح" أكثر بجسدها مستجمعة كل قواها لتتحرر من قبضتيه المحكمة حولها، لم يهتم كثيرًا بما تفعله، أدار رأسه للجانب الآخر قائلاً بصيغة أمرة:

غطي وشها

اتسعت حدقتها باستنكار أكبر حينما رأت "آدم" مقبلاً عليها وهو يقول:

دي أوامر

غلف عينيها بالوشاح فجب الرؤية كليًا عنها ليزداد الوضع غرابة وغموضًا معها، تراجع مبتعدًا بعد أن أتم مهمته ليودع زوجته التي أوصته بإبقاء أعينه مفتوحة على كليهما ليتدخل وقت اللزوم بينهما، اقترب "يزيد" من باب المنزل، فالتقى بها على كتفه مكملًا سيره نحو الخارج ليصطحبها معه بالإكراه !!!

.....

الفصل الثامن

وبحذر شديد أجلسها على المقعد الخلفي بسيارته متأكدًا من تمددها عليه، ظلت "فرح" تتلوى بجسدها محاولة الخلاص من القيود الإجبارية التي شلت حركتها بالكامل، مال "يزيد" على أذنها يهمس لها بشيء ما، ثم اعتدل في وقفته قبل أن يصفق الباب ويلتف حول السيارة ليجلس خلف المقود، تبعه "آدم" ليلحق به كي يضمن عدم تطور المشادات بينهما، هتف متسائلًا بجديّة:

-كله تمام معاك؟

التوى ثغر "يزيد" قائلاً بثقة مغترّة:

-اطمن! دي مراقي

سأله مهمّتا:

- احنا رايجين فين دلوقتي؟

أجابه بغموض زاد من ريبة زوجته الأسيرة بالخلف:

- هتعرف!

نظر له "آدم" مطولاً محاولاً سبر أغوار عقله، فعادة حينما يقدم رفيقه على أمر ما لا يفعله إلا إن كان مدروساً وبعبارة، لكن مع زوجته وتصرفاتها الغريبة مؤخراً أصبح التنبؤ بأفعاله شيئاً مقلّماً، ضبط "يزيد" من وضعية المرأة لتظل أنظاره مسلطة على زوجته التي لم تتوقف عن الحركة أو الحديث بصوتها المكتوم طوال الطريق، بعد برهة وصل بها إلى بنائها السابقة، صف السيارة أمام المدخل، فتساءل "آدم" بفضول:

- احنا بنعمل ايه هنا؟

غمز له "يزيد" دون أن يجيبه ليثير في نفسه الشكوك أكثر، لم يتوقف عقل "فرح" عن التفكير فيما تلتقطه أذنيها من كلمات مقتضبة تضاعف من قلقها وخوفها، بالطبع فهمت أنه يفعل ذلك عن قصد ليجعلها تعيش في حالة من التخبط والحيرة حتى لا يفسد عليها أي محاولة للمقاومة أو الرد بشراسة، هو يعتمد استخدام تكتيكات الحرب واستراتيجيات التخطيط معها وكأن ما بينهما معركة حامية، أخرجها من تفكيرها المحتقن ضده شعورها بيديه عليها، انتفضت أكثر مع رفعه لجسدها ليحملها بين ذراعيه نحو المجهول، لم تر أي شيء بسبب الوشاح الذي يعصب عينيها، لكنها خمنت أنها لم تبعد عن القاهرة، فهو لم يتحرك بالسيارة لمسافة طويلة، سمعت صوته الأمر يردد:

- استناني هنا شوية

أتاها صوت "آدم" قائلاً:

- ماشي، بس م...

قاطعته "يزيد" بجدية:

خلاص بقى!

ظلت رغبًا عنها مستسلمة لحمله لها حتى سمعته يفتح باب منزل ما، هنا ازداد خوفها وارتعدت أوصالها، وتضاعفت دقات قلبها، ورغم ذلك تسرب إليها إحساسًا بالارتياح والسكينة، كان بالمكان رائحة ما تعرفها جيدًا، شيئًا جعل خوفها يخبو ويتضاءل تدريجيًا، لم تدم رهبتها كثيرًا حينما وضعها على الفراش مزيجًا العُصابة عن عينيها، رمشت بجففيها عدة مرات لتعتاد على الإضاءة قبل أن تدير رأسها في كافة الاتجاهات لتكتشف أين هي.

تجمدت نظراتها على كل قطعة بالغرفة، إنها في منزلها القديم، وتحديدًا في غرفة والدتها وعلى فراشها، "آدم" عت عيناها تأثرا، جلس "يزيد" إلى جوارها على الفراش ممددًا يده نحو بشرتها، ابتسم لها قائلاً:

فراشتي، أنا جبتك هنا زي ما كان نفسك

لم تستطع الرد عليه بسبب تكميه لفمها، لكن نظراتها الممتنة كانت واضحة للعيان، تابع مضيقًا بتحذير:

أنا هاشيل البتاعة دي عن بؤك، بس يا ريت ما تعملش حاجة مجنونة!

أومأت برأسها بالإيجاب فأزاحها عنها، لكنه لم يحل بعد وثاق يديها أو ساقها، خرج صوتها متحشرجًا وهي تقول:

إنت بتعمل ليه كده؟

احتضن وجهها بين راحتيه قائلاً بخفوت وهو ينظر مباشرة في عينيها اللامعتين:

عشان مش عاوزك تبعدني عني!

خشيت من الاستسلام لمعسول كلماته الدافئة التي تخدر أوجاعها، فأخرجت تهيدة
مثقلة بالكثير من صدرها، تابع هامسًا بابتسامة صغيرة:

- احنا اتفقنا ننسى اللي فات، صح؟

وكانها تحاول الهروب من حصار أسئلته التي تبدد خوفها، رفعت يديها المقيدين أمام
وجهه لتقطع تأمله العاشق لها، أخفض قبضيه عنها ليحل وثاقها ضاغطة على شفثيه
مرددًا:

- كل حد فينا مر بتجارب قاسية، وعاش وقت صعب، فمش عاوزين نقف عند اللي
حصلنا كتير

تابع فك وثاق ساقها مضيقًا:

- ارمي ورا ضهرك وكلّي حياتك عادي

فركت "فرح" معصمها دون أن تنبس بكلمة حتى هتف ناطقًا بنبرة أذابت حصونها
الجليدية:

- أنا بأحبك، ومش هاتخلي عنك

تجمدت أعينها على وجهه الذي أشرق مع نظراتها إليه، مد يده يتلمس بشرتها فسرى
تيارًا قويًا في جسدها، همس لها "يزيد" مؤكدًا:

- الحب بينا كان وليد اللحظة، كبر رغم المشاكل والظروف، فبلاش نضيعه في لحظة
مالناش ذنب فيها

ردت بصعوبة مقاومة موجة العواطف التي تحاصرها:

- خايفة أصدق وأعيش الوهم من تاني

ابتسم قائلاً بعذوبة وهو يمسخ على وجنتها برفق:

حبنا مش وهم!

انسابت دمة حبيسة من طرف عينها لم تستطع منعها من الانهيار لتترك العنان بعدها للبقية، حزت رؤية عبراتها في نفسه وأوغرت قلبه نحوها، هو مدرك لحجم الصراع الداخلي في نفسها، أراد أن يخرجها من تشتتها ويعبر عن حبه الصادق لها، بلا تفكير طويل أحنى رأسه على شفيتها طابعًا قبله حسية عليها، تفاجأت "فرح" بما فعلته واتسعت حدقتها باندهاش مصدوم مع ازدياد دقات قلبها، زاد من تعميق قبلته ليمنعها لحظيًا عن التقاط أنفاسها سائحًا للمزيد من مشاعره المتلهفة لها بالتدفق إليها.

تراجع برأسه مبتعدًا عنها هامسًا بصوت شبه لاهث:

-بأحبك يا فراشتي!

نظرت له مصدومة وقد نهج صدرها من فرط الحماس المفاجئ، احتضن وجهها براحتيه ليقربها إليه من جديد معاودًا تكرار قبلاته المشتاقة لها، لم تبد أي مقاومة معه، همس لها من بينهم:

هافضل جملك على طول

ارتوت "فرح" لبرهة من عواطفه الجياشة التي أذاقها لها بالتتابع، تناسى كلاهما للحظات ما وقف عائقًا بينهما، حثته استجابتها المقتنة على زيادة جرعة مشاعره بتهمل حذر حتى انخرطا كلاهما في مشاعر أشد قوة وأكثر التحامًا.

.....

على الجانب الآخر ظل "آدم" مرابطًا أمام باب السيارة يراقب المارة بنظرات شاردة في بعض الأحيان، وبنظرات مزعوجة في أحيان أخرى، طرق بأصابعه على سقف السيارة متسائلًا بامتعاض:

هو طول فوق معاها كده ليه؟

هو يعلم أن رفيقه يرغب في مساحة من الخصوصية للحديث مع زوجته وإقناعها بسوء اعتقادها فيه، لكن ما يقلقه هو احتدام الجدل بينهما وربما تطوره للأسوأ، مط فمه للجانبين مضيئاً بتوجس طفيف:

-ربنا يستر وماتقلبش معاهم بخناقة

انتبه لتلك الاهتزازة القوية في جيب بنطاله العسكري فأخرج هاتفه منه لينظر في شاشته، فرك طرف ذقنه مردداً لنفسه بعد أن عرف هوية المتصل:

-مش مريحة نفسها، ولا مخبرين الحكومة

ضغط "آدم" على زر الإجاب هاتفاً بمرح:

-أهلاً بالشاويش عطية

ردت "شيء" بحدة ظاهرة في نبرتها:

-بطل بواخة وقولي إنت فين؟

أجابها بغموض استفزها:

-في أرض الله الواسعة

صاحت به هاتفه بانفعال:

-إنت لازم تدوخني معاك يا "آدم"، قولي "يزيد" عمل ايه مع "فرح"؟

أجابها باقتضاب:

-ولا أعرف

سألته بفضول أكبر:

ليه هو إنت مش معاهم؟

أجابها بتبرم متلفتًا حوله:

-أنا مذبول تحت يا حاجة

ردت متسائلة باهتمام:

-مذبول، مش فهماك، حصل إيه عندك؟

أوضح "آدم" مقصده قائلاً بتهيدة متعبة وهو يعاود الجلوس داخل السيارة:

-يزيد أخذ "فرح" وطلع على بيت أمها وأنا مستنهم تحت

أناه صوتها الصارخ بعصبية:

-وليه تسديهم لوحدهم؟

مرر "آدم" يده على رأسه يفركها عدة مرات وهو يقول باستنكار:

-راجل ومراته، طبعي يعتقدوا يتكلموا لوحدهم ولا لازم أكون عزول بينهم؟!

هدرت فيه بضيق:

-مش جازر يتخافقوا ولا يد ايده ويضرها وتبقى ولعت على الآخر، كلم صاحبك

وشوف بيعمل ايه وطمني بسرعة، يالا سلام!

أبعد الهاتف عن أذنه ليحرق في شاشته مصدومًا، لكن أنهت زوجته المكالمة معه فجأة

دون سابق إنذار ليردد بعدها بازدراء:

-وربنا رفدي من الخدمة على إيدكم إنتو الجوز!

.....

ربما لحاجتها الملحة لمشاعر تحتويها وتسحبها إلى عالم آخر بعيدًا عن أحزانها المتواصلة
كان السبب الرئيسي في تجاوبها مع أحاسيسه القوية، تخلت "فرح" عن حذرها وتذوقت

معه طعمًا جديدًا لمفهوم الحب العميق، خطت ياراتها نحو ما قدمه لها منتظرة أن يغدق عليها بالمزيد، تمددت على الفراش وهو إلى جوارها حاجبًا عن عقله كل شيء إلا التعبير عنه عشقه لها، انحنى "يزيد" عليها مستندًا بمرفقيه على جانبي الفراش لينظر لها عن قرب شاعرًا بحرارة أنفاسها تداعب وجهه وتلهب قلبه أكثر، طالعها بنظراته العاشقة مكثفيا بلغة الصمت في تلك اللحظة الخاصة جدًا، ولكن أتت الرياح معها بما لا تشتهي السفن، قطع خلوتها رنين هاتفه المحمول فتصلب جسده وتبدلت حواسه، أطلق "يزيد" سبة خافتة من بين أسنانه المضغوطة وهو يبتعد عن "فرح" التي تراجعت للخلف ململة شتات نفسها بخجل كبير رغم كون ما تفعله معه طبيعيًا.

نهض عن الفراش ليحجب عن الهاتف وهو يقول بحلق بائن في نبرته:

-عاوز إيه؟

رد عليه "آدم" قائلاً:

-إنت هتبات عندك فوق، ما تنزلوا بقى

سبه "يزيد" منفعلًا:

-تصدق إنك.....!!

تخرجت "فرح" من طريقته الحادة في الحديث رامشة في عينيها وهي تحاول ضبط انفعالاتها المرتبكة، هتف "آدم" متسائلًا بضيق:

حطب وليه الغلط بس

هدر فيه "يزيد" بصرامة شديدة:

-اقفل يا "آدم" السعادي

-اوعى تكون اتعصبت على البنية الغلبانة اللي معاك

رد عليه مغتاضًا من مماطلته وثرثته الزائدة:

-إنت ناوي على موتك النهاردة

تذكرت "فرح" أن "آدم" بصحبتهما ينتظرهما بالأسفل، هو لم يصعد معها لمنزلها وبالتالي انزعج من تأخيرهما الغير مبرر، بل وربما هداه تفكيره لشيء تخجل من التفكير فيه، هتفت بصوت متوتر:

قوله احنا نازلين

استدار "يزيد" برأسه نحوها مبدئيًا سخطه من فساد لحظاته معها مرددًا بتجهم:

-عاجبك كده؟

رد عليه "آدم" بنبرة حائرة:

هو في إيه؟ أنا مش فاهم حاجة

توعده قائلًا بعيط:

-هاطلعهم على جتتك

ضبطت "فرح" من هيئتها وهي تحرك جسدها لتنفض عن الفراش مستشعرة تلك السخونة الفائقة المنبعثة من بشرتها، خجلت كثيرًا مما أقدمت عليه، عضت على شفتها السفلى مسرعة في خطواتها قبل أن يراها زوجها، لكنه التفت نحوها فاعترض طريقها بجسده متسائلًا بجدية:

-استني رايحة فين

ارتبكت أكثر وتحاشت النظر إليه وهي تجيبه بتلعثم:

-أحم.. أنا داخله الحمام

مسح بظهر كفه على صدغها بنعومة مستشعرًا رعشتها الخفيفة من تلمسه لها وهو يهمس لها بنبرة ذات مغزى:

- احنا ملحقناش نكمل آ.....

قطم عبارته عمدًا ليميل برأسه نحوها آملًا أن ينال من على شفيتها المغريتين قبلة أخرى لكنها أبعدت وجهها عنه قائلة بجدية لا تتناسب مع الموقف:

- وقت تاني، دلوقتي ورانا شغل يا سيادة المقدم!

رفع حاجبه للأعلى مستنكرًا ما تردده، ابتسمت له ابتسامة متسلية وهي تقول بعث غامزة له بطرف عينها بثقة لا تعرف من أين أُنْتها في تلك اللحظة:

-وانت عارف الأوامر .. أوامر!

رد عليها متحديًا:

-شكلي أنا اللي لبست

لم يسمح لها بالمرور وحاوطها فجأة من خصرها بذراعيه، قربها إليه بقوة ملصقًا جسدها به، شهقت مذهولة من حركته المباغتة تلك، ونظرت له بتوتر أكبر

تابع مضيئًا بغطرسة:

-مش المقدم "يزيد" جودة اللي ينسحب من معركته في أولها

انفجرت شفاتها معبرة عن صدمة أكبر فتلقاها بشفتيه ليكمل معركة مشاعره الحماسية معها بصورة عملية.

.....

ضجر من انتظاره المطول بالأسفل في السيارة فأمال مقعده المنتصب ليتحول إلى ما يشبه الفراش مستدعيًا سلطان النوم ليؤدي عمله المعروف، أفسد عليه أمنياته اتصالات "شيء" المتكررة والتي نغصت عليه هدوئه، اعتدل في جلسته هاتفاً بتبرم:

-ارحمي أمي شوية بقي

هتفت "شيء" بغضب:

ما أنا لو ينفع أجي عندك كنت جيت، بس بنتك مدوخاني معاها، وأنا عقلي مش فيا و....

قاطعها قائلاً بهدوء عليها تصمت قليلاً وتكف عن مخاوفها الغير صحيحة:

يا شيموو يا حبيبتي، سيبي الراجل يتفاهم مع مراته على طريقته

ردت موضحة سبب خوفها:

-"فرح" راكبة دماغها على الآخر، ويزيد عنيد ومش هايسكت، يعني هتولع يا "آدم"

رد مبتسمًا بثقة:

-لا، اطمني

صاحت فيه بجدة:

-إنت على قلبك مراوح

هتف مازحًا:

-واتي الصادقة تكيف ٨ حصان!

توعده قائلة بغیظ:

-ماشي يا "آدم" ، مسيرها تتردلك!

لمح بطرف عينه أطياف أشخاص ما تأتي من المدخل، دقق النظر فاتضحت الرؤية
كاملة أمامه، فهتف بحماس عجيب بعد أن رأى "يزيد" مقبلاً عليه مشبكاً كفه في يد
زوجته:

-أهوم نزلوا وجايين عليا

سألته "شيء" بتلهف:

ها "فرح" عاملة إياه؟

أجابها بمرح:

-الضحكة من الودن للودن!

ردت غير مقتنعة:

شكلك بتشتغلني و.....

ابتلعت عبارتها مجبرة حينما سمعت "فرح" تقول برقة:

معلش عطلناك

ترجل "آدم" من السيارة قائلاً بابتسامته اللطيفة:

عادي ولا يهملك، طمنوني إيه الأخبار معاكو؟

أجابه "يزيد" بنبرة ذات مغزى وهو يشير له بعينه:

زي ما إنت شايف، سمعة على غسل!

لكزه برفق في كتفه مداعباً:

-أموت أنا في الفطير المشلتت!

كتمت "فرح" ضحكها بصعوبة وهي تستقل السيارة في حين استدار "يزيد" نحوها
ليتخذ موضعه فيها، وضع "آدم" الهاتف على أذنه من جديد هامسًا:

-سامعة يا شيمو، سلام يا رويتر الشرق الأوسط!

دس الهاتف في جيبه ليجلس في المقعد الأمامي إلى جوار رفيقه، التفت برأسه للخلف
محدثًا في وجه "فرح" المتورد وهو يقول:

-منورانا يا "فرح"!

ردت بابتسامة خجلة:

-ميرسي

اعتدل في جلسته قائلاً بصيغة شبه أمرة ليزيد:

-اطلع بينا يا دفعة على الوحدة

انزوى ما بين حاجبي الأخير مرددًا بنبرة متصلبة:

-مين ده اللي دُفعة؟

ابتسم "آدم" بسخافة مدركًا أنه مزحته تلك لم تكن موقفة بالمرّة، خاصة وأن عبوس
وجه رفيقه كان السمة السائدة عليه، أشار بسبابته نحو النافذة قائلاً وهو يبتلع ريقه:

-تخاريف نوم، ماتخذش في بالك يا سيادة العقيد أركان حرب مشير

هزت "فرح" رأسها للجانبين مبتسمة من دعاباته المتواصلة والتي تضفي لمسة مرحة في
خضم المشكلات مخفّفًا بهم وطأة الضغوط المستمرة على الجميع، تنفست بعمق وهي
تدير رأسها للجانب لتحقق في الطريق بنظرات شاردة، فأمامها تحد جديد يحتاج منها
المثابرة والقوة خاصة بعد استسلامها الغير متوقع مع دفء حب "يزيد" لها.

.....

غفت أثناء رحلة الذهاب إلى الوحدة التدريبية فلم تشعر بما يدور حولها، فقد تمكن منها الإرهاق والتعب بالإضافة إلى ما ترتب على جسدها من آثار مجهودها الزائد في علاقتها الحميمة مع زوجها، استيقظت بصعوبة على إثر صوته القائل:

حبيبتي، احنا وصلنا

اعتدلت "فرح" في جلستها الغير مريحة مستشعرة ذلك الألم الذي ضرب عنقها وكثفها بسبب تيبس عضلاتها، فركتها برفق وهي تتلفت حولها ناظرة بعشوائية إلى ذلك المكان الذي أتت إليه، لم يكن غريباً عليها بالمرّة؛ إنها نفس الوحدة العسكرية التي أقامت بها من قبل، تساءلت بصوت شبه متحشرج:

هو احنا جاين هنا ليه؟

أجابها "يزيد" بوجه خالٍ من التعبيرات:

-يعني مش عارفة؟

ردت متسائلة باستغراب ملحوظ على نظراتها:

هو مش هزار واتفاق مع "شيء" و..؟

هز رأسه نافيًا:

-لا طبعًا

أطال نظراته نحوها قائلاً بمكرٍ غامض:

بس المرادي مش هاتبقي لوحذك يا فراشتي!

قطبت "فرح" جبينها مستشعرة وجود أمر خفي وراء جملة المريبة تلك، أكدت لها عيناه ذلك، بل وأثارت فضولها ببراعة، سأله باهتمام جاد:

-قصذك ايه؟!!

الفصل التاسع

انزوى ما بين حاجبها معلناً عن حيرة صريحة ممزوجة بالاندهاش والفضول، لم يرد على أسئلتها المتكررة مشيراً لها بيده لتترجل من السيارة وهو يتراجع مبتعداً عنها، لحقت به "فرح" بوجه عابس محاولة الوصول إليه، دقت النظر في أوجه الضباط والمجندين الذين ألقوا عليه التحية العسكرية حينما مرق من جوارهم، أسرع أكثر في خطواتها لتصل إليه هامسة:

-يزيد، لو سمحت استنى وفهمني قصدك ايه؟

أبطأ في سيره مستديراً نحوها بجسده المنتصب بشموخ ليقول بغموض أكبر:

هنتكلم في مكنتي

رأت في نظراته نحوها تسلية واضحة وكأن في إصابتها بالخير متعة خفية لا تفهمها، ردت باقتضاب دون أن تتبدل تعبيراتها المزعوجة:

طيب

تعمد السير بخطوات أسرع لتبدو هي كمن يركض خلفه حتى بلغ مكتبه، توقف فجأة ليلتفت نحوها فارتطمت ب صدره نتيجة اندفاعها السريع، وضع قبضتيه على ذراعها قائلاً بابتسامة صغيرة:

-الكلام ده ماينفعش هنا، ولا إتي ايه رأيك؟

نظرت له بغرابة قليلة في البداية، فهي لم تفهم مقصده، لكن نظراته الموحية وطريقته في الابتسام أوصلت لها المغزى المخجل منه، توجهت قسماتها أكثر وهي ترد بانفعال طفيف:

عيب كده!

رد بلهو:

-إتي فهمتي إيه بالضبط؟

اشتعل وجهها بحمرة ملفتة للأنظار، فالتسعت ابتسامته مع نجلها الواضح، غمز لها قائلاً: واضح إن.....

شحذت "فرح" قواها بالكامل لتراجع بغضب للخلف متحررة من قبضتيه ومستنكرة تفكيره المتجاوز وإفصاحه عن ذلك علناً صائحة بتحذير ومانعة إياه من إكمال جملته:

-يزيد!

رد بصرامة أدهشتها:

هنا ما فيش يزيد، في سيادة المقدم!

هتفت بذهول بعد أن اكتسى وجهها بعلامات الاندهاش:

نعم

قست تعبيراته وهو يضيف بقوة تعرفها جيداً:
-الرسميات أساس التعامل بيننا من هنا ورائح!
استنكرت طريقته الجافة في التعامل معها خاصة بعد تلك اللحظات الحميمة التي سادت
بينهما، تساءلت بتعجب وقد زاد عبوسها:
-أومال اللي حصل عندي في البيت كان إيه؟
رد ببرود وهو يدس يديه في جيبي بنطاله:
كان حاجة طبيعية لازم تحصل بين أي اثنين متجوزين يا مدام "فرح"
استشعرت أنه استغلها بطريقة مأكرة ليحصل على مراده منها فردت بعصبية طفيفة:
مش فاهمة كلامك!
تهد قائلاً بفتور ليثير حنقها:
-بعدين نتكلم في ده، مش وقته
كظمت غيظها منه ل تمنعه من التلاعب بأعصابها، كتفت ساعديها أمام صدرها متسائلة
بتذمر:
-او كي، سيادتك جايني هنا ليه بقي؟
أخرج يده من جيبه ليفرك بها طرف ذقنه قائلاً بغموض مقتضب:
-شغل!
سألته مستفهمة بوجه متشنج:
-ايه هو؟
رد بجذر:

تغطية المناورة، بس المرادي مش لوحده
سألته بلهجة شبه أمرة وقد فاض بها الكيل للحصول على إجابات شافية لتساؤلاتها
المنطقية في وضع كهذا:
وضع أكثر

استخدم "يزيد" يده في الإيضاح قائلاً:
في طاقم مراسلين عرب هايكون معاكي لأن المناورة دي مشتركة مع بعض الدول
العربية، احنا عملنا تركية باسمك للقادة عشان تكوني زي المرشدة ليهم، وهما وافقوا
لوت ثغرها مرددة باعتراض ملحوظ:
نعم؟

تابع ببرود وكأن عصبيتها المرئية لا تعنيه شيئاً:
هاتقومي بدورك الصحفي عادي، بس مكلفة بمتابعتهم ومراقبة أي تجاوزات تحصل،
يعني زي العصفورة كده
وكانه يتعمد التحقير من وظيفتها بطريقة شبه لبقة، أرخت ساعديها لتلوح بذراعها في
الهواء وهي تهتف باحتجاج:
معلش في حاجة كده مش وصلالي، ازاي أنا هابقي مسئولة عن الناس دول وأنا
صحفية زي زيه
تحرك خطوة للأمام نحوها ليقف قبالتها، رمقها بنظرات ثابتة أشعرتها بقوته وهو يرد
بصرامة:

مش من حقك تسألني، إنتي تنفذي الأوامر وبس
تحدثه قائلة بشجاعة:

-لأ من حقي، إنت مش....

رفع سبابته أمام وجهها محذراً بلهجة شديدة وقد احتدت نظراته:

خدي بالك من لهجتك، إنتي هنا مش مراقي، إنتي تحت أمري، وأي مخالفة فيها جزاء، ومش هارح أي حد يقصر

فغرت شفتيها مشدوهة من أسلوبه الجاف في التعامل معها، ليس ما قاله مزاحاً، بل إن تعبيراته ونبرته وحتى نظراته تؤكد لها جدية ما يقول، سألته بعدم تصديق وهي ترمش بعينيها:

-ده بجد؟

انتصب في وقفته لبدو أكثر شموخاً عن ذي قبل قائلاً:

هو في هزار هنا، وأظنك مجرباني

هزت رأسها مصدومة من عودته لأسلوبه القديم متناسياً ما بينهما من روابط حالية، تابعتها "آدم" من على بعد متوقفاً حدوث المزيد من المشادات والتحديات في الأيام القادمة بين الاثنين، حك مؤخرة رأسه هامساً:

-واضح كده إن "يزيد" أعلن الحرب، وفترة الهدنة فركش!

أشار "يزيد" بيده لـ "فرح" قائلاً بصيغة أمرة:

-تعال ورايا

ضغطت على شفتيها مانعة نفسها من التفوه بأي حماقات وتبعته بخطوات متعصبة إلى داخل غرفته، سحب مقعده للخلف ليجلس عليه متباهياً وواضعاً ساقيه على سطح مكتبه، نظرت له "فرح" بضيق مبدية انزعاجها من تصرفه الفظ معها، اقتربت من المقعد لتجلس عليه لكنه أوقفها صائحاً بجفاء:

-أنا أمرتك تقعدي

تجمدت في مكانها مصدومة من رده المباغت، نظرت له بأعين متسعة وهي تقول
بذهول تام:

-افندم؟!

نظر لها بغرور متابعًا بعجرفة واضحة:

-شغل العشم والمحبة برا مش هنا

وضعت يدها على منتصف خصرها قائلة بازدراء:

هي بقت كده

أنزل "يزيد" ساقيه عن مكتبه ليهب واقفًا وهو يقول بصلافة:

-أيوه، لازم تفرقي بين علاقتنا برا ووجودك هنا، إتي زيكي أي حد مجند ومكلف
بشغل!

هزت جسدها بعصبية قائلة بامتعاض:

-في تعليمات تانية ولا اتفضل أروح أوضتي

تقوس ثغره بابتسامة مغتررة قائلاً:

-نسيت أقولك، إتي مش هتفضلي هنا

ضاقت نظراتها وانزوى ما بين حاجبيها متسائلة بتجهم:

-أومال هاقعد فين؟

أشار لها بحاجبه ليزداد انفعالها فصاحت بتهكم وهي تشير بيدها:

-اوعى تكون ناوي تخليني أنام في العنبر مع العساكر بتوعك، ماهو إنت.....

قاطعها هاتفاً بصرامة مهدداً إياها حينما استشعر من حديثها إساءة لشخصه:

-اقطعي الكلام لحد كده أحسنلك!

تحرك "يزيد" ليقف قبالتها يحدجها بنظرات أقلقتها، بادلته نظرات مزعوجة وهي ترد بعبوس:

-شكراً على ذوقك

هتف قائلاً بسخرية:

-مش للدرجادي، أنا مغلطتش في البخاري يا مدام!

ضاحت ذرعاً من أسلوبه المستفز والمثير في نفس الوقت لأعصابها، هتفت بنبرة متشنجة رغم بذلها مجهوداً ليخرج صوتها هادئاً:

-يزيد لو سمحت بلاش الطريقة دي معايا

رد ببرود مغتر:

-اسمي المقدم يزيد

يئست من الحديث معه، وأدركت أن أي جدال حالياً لن يجدي نفعا، تنهدت قائلة باستسلام:

حبيب، ممكن أمشي بقى؟

لمعت عيناه بوميض خفي وهو يقول بمكر:

-مش لما تعرفي الأول هاتقعدي فين!

توجست خيفة من كونه يدبر لها شيء ما سيزعجها، فسألته باقتضاب وقد تركرت أعينها عليه:

فين؟

أشار لها بسبابته وهو يدفعها من كتفها ليتحرك نحو باب الغرفة:

تعالى ورايا

تأوهت من قوة ضربته المتعمدة واطعة يدها على كتفها تتحسسه، نظرت له شزراً
كأتمة غضبها منه في نفسها، لحقت به هامسة بوعيد:

طيب

.....

انتظرهما "آدم" بالخارج حتى ينتهيا من الحديث سوياً، لكن حينما لمحهما يخرجان من
الغرفة اعترض طريقهما متسائلاً باهتمام:

على فين كده؟

أجابه "يزيد" بجدية وهو يسير بخطوات شبه سريعة وثابتة:

هوديها الإمداد والتموين

أوماً "آدم" برأسه مردداً بنبرة عادية:

أها، مع الوفد اللي هابقعد هناك

نظرت له "فرح" باندهاش قليل، فلم يبدو على رفيقه أي علامات للاستغراب، إذاً
فالموضوع معروف لديه مسبقاً، انتهت لصوته القائل الذي أخرجها من شرودها المؤقت
حينما قال بمرح:

انجوي يا "فرح"، هناك أرجم من هنا بكثير!

أبطأت من خطواتها لتهمس له بضيق واضح عليها:

صاحبك رجع لعاداته القديمة معايا، أنا مش هاستحمل الأسلوب ده
ابتسم لها ابتسامة سخيفة محاولاً امتصاص ضيقها وهو يقول مدافعاً عنه:
قلبي كان حاسس بده، بس مش هاتقلب بغم على طول!
نظرت له بجدة قائلة:

سجد، كده أنا ارتحت

اتسعت ابتسامته مضيئاً:

-أنا مش عاوز أقلقك، واطمني أنا في ضهرك لحد ما أتحول للتحقيق!

ميرسي على الـ support (دعم) بتاعك

رد متباهياً وقد انتصب بكتفيه العريضين:

طبعاً ده أنا رياضي قديم

التفت ناحيتهما "يزيد" ليرمقهما بنظرات محذرة فصمت كلاهما عن الحديث ليتبعاه خطاه
دون التفوه بالمزيد.

.....

لاحقاً، ولج "يزيد" إلى داخل إحدى الغرف الفندقية الخاصة بفندق (الإمداد والتموين)
التابع للقوات المسلحة متفقدًا محتوياتها بدقة، تبعه أحد المشرفين قائلاً بابتسامة صغيرة
امتزجت مع نبرته الرسمية وهو يشير بيده موضحاً:

دي يا فندم غرف الإقامة الخاصة بالنزلاء هنا!

مط فمه للأمام مبدئياً إعجابه بها وهو يقول:

-تمام!

ولجت "فرح" هي الأخرى لداخل الغرفة تتأملها بنظرات خاطفة لكنها شمولية، بالطبع المكوث في مكان كهذا أفضل بكثير من البقاء في وحدة عسكرية تقيد حريتها، لكنها كانت تطمح للتواجد بالقرب من زوجها كي تعتاد أكثر على حياتها معًا، تبخرت أحلامها بسرعة البرق مع صرامته الغريبة التي عادت للطوف من جديد لتؤثر على علاقتهما، انزوت عند أحد الأركان متابعة تفقد الغرفة بتهيدة متعبة، أكل "يزيد" تجوله بالمكان حتى بلغ الشرفة، أزاح الستائر جانبًا لينظر إلى المشهد الطبيعي الخلاب الذي تطل عليه الغرفة متابعًا بجدية:

-الأوامر مشددة على الضيوف اللي جاين، مش عاوز تقصير معاهم
رد المشرف بثقة:

-اطمن يا فندم، ده شغلنا، ومعروف عامل إزاي
تساءلت "فرح" بفتور رغم سذاجة طبيعة السؤال:
هو أنا هبات هنا؟

-استدار "يزيد" ناحيتها قائلاً:
ايوه، أكيد مش جايبك هنا منظره!
تجاهلت رده السخيف مولية إياه ظهرها وهي ترد بتعال:
-اوكي، مش بطل

أشار "يزيد" للمشرف بعينه لينصرف، فامتلل الأخير لأمره بصمت تاركًا مفتاح الغرفة على الطاولة، تحرك نحو الخارج مغلقًا الباب خلفه ليتركها معًا، ورغم شعوره بضيقها الزائد منه نتيجة صلابته المفتعلة معها إلا أنه لم يظهر لها أي تعاطف، استطرد حديثه متابعًا بجدية:

طبعًا هتلاقي ملخص عندك بالمواعيد والمطلوب منك بالظبط!
التفتت برأسها نحوه ترمقه بنظرات مطولة فأكمل محذرًا:
-أتمنى ماتستغليش إنك مرااتي وتكسفيني
استشاطت نظراتها من إتهامه الباطل بسوء الاستغلال فهتفت محتجة بغضب:
على فكرة إنت كده بتقلل مني
رد ببرود استفزها على الأخير:
-وجايز إتي تقللي مني
احتقن وجهها بحمرة مضاعفة من طريقته تلك، هدرت فيه بتشجب وقد برزت عروقها
من جانب عنقها:
خلاص بناقص منها، أنا هاقدم اعتذار، مافيش داعي إننا.....
قاطعها ببرود أكبر وهو يلوي ثغره للجانب:
-مرفوض
صاحت فيه بانفعال:
-هو بالعافية
رد متحديًا بهدوء استثارها بشدة:
-ايوه، وأي اعتراض معناه مخالفة الأوامر
تشنجت عضلاتها من أسلوبه الفظ، كورت قبضة يدها ضاغطة على أصابعها بقوة
وهي تردد هامسة في محاولة بائسة منها لتهدئة ثورتها التي تشتعل بداخلها:
-استغفر الله العظيم يا رب

راقبها "يزيد" مستمتعاً بكل ما يفعله معها ليدفعها لإثبات نفسها من جديد وانتشالها من بوتقة الأحزان التي كادت تلقي بنفسها فيها، مد يده يتلمس بظهر كفه وجتها الملتهبة بحمرتها الغاضبة قائلاً:

-بس شكلك حلو واتي متعصبة

أزاحت يده عنها مبعدة رأسها للخلف وهي تقول بتشنج:

لو سمحت إيدك!

زادت ابتسامته العذبة مغاللاً إياها بهدوء:

-بأحب عينيك وهي هتطق شرار كده

رمقته بنظرات حادة وهي تقول بضيق:

دي معاكسة يا سيادة المقدم؟

غمز لها قائلاً بهمس عابث:

-لا، ده استدراج

توترت نظراتها وهي تسأله بعدم فهم:

-لايه بالظبط؟

توهجت عيناه بوميض العاشقين قائلاً بصوت خفيض أربكها:

لحاجات ماينفعش تتقال

ازدردت ريقها مرددة بارتباك:

مش فهم...

مد يده ليمسك بكفيها بنعومة قضت على تلك الخشونة الزائدة معها في لحظة غريبة،
أخفضت نظراتها لتحقق فيه بصدمة، أحنى رأسه على وجهها هامسًا بتهيدة حارة:

-بأحبك

رمشت بعينها غير مصدقة ما يفعله الآن، كان على النقيض تمامًا، عاد إلى طبيعته
السابقة، شعرت بوجود خدعة خفية في الأمر، فحاولت أن تسحب كفيها منه قائلة
بتبرم:

-إنت فيك حاجة

تجاهل محاولاتها الفاشلة للتملص منه ليسحبها إلى أحضانه وهو يحاططها من خصرها
بذراعه متمتًا بنبرة أقرب للهمس متأملًا وجهها بنظرات متيمة:

مش مصدق إنك معايا ثاني!

خفق قلبها بقوة لمجرد ضمه لها، شعرت بقوته وتأثيره الطاغى المسيطر على حواسها
يتسلل عبر جلدها ليصل إلى خلاياها، بدت ضعيفة للغاية وهي تستسلم لمعسول
كلماته المتغزلة بها والتي تذيب أي حواجز جليدية صنعها بطريقته، وضعت "فرح"
يديها على صدره تدفعه قدر استطاعتها لتتخلص من حصاره لها وهي تقول باضطراب:

-سيادة المقدم، إنت....

قاطعها واضعًا إصبعه على شفتيها:

هنا مافيش إلا "يزيد" حبيبك وبس!

آمال رأسه أكثر عليها لتزداد أنفاسه سخونة على وجتها وهو يضيف:

ده مش وقت كلام

اختطف قبلة صغيرة من على شفتيها شعرت معها بتهديد صريح باجتياح مشاعرها، حاولت دفعه من جديد ومقاومة ما يقدمه لها فاستخدم يديه في الإمساك بمعصمها، أدارهما خلف ظهرها ليلصق جسدها ب صدره، لم تستطع الهروب من حصاره، أحنى من جديد شفتيه على شفتيها معمقًا من قبلته الثانية لها ليتضاعف من خلالها تلك المشاعر الحسية التي عرفت الطريق إلى قلبها وحواسها التي اشتعلت في لحظة، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى فرض سيطرته عليها ليسحبها كليًا معه بحنكة مقاتل محترف إلى عالم العشق والغرام !!

.....

ظلت تضرب يديها على فخذيها وهي عاقدة لعصبة ما حول رأسها عل الصداع الذي يعصف بها يهدأ قليلاً، مالت كريمة بجسدها للجانبين تندب سوء حظها بعد أن فشلت خطتها في إتعاس "فرح" وإفساد حياتها لتقلب الطاولة عليها وتصبح في موضع الاتهام، اقتربت منها ابنتها حاملة كوباً به مشروب الليمون البارد لتقدمه لها قائلة:

-تفضلي يا ماما، اشربه ها يروق دمك ويهديكي

تناولته منها وهي ترد على مضض:

-ودي ها يروق ازاي وبنت الإيه هتسجني!

ارتشفت منه القليل لتروي عطشها ثم أسندت الكوب على الطاولة المجاورة لها، راقبتها كاميليا في صمت مبدية حزنها بسبب أزمته القانونية الحالية، تهتت قائلة وكأنها تفكر بصوت مسموع حينما استمرت أمها في الندب والتحسر:

-أحنا قولنا لك من الأول يا ماما بلاش السكة دي مع "فرح"!

ضربت بكفيها معاً وهي ترد بانفعال:

-وأنا إيش عرفني إنها مسنودة من الطابط إياه، أتصرف أنا ازاي دلوقتي؟

لطمت بكفيها من جديد على فخذيها لتردد متحسرة:

على آخر الزمن يترفع عليا قضايا!

رفعت يديها عاليًا مكملة بحركة واضحة في نبرتها:

-إلهي ربنا ينتقم منك ويعكن عليك عشتك!

عbst كاميليا بوجهها وهي تنهرها بحذر:

حرام يا ماما، كفاية الله يكرمك، احنا.....

قاطعتها كريمة بغضب متعصب:

-بس اسكتي، أنا هاموت منها، لأ وأبوكي منفض دماغه وشال إيدته من الموضوع

خالص، تقوليش ماصدق يخلص مني

ثم التفتت برأسها للجانب لتبصق هامة:

-راجل ناقص بصحيح!

لم تلتقط أذني ابنتها تلك السبة الخافتة فواصلت حديثها المسترسل موضحة بجدية:

-بصي يا ماما، أنا هاقولك على حاجة وأتمنى إنك تسمعيها مني، من الآخر حل الموضوع

ده في إيد "فرح" نفسها، يعني لو احنا كلمناها كده واتفهمنا معاها بالراحة جازز تننازل

ونبقى في غنى عن كل المشاكل والقضايا دي

رفعت كريمة حاجبها للأعلى معلنة عن رفضها الساخط لاقتراحها، هدرت فيها بانفعال

كبير موجحة إياها بشراسة:

-بقى إتتي عاوزاني على آخر الزمن أروح أتدل للبت دي؟ ترضهالي يا بنت أبوكي!

ضغطت ابنتها على شفتيها مبتلعة تعنيفها على مضض قائلة:

-لا ذل ولا حاجة، مش أحسن من البهدة وقلة القيمة

لكزتها والدتها في كتفها صائحة بزجرة:

-شوفيلي حاجة غير دي! مش هايحصل أبدًا أروح للبت الفقر دي وأسترجاها!

لوت كاميليا ثغرها للجانب مرددة بيأس:

خلاص اسألي المحامي وهو يقولك

نظرت كريمة لها شزرًا قبل أن تعاود اللطم على فخذيها مرددة بنبرة مغلولة:

-منك لله يا بعيدة، أشوفك والعة قصادي!

هزت كاميليا رأسها للجانبين مستنكرة تحامل والدتها عليها رغم كونها المخطئة منذ البداية في حقها، لم تتحمل المزيد فنهضت من جوارها تاركة إياها بمفردها تسبها وتلعنها بحنق أكبر.

.....

لم تصدق استسلامها السريع لتأثيره الطاعني وكأنه يحثها على "آدم" ان عشقه لها يعطاها جرعات زائدة من حبه اللا محدود لترتشفها باستمتاع عجيب لتغرق أكثر في أبحر غرامه، باتت لحظاتها الحميمة خالدة وغير قابلة للمحو من الذاكرة، ضمها "يزيد" إلى صدره بقوة لتنعم بأحضانها ماسحًا بيده الأخرى على بشرتها برفق، طبع قبلة على جبينها وهو يهمس لها:

-بأنسى الدنيا كلها وأنا معاك

داعبت "فرح" صدره العاري بأناملها بنعومة، رفعت رأسها لتحقق في أعينه التي تطالها بشغف صريح، عبست بوجهها متسائلة بعتاب رقيق:

حطب ليه المعاملة الناشفة دي معايا؟

تهد قائلاً بهدوء:

-أنا عاوزك تفرقي بين شغلنا وحبنا يا "فرح"

عقدت ما بين حاجبيها مستغربة رده، اعترضت قائلة بتذمر:

صعب ده يحصل، أنا مقدرش أفصل مشاعري عن.....

قاطعها مرددًا بجدية:

في شغلنا دي اتعلمنا نعمل كده، وإتي المفروض تبقي زي

اعتدلت "فرح" في نومتها لتبتعد عنه قائلة بإصرار:

مش بالساهل ده يحصل!

كان مقتنعًا باعتقاده الذي يناقض تفكيرها بوضوح، ومع ذلك لم يجادلها كثيرًا، فهو ليس بحاجة إلى إفساد أوقاته المميزة معها، جذبها مجددًا من معصمها إلى أحضانه بقوة فسقطت على صدره، حاصرها بذراعيه هامسًا:

سيبك من ده دلوقتي، وخلينا أسلم عليكي قبل ما أمشي يا فراشتي

لم تستطع الإفلات منه فاستندت بمرفقيها على صدره، نظرت في عينيه وهي تسأله بضيق انعكس على تعبيرات وجهها:

إنت مش هاتفضل معايا؟

أجابها مبتسمًا:

لا

تجهمت قسماتها أكثر وهي تضيف بتساؤل عابس:

طب ليه؟

زفر قائلاً بضيق طفيف:

- "فرح" إتي مش مركزة معايا، صعب نكون سوا

استخدمت قوتها لتراجع عنه متحررة من قبضتيه التي ارتخت عنها لتتهف معترضة:

وايه الصعب في ده؟

اعتدلت في جلستها لتتابع بحدة:

ما احنا زمان كنا سوا وفي نفس الوحدة وحتى الفرقاطة أنا كنت معاك فيها

لوى ثغره قائلًا بهدوءٍ حذر:

قبل كده مكونتيش مراقي

قطبت جبينها متسائلة:

ودي مشكلة؟

رد موضحًا بنبرة عقلانية علها تفهم الغرض من إبقائها بعيدة عنه:

مش حاب يا "فرح" حد يفهم وجودك غلط ويفكر بس إني جايبك هنا عشانك

مراقي، لأنني ساعتها مضمنش هاعمل إيه

بدت غير مقتنعة بمبرره فردت بامتعاض ظاهر على نبرتها ونظرتها إليه:

للدرجادي

التقط كفها بيده يداعبه بأصابعه وهو يقول بجدية:

أيوه، إتي ماتتصوريش أنا ممكن أعمل إيه

قربه من فمه ليقبله بحنو وهو يطالعها بنظراته التي تعشقها، تهدت منسحبة من جدالها

معه، فحتمًا محما حاولت إقناعه بالعكس لن يقبل بتواجدها معه، هو حسم أمره وانتهت

المناقشة فيه، ابتسم قائلًا ليحو أثر أي ضيق:

فراشتي!

ردت بوجهٍ خالٍ من التعبيرات:

نعم

أكمل بهدوء:

رجالتنا في الفندق هنا تحت أمرك، أي حاجة هتعوزيها هتلاقيا مجابة، وكل حاجتك موجودة هنا، أنا خليت "شيء" تجهزلك شنطتك وآدم حطها في العريية
ابتسمت قائلة بسخرية:

ده إنت مخطط لكل حاجة

تجاهل تهكمها الواضح في عبارتها الأخيرة متابعا بجدية:

ركزي بس في اللي طلبته منك، قومي بشغلك كصحفية ومصورة، وراقبي الموجودين معاك

أشاحت بوجهها للجانب لترد ساخرة:

على آخر الزمن هاتشغلي جاسوسة

اعتدل "يزيد" في جلسته ل يبدو أكثر قربا من وجهها الذي أدارته بعيدا عنه، وضع إصبعيه أسفل ذقنها ليديره نحوه، ابتسم قائلاً بعبث:

أحلى جاسوسة عندي

مال على شفيتها ليختطف قبلة أخيرة مطولة وعميقة ليبت في أوصالها حبه العاصف فأشعل حواسها وألهب قلبها من جديد، ابتعد عنها ليتأملها فوجدها مغمضة العينين تلهث بخفوت من انحباس أنفاسها، احتضن وجهها براحتيه قائلاً بصوت خفيض:

هتوحشيني اليومين اللي هاتغيبي عني فيهم

فتحت عينيها سريعا لتحقق فيه مصدومة وهي تسأله:

هو أنا مش هاروح الوحدة

هز رأسه نائفا وهو يقول:

لأ، اليومين دول أنا مضغوط ومش هأكون فاضي حتى أهرش
بدا الإحباط واضحًا في نظرتها إليه، لم يكن بيده أي حيلة، فتلك هي طبيعة وظيفته
العسكرية، حافظ على ثبات ابتسامته وهو يضيف:

متزعلش يا حبيبتي!

قبلها تلك المرة من أرنية أنفها قبل أن يربت على وجنتها برفق، ظلت "فرح" عابسة
الوجه وهو ينهض عن الفراش ليتجه إلى المرحاض، تابعتة بأعين مستاءة محدثة نفسها
بامتعاض:

سجد حاجة بايخة أوي!

استغرق "يزيد" بعض الوقت لكي يغتسل ويعاود ارتداء ثيابه من جديد، ظلت هي
متمدة على الفراش حتى انتهى من إعداد نفسه ليقول بعدها محذرًا:

أتمنى إنك ماتعمليش أي مشاكل هنا لأن زعلي وحش

رفعت "فرح" حاجبها للأعلى متعجبة من التحول السريع الذي بات عليه شخصه،
فقبل دقائق كان يهيم في وادي العاشقين مادحًا حبهما، والآن هو ذلك الفظ الغليظ
الذي يملئ عليها أوامره، رمشت بعينيها غير مصدقة أنه يتغير بين لحظة وأخرى، هتفت
قائلة باستنكار:

ده اسمه إيه ده كمان؟

ضبط "يزيد" من سترته العسكرية ليقول ببرود:

أوامر يا مدام "فرح"!

لوح لها بإصبعيه وكأنه يؤدي التحية العسكرية لها وهو يبتسم لها بغرور مستفز قبل
أن يتركها بمفردها لينصرف من الغرفة دون أن يتحدث بالمزيد، تلون وجهها بحمرة

مغتاضة منه، شعرت أنه يستغلها عن عمد فقط للحصول على متعة وقتية معها، تغلغل تلك الفكرة في عقلها، نفث دخانًا من أذنيها هاتفه بحنق:

-ماشي يا يزيد، ابقى قابلني لو ده حصل ثاني!

.....

عاد إلى وحدته العسكرية لينزوي بمكتبه هناك ليفكر بجدية في تصرفاته معها، هو يعلم أنه قد بالغ معها بعض الشيء، وربما سينعكس ذلك بالسلب على علاقتها العاطفية ويؤثر عليها نوعًا ما، لكنه كان يأمل أن يجعلها ذلك تتخلى عن أحزانها تمامًا وتنسى ما مضى، تخبط أفكاره من كثرة إرهاق عقله لوضع كل الاحتمالات في أسوأ الظروف وأفضلها، أخرجه من تفكيره العميق رنين هاتفه المحمول، التفت نحوه ليلتقطه ضاغطًا على زر الإيجاب بعد أن قرأ اسم المحامي يصدق على شاشته، استطرد حديثه متسائلًا:

-خير يا أستاذ؟

أجابه الأخير بحماس:

-كل خير يا سيادة المقدم، أنا بأطمئن حضرتك في إجراءات القضية، جلستين ثلاثه بالكثير وهاتكون خلصانة

انتصب في جلسته قائلًا بجدية وقد قست نظراته على الأخير:

عظيم، عاوزهم يتربوا، ويعرفوا هما غلطوا مع مين

أتاه رده مؤكدًا:

هايحصل يا باشا

تابع "يزيد" بسخطٍ وهو يضرب بقبضته المتكورة على سطح مكتبه:

مش مراقي اللي تنهدل على آخر الزمن وأسكت عن حقها

متقلّش يا باشا

أنهى معه المكالمة قائلاً:

لو في جديد ثاني عرفني

حاضر يا سيادة المقدم!

ألقى "يزيد" بعدها بالهاتف بفتور على سطح مكتبه معيداً ظهره للخلف، وضع يديه أعلى رأسه يضغط عليه بقوة محاولاً التوقف عن التفكير في الانتقام ممن تسبب في حزنها، ولج إليه "آدم" متأملاً علامات الانزعاج الواضحة عليه باهتمام وهو يسأله:

ليه الأخبار؟

رفع وجهه في اتجاهه ليتحدث من زاوية فمه قائلاً:

عادي

سحب "آدم" المقعد إلى جوار رفيقه، جلس عليه متسائلاً بجديّة:

- "فرح" كويسة؟

سحب "يزيد" نفساً عميقاً زفره دفعة واحدة وهو يرد:

ايوه، سايبها في الفندق

ابتسم رفيقه مضيئاً:

- زمانتها بتضرب أخماس في أسداس من اللي بتعمله فيها

رد بعبوس ملحوظ:

خليها تفوق وتركز معايا أحسن

حذره "آدم" قائلاً بنبرة جادة وهو يشير بعينه:

يا خوفي تقلب ب.....

قاطعه الأخير قائلاً بلهجة شبه امرأة:

سيبك دلوقتي، أنا مش هوصيك تتابعها اليومين الجايين في غياي، إنت عارف هابقي

ملبوخ في الدورة اللي قبل المناورة

أوماً "آدم" برأسه بالإيجاب مرددًا:

-تمام، دي مرات أخويا، يعني مش محتاجة وصاية

رن هاتف "يزيد" من جديد فنظر بطرف عينه نحوه ليلمح اسم "فرح" مضيئًا عليه،

نكس رأسه يأنهاك متجاهلاً الرد عليها مما أثار فضول رفيقه الذي سأله بنزق:

-إنت مش هاترد عليها؟

ظل مطأطأ الرأس وهو يقول بفتور:

لا

بدا "آدم" قلقًا على حال رفيقه الذي لم يكن طبيعيًا بالمرة، تشدق متسائلًا بجدية:

مالك يا يزيد؟ إنت تصرفاتك غريبة اليومين دول

رفع رأسه ليحييه على مضض وهو يجاهد للحفاظ على هدوئه:

مضايق يا "آدم"، مخنوق من جوايا

ليه كده؟

أجابه بتشنج شبه ملحوظ وقد احتدت نظراته:

-إنت مش متخيل موضوع الزيت اللي كانت متجوزاه عامل إيه فيا، مخليني عاوز أولع

في عيلته كلها

فرك "آدم" طرف ذقنه مضيئاً بامتعاض:
إن جيت للحق طلع عيل لعب عليها صح!
تشنجت تعبيرات وجه "يزيد" وهو يقول:
-"فرح" ماتستهلش ده، وخايف عليها من كتر الصدمات تتهار ثاني
حذره "آدم" من مغبة التماذي في تصرفاته قائلاً:
بس طريقتك معاها ممكن
رد مبرراً:
أنا بأرجعها ل"فرح" بتاعة زمان
ابتسم رفيقه مازحاً:
وانت الصادق إنت رجعت "يزيد" بتاع زمان اللي بيشخط وينطر و....
قاطع مبتسماً وهو يدفع مقعده للخلف لينهض عنه:
سيبها على الله وبيننا نروح نرتاح، الأيام الجاية كلها محتاجة تركيز!
ماشى
قالها "آدم" وهو يعيد وضع المقعد في مكانه السابق ليتحرك بعدها خلف رفيقه مكملأً
معه ثرثته الروتينية عن العمل المطلوب إنجازه.

.....

ذرعت الغرفة جيئة وذهاباً تجوبها بعصبية واضحة بعد أن تجاهل اتصالاتها المتكررة
وكأنها نكرة لا تعنيه شيئاً ليرسخ أكثر في ذهنها فكرة استغلاله لجسدها دون الاكتراث

بمشاعرها، استشاط داخلها غضبًا فجلمت على طرف الفراش تهز ساقيها بعصبية وهي تكز على أسنانها قائلة بوعيد:

-بقي كده يا يزيد، طيب هاتشوف "فرح" هاتعمل إيه معاك بعد كده
انتهت "فرح" لرنين الهاتف الذي اهتز في يدها من جديد فنظرت له بتلهف معتقدة أنه هو، أصيبت بإحباط مضاعف حينما خاب أملها وكانت المتصلة هي رفيقتها إيلين، ألقت الهاتف على الفراش رافضة الحديث معها، نهضت من مكانها قائلة بعناد:
-أنا مش هافضل كده في مكاني أكل في نفسي، هو مفكرني إيه؟ ده أنا مراته، هاروحه والي يحصل يحصل!

اتجهت نحو خزانة الثياب تنتقي منها ما ترتديه سريعًا لتذهب إليه وهي مشحونة مقدمًا بغضب يصعب السيطرة عليه !!!

.....

الفصل الحادي عشر

تأثقت في ثياب شبه رسمية وهي تسير بخطوات متعجلة نحو مدخل الفندق، للحظة شعرت أن هناك أعين ما تراقبها، فالكّل يطالعها بنظرات غريبة، حافظت "فرح" على ثباتها متابعة سيرها السريع حتى بلغت الاستقبال، تسمرت قدماها حينما اعترض طريقها أحدهم قائلاً بجدية:

-أستاذة "فرح"

نظرت له بنظرة شاملة وهي ترد متسائلة:

-ايوه، في حاجة؟

أوما برأسه متسائلاً:

-في حاجة ناقصة سيادتك أجيبالك؟

ضاقت أعينها نحوه وهي ترد بتجهم كبير:

-لا

أشار لها بيده متابعاً بابتسامة سخيفة:

حبيب، حضرتك تقدري تتفضلي فوق

ارتفع حاجباها للأعلى معبرة عن اندهاشها مما قاله توّا وكأنه يأمرها ولكن بلغة أكثر

تهدياً، لوت ثغرها مرددة بصدمة:

-افندم

رد موضحاً بجدية:

عندنا أوامر تمنع سيادتك من الخروج

صاحت محتجة بانفعال ملحوظ:

-أوامر مين دي إن شاء الله؟

أوماً برأسه قاتلاً بهدوء:

-المقدم "يزيد" جودة

انفجرت شفتها معلنة عن صدمة أكبر وهي تقول:

ده بجد؟

كورت قبضة يدها لتضغط على أصابعها وهي تكمل بغیظ:

هو مافيش كلام بيمشي هنا إلا كلامه

تجاهل غضبها الواضح ببرود هادئ وهو يرد بإصرار:

-اتفضلي يا فندم

لوحت بيدها في الهواء صائحة باحتجاج:

-أنا محدش يقولي أعمل ايه

ضبط انفعالاته أمامها مضيئاً بجدية رسمية:

يا أستاذة دي أوامر عليا، وأنا هنا مطلوب مني أنفذه، فمن فضلك اطلعي ارتاحي

فوق ولو ناقصك حاجة احنا هنجيها لك

رمقته بنظرات حانقة قبل أن توليه ظهرها وتعود من حيث أتت متوعدة إياه بغیظ:

حبيب يا يزيد، هاتشوف، مش إنت اللي هاتمنعني أجيلك

اتجهت "فرح" نحو المصعد تضرب زر استدعائه بعنف، سمعت صوتاً يقول من خلفها

بجدية:

مع الأستاذة يا عسكري!

نظرت له من طرف عينها بحدة وقد تضاعف حنقها بداخلها من تصرفات زوجها الرسمية والجافة معها، لكنها لن ترضخ بسهولة لما يمليه عليها.

.....

عادت "فرح" إلى غرفتها تتم بكلمات غاضبة ورغم ما يفعله معها إلا أنه لم يثنها عن عنادها، وقفت أمام خزانة الملابس تختار وبدقة ما يجعلها تبدو غير مرئية للمتواجدين بالأسفل، فإن كانت محاصرة من قبل رجاله فستستخدم أساليب التخفي والهروب للتسلل من الفندق، وقعت عينها على كنزة رياضية خضراء ذات غطاء رأس عريض، وكذلك سترة رمادية داكنة ستفيدها في تخبئة وجهها، بدلت ثيابها ببنتال جينز وارتدت الكنزة والسترة معاً، ثم قامت بنثر خصلات شعرها لتجذب جزءاً كبيراً من وجهها، لفت حول عنقها سماعة حديثة لتبدو كمن يستمع للأغاني أثناء تجوله، طالعت هيتها في المرأة، وتأكدت من تغيير ملامحها بصورة جذرية، تنفست عدة مرات بعمق لتتقدم على الخطوة التالية.

فتحت باب غرفتها بحذر ثم علقت على المقبض بالخارج لافتة "رجاء عدم الإزعاج"، تسللت بخفة نحو الممر ومنه إلى الدرج الجانبي، هبطت عليه متعمدة الظهور بمظهر رياضي كامل، وصلت إلى الاستقبال وبقي أمامها فقط اختراق البوابة، استشعرت أنها لن تنجح في مهمتها إن سارت بمفردها، عليها أن تندس وسط مجموعة ما لتتمكن من الخروج، تلفتت حولها بنظرات شمولية باحثة عن الهدف المناسب لاستغلاله، وقعت عينها على عائلة ما تقضي وقتها بالفندق يستعدون للانصراف، تقوس فيها بابتسامة عابثة، نكست رأسها قليلاً لتضمن تحرك خصلاتها نحو جانبي وجهها، شددت غطاء الرأس للأمام ليختفي جبينها، تحركت "فرح" بخفة حتى بلغت تلك العائلة وسارت معهم فتمكنت من الخروج دون أن تلفت الأنظار إليها، خدماها في تلك المسألة أيضاً هو ميعاد تبديل ورديات الخدمة، فلم يتعرف عليها أحد.

وما إن تأكدت من ابتعادها عن الفندق حتى وقفت عند الناصية تستقل سيارة أجرة، هتفت بصوت شبه لاهث وهي تشير للسائق بيدها:

-اطلع لو سمحت

امتلأ الأخير لطلبها وأدار سيارته في اتجاه الوحدة العسكرية التي لم تكن تبعد كثيراً عن الفندق، ظلت محدقة ملياً في الطريق أمامها تتوعد "يزيد" بالتوبيخ اللاذع لأسلوبه الغير لائق معها وكأنها فرد يعمل تحت إمرته وليست زوجته، حفزت غضبها منه فانعكس على تعبيرات وجهها، توقفت سيارة الأجرة عند آخر نقطة مسموح بالتواجد فيها لتترجل منها بعد ذلك مكلمة سيرها نحو الأفراد المتواجدين عند الحاجز المعدني الموضوع أمام البوابة الرئيسية، زفرت "فرح" بقوة قبل أن تستطرد حديثها:

-عازمة أقابل المقدم "يزيد" جودة

طالعتها أحدهم بنظرات حادة متأملاً هيئتها الغريبة وهو يرد بجمود:

-الزيارة غير مسموحة دلوقتي يا ست

ردت بإصرار وهي ترفع رأسها للأعلى في تعالٍ طفيف:

-حضرتك أنا مراته مش حد غريب، ومتواجدة في فندق تبعكم قريب من هنا

نظر لها بقوة قائلاً بعدم أكثر:

-معندناش أوامر ندخل حد بعد مواعيد الزيارة

أزعجها منعه لها من الدخول أو حتى التواصل معه فهتفت بإلحاح عنيد وهي تقف قبالتها بتحدٍ كبير:

-وأنا مش هامشي من هنا إلا لما أتكلم معاه!

بدت نبرتها نوعاً ما مهددة وهي تضيف:

فيا ريت تبلغه من فضلك لأنه لو عرفت إني جيت ومادخلتش جازي يعملك مشكلة
استشعر المجد الضيق من تهديدها الضمني فتجنبها ليتداول حديثًا جادًا مع أقرانه
للحظات في شأنها قبل أن يعاود القدوم إليها قائلاً بنبرة رسمية:

استني هنا واحنا هنبعت حد يبلغه

نظرت إلى حيث أشار بعينها ثم أومأت برأسها موافقة وهي تبتسم بغرور، اتجهت
"فرح" نحو الرصيف الموازي للحواجز المعدنية الموضوعة لتقف إلى جواره مترقبة خروج
زوجها.

.....

تمدد باسترخاء على فراشه بعد أن بدل زيه العسكري ببنتال رياضي أسود و"فانلة"
من نفس النوع لكنها بيضاء أبرزت عضلاته المشدودة، شبك ساعديه خلف رأسه
ليغمض عينيه وهو يستمع بعدم تركيز لثرثرة رفيقه الذي يقول:

احنا نطلع من المناورة دي نقضيلنا يومين فرفشة، نجدد شبابنا كده و....

قاطعه "يزيد" بصوت شبه ناعس:

حل عند دماغي خليني أنام

رد عليه "آدم" بتذمر وهو يحك مؤخرة رأسه الحليق:

ما أنا زهقان ومش لاقى حد أكلمه غيرك

تقلب "يزيد" على جانبه مرددًا بنبرة آمرة:

روح ارغي مع مراتك

رد رفيقه ساخراً:

-الشاويش عطية مش هاترحمني أسئلة، وأنا معنديش خلق ليها
زفر "يزيد" بصوت مسموع وهو يعتدل في نومته قائلاً بتحذير شديد اللهجة:
-باقولك ايه، أنا.....

بتر عبارته مضطراً حينما سمع تلك الدقات الثابتة على باب غرفته والمصحوبة بقول:
سيادة المقدم

نهض عن الفراش طارداً النوم من جفنيه ليتجه نحو الباب، فتحه متسائلاً بضجر وهو
يرمق المجند بنظراته الصارمة:
في إيه؟

أدى له الأخير التحية العسكرية وهو يرد بحذر:
أسفين يا باشا على الإزعاج، بس في واحدة مستنيك عند البوابة وبتقول إنها المدام!
شخصت أبصار "يزيد" مردداً بغفوية وقد أكتسى وجهه بعلامات مذهولة:
-"فرح"

حلت تعبيرات الصدمة على قسمات رفيقه الذي وقف خلفه هامساً بتوجس كبير:
يا وقعة سودة

تابع المجند مضيقاً بهدوء ومتحاشياً التجاوز في نبرته معه:
-حنا حاولنا نمشيها بس هي رافضة يا باشا، حضرتك فاهم إن.....
قاطعها "يزيد" بصرامة:

-أنا جاي وراك، اسبقني

أدى له التحية العسكرية من جديد قائلاً بخنوع:

-تمام يا فندم

انتظر "يزيد" لثواني حتى انصرف المجد من أمامه ليهدر بعصبية:

-شايف المجنونة

رفع "آدم" كفيه في الهواء قائلاً بابتسامة مرحة:

-مش أجن منك الصراحة

ضرب بقبضته بعنف على الجدار متابعاً بغیظ وقد استنشأت نظراته:

-بتخالف أوامري وجيالي هنا

هز "آدم" كتفيه مبرراً تصرفها الأرعن:

-أکید وحشتها، شوف قلبها قلب خساية و....

رفع "يزيد" سبابته أمام وجهه صارخاً بصرامة:

-اسكت

ضغط "آدم" على شفتيه مانعاً لسانه من التفوه بأي عبارات إضافية متوقعاً ردة فعل

عنيفة منه، همس لنفسه بتوجس:

-سترك يا رب، مش هالحق أ"فرح" بطلوعي على المعاش المبكر!

.....

كتفت ساعديها أمام صدرها منتظرة خروجه في أي لحظة وهي تهز ساقها بتوتر ملحوظ، انتبهت لتلك الجلبة البسيطة بالداخل فأرخت مرفقيها والتفتت برأسها نحو البوابة، رآته يظهر لها من خلف البوابة المعدنية فابتلعت ريقها شاعرة بنغصة مزعجة

أسفل معدتها خاصة أن تعابير وجهه المتجهمة أوحى بالكثير، استجمعت جأشها لتواجهه بشجاعة، وقف "يزيد" أمامها يطالعها بأعين مشتعلة يكاد شررها المتطاير منها يحرق من يقف على مقربة منه لعشرات الأمتار، ابتسمت قائلة بتفاخر:

عرفت أجيلك!

تحركت خطوة نحوه لتقلص المسافات أكثر بينهما وهي تضيف بتحدٍ خطير:

-أوامرك مامشتش عليا يا سيادة المقدم

كظم غضبه منها متسائلاً بصوتٍ متشنج:

جاية هنا ليه؟

نظرت مباشرة في عينيه دون أن يرتد لها طرف وهي تسأله بحنق:

عاوز أفهم عملت فيا كده ليه؟

رد متسائلاً بجمود وقد احتدت نظراته نحوها:

قصدك إيه؟

أجابته بنبرة ذات مغزى وهي تشير بعينها:

عن اللي حصل في الفندق

نظر لها بازدراء قائلاً:

-وده يستدعي إنك تسيبيه؟

أجابته بجدة وقد تشنج جسدها من الانفعال:

-ايوه، ما هو أنا مش واحدة لاقياها في الشارع تاخذ غرضك منها وتعاملها ميري

أرجحه ارتفاع نبرتها أمام المتواجدين على مقربة منه، قبض على ذراعها ليسحبها بعيدًا عنهم وهو يحذرهما بشراسة رغم انخفاض نبرته:

مش وقت الكلام ده هنا

انتزعت ذراعها من يده بقوة وهي ترد متسائلة بعصية:

ليه؟ بيحركك؟

لهت أنفاسها وهي تضيف بنبرة مختنقة ملوحة بذراعها:

أنا زيك حرقني أوي اللي عملته معايا

باغتها بالإمساك بها من معصمها ضاغطًا عليه بقوة، كز على أسنانه يحذرهما بصرامة:

- "فرح"، اتعدلي في كلامك وأرجعي الفندق دلوقتي

كتمت ألسنها ولم تحاول إظهاره أمامه، ردت بعناد:

- لا مش هامشي!

سحب "يزيد" نفسًا عميقًا ليسيطر به على عصبية قبل أن تخرج الأمور من يده، لكنها تعمدت الصراخ قائلة لتضاعف من اشتعاله داخليًا:

طالما قصدت تجيبي هنا وتشغلي يتي ماتستغلنيش

تلفت حوله ليجد الأعين تراقبه دون تدخل منهم، استفزته حينما تابعت بحنق:

أنا مش جارية عندك تقضي معاها وقت وترميها وتمشي

برزت حدقاته المتقدتان غضبًا وهو يصرخ بقوة:

- "فرح"!

احتدت نبرتها أكثر وهي تكمل بطيش دون أكرات بتبعات ما تتفوه به:

فاكر إن بكده أثبت رجولتك

شدد من قوة ضغطته على رسغها هاتقًا من بين أسنانه:

-بلاش تخليني أتهور

نظرت له بغیظ وهي ترد:

هاتعمل إيه يا باشا؟ فاكر إني هاخاف منك، لأ، إنت مش عارفني كويس، أنا ممكن
أهد المعبد على اللي فيه

ذكرته نبرتها تلك بنفس التهديدات السابقة لطليقته "هايدي" وطريقتها في استفزاز
رجولته وإشعاره بالاحتقار والدونية، ناهيك عن تعاليها المفرط وتلميحتها الصريح بإفساد
حياته، أظلمت عيناه قائلًا بغموض مخيف:

-يبقى إتني الجانية على نفسك!

تعقدت تعبيراتها محاولة تخمين المقصد من وراء تهديده المريب، جذبها "يزيد" من
رسغها ليسحبها معه نحو البوابة، قاومته قدر استطاعتها لكنه استدار بجسده نحوها
لينظر لها بأعين مخيفة، شعرت بدقات قلبها تصم أذنيها، ومع ذلك حافظت على ثباتها،
سألته بنبرة شبه مرتجفة:

-إنت بتعمل إيه؟

رد بشراسة:

-اللي المفروض يتعمل!

أمسك بغطاء الرأس المتدلي من سترتها وجذبه على وجهها ليخفي معظمه ثم لف ذراعه
حول عنقها ليتمكن من تكميم أنفها، لم تتمكن "فرح" من الصراخ من حركته المفاجئة
تلك والتي لم تتعد ثوانٍ معدودة، قام بإحناء رأسها للأسفل مستخدمًا قوة ذراعه لتبدو

كمجرم يتم تقييد حركته وهو يجبر قسرًا في المخفر، لم تستطع الإفلات منه، شعرت بالظلام يغلف أعينها، وأجبرت على السير معه دون أن ترى شيئًا أو حتى تتمكن من الصراخ، بدت مقاومتها له معدومة، قبض على معصمها الآخر وضمه إلى صدرها ليقوم بتكتيفها جيدًا فلا تجد أي فرصة للخلاص منه، تفاجأ الجميع بما يفعله وقبل أن يبادر أحد بسؤاله هدر عاليًا:

-سجل عندك يا عسكري، الأستاذة هربانة من الوحدة بدون تصريح، وهتتحول فورًا للتحقيق والحبس!

صدمت مما قاله وحاولت التملص منه والصراخ لكنه شل حركتها تمامًا، وجرحها معه نحو الداخل متوعدًا إياها بعقاب رادع مدعيًا فرارها، كان بالفعل من يراه وهو يسحبها معه يعتقد أنه مجند قد تسلل خلصة دون أن يحصل على إذن من قائده فتم الإمساك به، أفسح له المجندين المجال ليمرق دون أن يعترضوا طريقه فيما عدا "آدم" الذي هتف مشدوهاً:

-بتعمل إيه يا يزيد؟

رد بصرامة وقد تصلبت قواه أكثر على جسدها المستتيت في مقاومته:
مالكش فيه

نظر "آدم" إلى "فرح" التي تتلوى بكامل جسدها للتخلص منه وهي تحاول الصراخ مستشعراً كارثة ستحدث بكل المقاييس إن لم يتدخل على الفور ويمنعها، توسله قائلاً بـرجاء:

حطب اهدى بس، اللي بتعمله هنا.....

قاطعه "يزيد" بقوة وقد قست نظراته:

-أنا هاتعامل ميري مع المدام!

سأله بذعر وقد اتسعت مقلتاها:

-هتعمل فيها إيه؟

رد بغموض أفزع "فرح" المحاصرة بين ذراعيه:

عقوبة اللي بيهرب من خدمته إيه يا باشا؟

ابتلع "آدم" ريقه قائلاً:

-الحبس

هز "يزيد" رأسه بالإيجاب وهو يؤكد بنبرته الجامدة:

-بالظبط

رمش "آدم" بعينه غير مصدق لما ينتوي رفيقه فعله في لحظة انفعال طائشة، هتف

متسائلاً بصدمة:

-إنت بتكلم جد؟ هتحبس مراتك هنا؟ "يزيد" اعقل ده اسمه جنان و....

قاطعه بجمود شرس:

-تستحمل بقي!

وضع "آدم" قبضتيه على ذراعي رفيقه محاولاً تخليص زوجته منه وهو يقول:

-أنا مش هاسييك تعمل كده

اضطر "يزيد" أن يرخي قبضته عن معصم "فرح" ليتمكن من دفعه بشراسة من كتفه

وهو يهدده بصيغة أمرة:

-ابعد يا سيادة المقدم بدل ما تاخذ جزا فيها

استغلت "فرح" تلك اللحظة لتضربه هي الأخرى بكوعها في صدره بكل ما أوتيت من قوة لتسبب له الألم، نجحت في التحرر منه مستعينة بمساعدة "آدم" للإمساك به، تحول "يزيد" لكتلة من الغضب المستعر حينما رآها تفلت منه، هدر بها باهتياج:-
-"فرح"!

استعادت زمام نفسها واستدارت بجسدها لترفض هرباً منه، شحذ قواه ليدفع رفيقه بعنف للخلف ليتمكن هو الآخر من الركض خلفها، لم تسعفها قدمها المرتعشتان في الهروب منه إلا لعدة أمتار، لحق بها "يزيد" وألقى بثقل جسده عليها ليطرهما أرضاً، ارتطمت رأسها بقوة بالأرضية الصلبة مما سبب لها جرحاً في جبينها وبعض السجحات في بشرتها، بالإضافة إلى ارتجاجة عنيفة عصفت بها، تأوهت متألمة بشدة وتكورت على نفسها، فعند تلك النقطة تحديداً استنفذت قواها بالكامل ولم تستطع تعبئتها من جديد ضده مستسلمة لما سيفعله بها.

أطبق "يزيد" على مؤخرة عنقها يده، وباليد الأخرى قبض على كتفها، جذبها من أسفل ذراعها ليجعلها تنهض قائلاً لها بحنق:

-بتجري مني يا "فرح"!

ترنخت في وقفها المقيدة ونظرت له بأعين زائغة وهي ترد:

-أعمل اللي إنت عاوزه، مش فارقة

رد بحنق أكبر وهو يجرها معه:

-يعني مش همك؟

وقف "آدم" أمامهما يعترض طريقهما من جديد وهو يقول بضيق:

-اهدى شوية، كده بهدلت مراتك معاك، مايصحش يا يزيد!

رد بزمجرة قوية:

-أل يعني فارق معاها، دي

أمعن "آدم" النظر في ملامح وجهها التي تلوّث بدماء جرحها، هتف مقاطعًا بتلهف:

-استنى بس، وشوف وشها الأول

ثم أخفض نظراته نحو وجهها ليسألها باهتمام وهو يتفقدده بدقة:

- "فرح" إنت كويسة؟

أومأت برأسها إيجابًا دون أن ترد، في حين ضغط "يزيد" على كتفها هاتقًا بنفاذ صبر:

مبسوطة دلوقتي بنفسك؟!!

ردت عليه بخفوت وهي تنظر له بنصف عين مهددة:

هاشتكي عليك لتقابة الصحفيين!

نظر لها بأعين محتقنة من ردها الجريء صائحًا بجدة:

-دي لسه بتأوح، عاوزني أسكتلها؟

هتف "آدم" مازحًا وهو يشير بقبضة يده المتكورة:

هي دي روح الرياضية، مغلوبين ومكملين!

تجمدت أنظار "يزيد" على رفيقه الذي يستخف بالأمر كثيرًا، توعده قائلاً بغلظة:

هنتحاسب على ده بعدين يا "آدم" !

أكتفى الأخير بالابتسام المرح وهو يرد ساخرًا وماسحًا على رأسه عدة مرات:

-شكل جوزك مش هايدورني مكتب، ده مش بعيد يوديني مجاهل أفريقيا، جايلك يا

جلبرتو !!!

الفصل الثاني عشر

جرجها إلى مكتبه بخطوات سريعة نسيًا فتعثرت لأكثر من مرة في مشيتها، لم يشفق بها بسبب غضبه الأعمى الذي كان مسيطرًا عليه وقتها، ظلت محتفظة بتعبيراتها المتجهمّة كنوع من الرد على أسلوبه الفظ والحاد في التعامل معها، فلا يحق له بأي حال من الأحوال إهانتها بتلك الطريقة والتعامل معها بكل ذلك العنف خاصة أمام

الغرباء، شعرت لوهلة أنه أهدر كرامتها، أنه أساء إليها بشدة، دفعها "يزيد" إلى داخل غرفة مكتبه قائلاً بنبرته الآمرة:

-ترزعي هنا

ردت "فرح" بتذمر مبدية استنكارها لطريقته الفجة:

-تقي كلامك معايا شوية، اسمها اتفضلي اقعدي

نظر لها بأعين ملتهبة وهو يقول مغتاضاً:

-هنبداً تاني؟

تدخل "آدم" بينهما قائلاً بنبرة شبه عالية ومستخدماً ذراعيه في الإشارة:

-تايم أوت! كفاية خناق بقى الله يكرمكم فرجتوا كل اللي في الوحدة علينا

كان محققاً في ذلك، ففي لحظة تهور هوجاء استخدم رفيقه أسلوب عدم التفاهم والحدة مع زوجته ثأراً لرجولته المهانة منها حتى وإن لم تقصد ذلك، تبادل الجميع نظرات مزعوجة وتحمل الكثير، جلست "فرح" على الأريكة الجانبية مطلقة آثات خافتة وهي تتحسس فقرات ظهرها وجانبها بيدها، اتجه "يزيد" نحو الخزانة المجاورة لمكتبه باحثاً عن شيء ما بداخل ضلفتها، لم يجد ما يريده بها فالتفت إلى رفيقه قائلاً:

-خليك معاها لحد ما أرجع

حرك "آدم" رأسه بالإيجاب قائلاً:

-تمام

انتظر للحظات حتى انصرف من الغرف فاتجه نحو "فرح" وجثى على ركبته أمامها ليتأمل وجهها وهو يسألها باهتمام:

-إنتي كويسة؟

رفعت أعينها المغتظة نحوه قائلة بسخط:

-بعد اللي عمله فيا صاحبك أكيد لأ!

ضغط على شفتيه متممًا بأسف:

-ألف سلامة، معلىش، هو ميقصدش!

أعادت "فرح" رأسها للخلف لتضيف بامتعاض:

-مش معقول تكون دي طريقة واحد عاقل!

وافقها الرأي قائلاً:

معلي حق

تحسست جبينها متابعة باستنكار شديد:

-بقى عاوز يجبسني أنا مراته؟ لأ وكم ان يجرجرني زي المجرمين بالشكل ده!

رد عليها "آدم" بحيرة وهو يعتدل في وقفته:

-والله أنا ما فاهم طريقته دي، بس للأمانة وعلى حسب كلامه معايا هو عاوز يخرجك

من بوتقة الأحزان اللي كنتي فيها، يعني يعطف ويلطف وكده يعني

نظرت نحوه تطالعه بنظرات غريبة متعجبة مما قاله، فلا يعقل أن تكون تلك هي

الطريقة المثلى للتعامل مع ما تمر به من أزمة نفسية أو حتى مشكلة مستعصية، ليس

العنف والشدة هو الأسلوب الأمثل لإخراجها مما تعانیه، كان عليه أن يكلف نفسه

ليبحث عن أسلوب آخر أكثر ملائمة عن ذلك الذي يجيده، هتفت محتجة على أسلوبه

المتجاوز:

-بذمتك ده شكل واحد عاوز يخرجني من بوتقة الأحزان؟

رد "آدم" مازحًا وهو يبتسم لها:

-ولا بئر الحرمان وحياتك، ده واحد مجنون عاوز يدفنك بالحيا اسأليني أنا
كثفت "فرح" ساعديها أمام صدرها لتعبس أكثر بوجهها وهي تقول:
يا ريتته حتى بيتفاهم معايا كويس، ده كان ناقص يهرسني تحت إيده
حك "آدم" طرف ذقنه مبررًا تصرفه العنيف:

هو ماشي بمبدأ لا يفل الحديد إلا الحديد!

ده مش أسلوب مقبول خالص

-أي حاجة تقوليها أنا موافق عليها

سحبت "فرح" نفسًا مطولاً لفظته مرة واحدة قائلة بعدها بامتنان:

-عمومًا أنا عاوزة أشكرك على اللي بتعمله معايا، إنت صاحب جدع
تخرج من إثنائها عليه هاتقًا:

على إيه يا ست الكل، إتي زي أختي، وده واجبي!

انحنى قليلًا نحوها ليضيف برجاء:

-مش عاوزك بس تزعلي ولا تضايقي منه، إتي أعقل من كده بكثير، وبعدين "يزيد"
مش غريب عليك، المخ الصعيدي لما بيقلل بيبقى صعب شويتين
هتفت مستنكرة بضيق:

-يعني حلال ليه اللي عمله فيا؟

رد بجذر:

-أنا مش بأدافع عنه والله، وعارف إنه غلطان، بس نيته خير، صدقيني!

مش ده الأسلوب، بلاش تبررله

عاد "يزيد" إلى غرفته مجدداً حاملاً في يده علبة صغيرة خاصة بالإسعافات الأولية فتوقف كلاهما عن الحديث، مروراً أنظاره المحتدة عليهما متسائلاً بتجهم:-
-بتقولوا إيه؟

أجابه "آدم" بهدوء:

-أنا بأطمئن عليها، مش إيتي تمام يا "فرح"؟
هزت رأسها بالإيجاب وهي ترمق زوجها بنظرات متحدية:
-أه تمام

حدجها بنظرات نارية وهو يقترب منها ليدفع بكتفه رفيقه للخلف قليلاً مردداً:
-تممتوا على بعض خلاص، وسع شوية!
أشار له "آدم" بيده قائلاً بابتسامة لطيفة:
-اتفضل يا باشا، ده مكتبك، أنا ضيف عندك

تحرك بعدها ليقف بالقرب من عتبة الباب مراقباً من الخارج، أشاحت "فرح" بوجهها بعيداً عنه متجاهلة عن عمدٍ التطلع إليه، جثى "يزيد" على ركبته لينظر إليها بضيق وهو يأمرها:

-وريني وشك

هزت كتفها رافضة باقتضاب:

-لا

حذرهما قائلاً بصلافة:

- "فرح"!

التفتت ناحيته مضطرة لتقول بانزعاج واضح عليها:

-إيه وشي وأنا حرة فيه!

وضع "يزيد" يده على فكها ليثبتته أمام أعينه التي بدأت في تفحص ما به من خدوش وجروح سطحية، حلت ذراعيها لتمسك بقبضته، حاولت إبعاد وجهه لكنه شدد من قبضته عليه هامسًا من بين أسنانه المضغوطة:

-اركزي معايا

عبست أكثر وهي تقول بصوت خفيض:

مش عاوزة منك مساعدة

رفع حاجبه للأعلى هامسًا بصرامة:

- "فرح"، أنا قولت إيه!

اختلس "آدم" النظرات نحوهما مستمتعًا بحالة الشد والجذب بينهما قائلاً بمرح:

يا سلام! هو في أحسن من كده معاملة ... ميري!

زفر "يزيد" بصوت مسموع وهو يقول على مضض:

-متزعليش

حدجته بنظرات حادة قائمة بغیظ:

بجد؟ مزعلش، بعد البهدة دي كلها، ده إنت مسحت ييا البلاط

ضغط على شفثيه متابعا بندم:

-أنا أسف يا ستي، عارف إني كنت تور معاكي!

لوت ثغرها مرددة بتأفف:
-كويس إنك عارف نفسك
حاول "يزيد" الابتسام متابعًا:
خلاص بقي، متزعليش
عبست "فرح" أكثر مرددة بتويخ حاد:
-أبدأ مش مسمحاك، بقي أنا تعاملني زي....
قاطعها قائلاً بابتسامة عذبة:
حقك عليا!

ثم نهض من مكانه لينحني عليها وهو يحتضن وجهها بين راحتيه مكملًا:
-وأدي راسك أهى
جاهدت لتتلمص من قبلته التي يريد طبعها على جبينها هاتفة باحتجاج:
-لا إبعد، مش عاوزاك....
كركر "آدم" ضاحكًا وهو يقول مداعبًا:
-جوز كناري يا ناس، تتحسدوا يا خواتي!
التفت "يزيد" بوجهه نحوه محدجًا إياه بنظرات قوية ومحذره، أردف قائلاً بلهجة آمرة:
-دور وشك الناحية الثانية يا "آدم" !
لوح له بكف يده مازحًا:
-تمام، اعتبروني ضرير معاكو، مش شايف حاجة!

أدار "آدم" وجهه للناحية الأخرى وابتسامة عريضة تغزو محياه، لكن تحولت تعبيراته في ثانية للتوتر والقلق حينما لمح قائد الوحدة قادمًا من على بعد في اتجاه غرفة المكتب، هتف بلا وعي وقد سيطر عليه الارتباك:

-أوبا، روحنا في الكازوزة، الباشا بنفسه جاي علينا
رفع "يزيد" رأسه في اتجاهه متسائلًا بجدية بعد جملة المهمة تلك:
في إيه؟

أجابه وهو يبتلع ريقه بتوجيس:

قائد الوحدة بسلطاته ببابا غنوجه، أما أروح أحجز مخلتي، أنا عارف مش مكتوبلي
أكمل هنا السنادي!

للحظة طرأ ببالها استغلال تلك الفرصة في تهديد "يزيد" نظير ما ارتبكه في حقها من
مذلة، اعتلى ثغر "فرح" ابتسامة مأكرة وهي تقول بجرأة:
تحب أقوله عليك؟

نظر لها مليًا مستشعرًا عزميتها على فعل ذلك، لم يمانعها قائلًا:

-الي يربحك، مش هاقولك لأ، أنا كنت غبي معاكي

بادلته نظرات غامضة لم يستطع تفسيرها لكنه كان يأمل أن ترفق به وتعفو عن تجاوزه
العنيف معها، نهضت بحذر من جلستها لتقف قبالة ترمقه بتلك النظرات المقلقة،
اشتد جسده وانتصب في وقفته حينما سمع "آدم" يردد بنبرة رسمية:

-تمام يا فندم

مرر قائد الوحدة العسكرية أنظاره على من بالغرفة متسائلًا:

-خير يا سيادة المقدم

تجمدت أعينه على الواقعة إلى جوار "يزيد" فتساءل بجديّة:

مين دي؟

رسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي تجيبه بصوت خافت:

أنا "فرح" عبد الحميد، صحفية و....

قاطعها "يزيد" مضيئاً بصوتٍ جاد وهو يشد من كتفيه:

دي المدام يا فندم

التفت القائد برأسه نحوه ليسأله باهتمام:

وبتعمل ايه هنا دلوقتي؟

أجابته "فرح" دون تردد وقبل أن يبادر زوجها بالتفوه بأي شيء:

أصل أنا عملت حادثة في مكان قريب من هنا وكلمت جوزي عشان يلحقني

نظر لها متعجباً من تلك الكذبة التي اختلقها من أجله، شعر بالإطراء لكونها قد

تغاضت عن تهوره الأهوج، تابع موضحاً:

هي يا باشا محررة عسكرية واخدة تصريح عشان تتابع أخبار المناورة والإشراف على

طاقم المراسلين العرب

عاود التحديق في هيئتها الغير مهنّمة، فتوجس خيفة أن يكشف أمره فهتف بنزق:

-باعتذر يا فندم إني استضفتها من غير ما أبلغ سيادتك، هي في الأساس أداة في

الإمداد والتموين و...

أضافت "فرح" هي الأخرى لتدعم حديثه:

أنا كلمته بدون ما أفكر وكان ده أقرب مكان ليا

تنح "يزيد" مردداً بخشونة:

أسف يا باشا

رد عليه القائد بنبرته الهادئة:

هنتكلم في ده بعدين يا سيادة المقدم، ألف سلامة يا مدام

أومات "فرح" برأسها قائلة بلطف:

ميرسي

سألها القائد مجدداً باهتمام مشيراً بيده:

مافيش حاجة خطيرة؟

هزت رأسها نافية وهي تقول:

لا، أنا بخير

لوح بكفه متابعاً بنفس الصوت الهادئ:

تمام، سلامتك مرة ثانية

اتسعت ابتسامتها قليلة وهي تضيف:

ميرسي أوي لنوئك

لف القائد ذراعيه خلف ظهره ليشبك كفيه معاً قائلاً بجدية:

وصل المدام لما تخلص، مايصحش ترجع لوحدها

رد عليه "يزيد" بخنوع تام:

حاضر يا فندم، وشكراً لسيادتك على تفهم حضرتك وسعة صدرك

حرك قائده رأسه بإيماءة خفيفة ثم استدار ناحية "آدم" ليقول بصيغة أمرة:

-سيادة المقدم "آدم" عاوزك برا

انتصب الأخير أكثر في وقفته قائلاً:

تحت أمرك يا باشا

انتظرت "فرح" خروج الجميع من الغرفة لتلتفت إلى زوجها الذي استرخى في وقفته قائلة بغرور:

كان ممكن أشتكي عليك للرئيس بتاعك، بس صعبت عليا

رمقها بنظرات حادة فتابعت بغطرسة أكبر:

-وشكله صعب يعني ممكن مايعديش اللي حصل ده بالساهل و....

أرجعه تماديها في الأمر فقاطعها قائلاً بامتعاض:

تحبي أنا ديهولك تبعبي معاه باللي اتني عاوزاه؟

استنكرت تلك الكلمات السوقية التي يستخدمها في الحديث معها مرددة:

-أبيع؟

رد على مضض وقد تعقدت ملامحه:

-ايوه، تلكي معاه، عشان نبقي خالصين!

تهدت قائلة بإرهاق:

-لا، الطيب أحسن

نظر لها بغيظ دون أن يضيف المزيد، ثم أكمل جمع الأدوات الخاصة بعدة الإسعافات الأولية ليضعها في أحد الأدراج بالخزانة، دنا من "فرح" ليمسك بها من ذراعها فتأوهت من الألم مرددة بعتاب:

آه، بالراحة شوية

أرعى أصابعه عنها لتسير أمامه بخطوات متمهلة وهو يتم بصوت خفيض:
- ماشي يا "فرح"!

توقفت عن السير لتستدير نحوه فجأة وهي تقول بضيق:

- اتفضل قولي دلوقتي شكلي هيبقى عامل ازاى قصاد عساكرك اللي بهدلتنى قدامهم؟
محدث بعد كده هيحترمني!

رد بقوة وقد قست نظراته:

- محدش يقدر يفتح بؤه عنك

لوت ثغرها قائلة بتهكم:

- مش لازم يقولوا قدامك يا سيادة المقدم

مد "يزيد" يده ليلتقط كفها، نظرت له بجدة وقد انزوى ما بين حاجبيها بسبب حركته المبالغتة تلك، احتضن يدها بين راحتيه ضاغظاً عليها برفق، تهد بصوت مسموع قائلاً بندم:

- "فرح"، أنا غلطت، وبأعترف بده، شوفي إيه الترضية اللي تعجبك وأنا مستعد أعملها لك

- مممم

رفع حاجبه للأعلى محذراً:

بس يعني ماتفتحيش على الرابع!

سمحت يدها من كفيه قائلة بجدية:

-والله أنا حرة!

هز رأسه بتفهم وهو يحك مؤخرة عنقه، تابع مضيقًا:

طيب قبل ما أنسى المحامي طمني على قضيتك

نظرت له "فرح" باهتمام فأكمل مبتسمًا بثقة:

-وقريب أوي هاجيبك حقك

شبكت ساعديها أمام صدرها لتمطفها بعدها وهي تقول:

-أوكي

فتح "يزيد" راحته أمامها متسائلًا بابتسامة عذبة:

-مممكن إيدك لو سمحتي؟

تراجعت خطوة للخلف متسائلة بقلق طفيف:

-ناوي تكسرها؟

ضحك بخفوت وهو يجيبها:

-لا، هامسكها بس

بامتعاض واضح على تعبيراتها المشدودة أرخت ساعديها ليتمكن هو من احتضان كفها بأصابعه، سارت إلى جواره بخطوات متمهلة حتى اقترب من البوابة الرئيسية حيث يحرسها عدد من المجندين، تعمد التحديق في وجوههم التي تطالعها في صمت وهو يرفع

كف يدها إلى فمه ليقبله بودٍ، أبعدوا أنظارهم بحرج منه، بينما تفاجأت "فرح" من فعلته تلك، برزت مقلتها المصدومتان بوضوح وهي تسأله بعدم تصديق:

إنت عملت إيه؟

رد مبتسمًا وبنبرة عالية قصد بها أن تصل إلى مسامعهم:

أنا أسف يا حبيبتي، كانت مفاجأة حلوة منك، وأنا فهمتك غلط!

وكأنه يعتمد استعادة كرامتها التي أهدرها أمامهم بالاعتذار الصريح لها دون أن ينتقص ذلك من مكانته شيئًا، فإن عَلى شأنه وأخطأ في تصرفه، فيجب عليه أن يبدي أسفه لمن يستحق ذلك ولن يقلل من قدره مطلقًا، تمنى فقط في نفسه أن يكون قد أصلح ما أفسده بسبب طيشه وألا تحمل في قلبها أي ذرة ضغينة نحوه
!!

.....

الفصل الثالث عشر

وقف كلاهما بجوار البوابة الخاصة بالوحدة العسكرية في انتظار مجيء "آدم" بسيارته، ورغم وجود الصمت بينهما إلا أن لغة العيون وحدها كانت كفيلة بالتعبير عن مكون حبهما العميق، قطع جبل تأملهما صوت تلك السيارة الصغيرة التي مرقت من البوابة، حدقت فيها "فرح" باستغراب، فلم تكن سيارة زوجها بل إحدى السيارات الصغيرة التابعة للجيش — ذات اللون الأبيض — والتي تعرف فيما بين الأفراد بالاسم الدارج "نيفا"، فرك "يزيد" مؤخرة رأسه وهو يتسائل مستفهمًا:

فين عربيتي؟

أجابه "آدم" بهدوء وهو يطل برأسه من النافذة الضيقة:
-الفرد نائمة على الأرض، فقولت أتصرف!
دنا منه حتى بات قبالتة، هتف باستنكار وقد امتعض وجهه:
-ملاقتش إلا النيفا
غمز له رفيقه قائلاً بابتسامة متسعة:
فرصة عشان تاخذ مراتك في حضنك
لمعت عيناه بوميض خبيث وهو يدير رأسه في اتجاهها متمتماً بخفوت:
-تصدق!
عاد "يزيد" إلى زوجته ليقول بابتسامة غير مريحة:
-ياللا يا حبيبي
أشارت "فرح" بسبابتها نحو السيارة الصغيرة متسائلة بتهكم:
-وهو أنا هاركب الكوباية دي؟
أجابه "يزيد" بفخر واضح عليه:
-دي أحسن وسيلة مواصلات!
بينما أضاف "آدم" بغرور واثق وهو يحاول إخفاء بسمته:
-ايوه، مجبناش زيه، ده حتى اللي اخترعها مات مشلول من "فرح"ته بيها
نظرت إليها بجدة ثم وضعت يدها على منتصف خصرها لتسأل بجدية:
-واحنا هنقعد فين؟

أجابها "آدم" مازحًا:

-هنطلع بالدور الثاني قريب، احنا رمينا الأساسات ومستنيين التراخيص

زوت ما بين حاجبها مستنكرة ما يقول فأكمل بحذر:

-معلش قضيتها زي ما يكون

أمسك "يزيد" بكف يدها ليسحبها منه قائلاً:

-تعال يا "فرح"، إتي هاتقعدى على رجلى

توردت وجنتها من مجرد طرحه للفكرة، شعرت بدقات قلبها تتسارع بحرج من تنفيذه

لذلك، لهذا هزت رأسها نافية وهي تقاومه مبدية اعتراضها بتبرم:

-لا مش هاينفع، أنا ممكن أمشيها عادي و...

قاطعها "يزيد" بنبرة جادة:

-ممنوع أصلاً نتواجد بالزى العسكري برا الوحدة

زفرت باستياء فهي لا تريد أن توضع في موقف حرج مثل ذلك، خاصة في وجود

رفيقه، هتفت مرددة باحتجاج مستخدمة ذراعها في الإشارة:

-طيب والمفروض نعمل ايه؟ إنت مش شايف هي صغيرة خالص وأنا....

رد "آدم" مقاطعًا بنبرة عالية:

-نسع بعض يا جدعان، مافيهاش حاجة يعني، اعتبروها مكروباص، خمساية وهنوصل

أشار "يزيد" بعينه لزوجته قائلاً برجاء لطيف:

-ياللا يا حبيبتي، أهي أي حاجة توصلنا والسلام، مش هنتخانق على دي كمان

عضت على شفيتها السفلى في ارتباك ملحوظ، ظلت نظرات "يزيد" الراجية تحاصرها فاستسلمت لتأثيرها عليها، واضطرت أن توافق على طلبه، سبقها في خطواته ليستقلها أولاً، أشار لها بيده لتجلس على حجره قائلاً بجمود مصطنع محاولاً إخفاء تلك الابتسامة الخطيرة التي تقاتل للظهور على محياه:

يا لا

بتوتر أكبر تحركت نحوه منحية برفق للأسفل لتتمكن من الدخول، استقبلتها أحضان زوجها فجلست بارتباك على حجره، لف ذراعه حول خصرها ليزيد من توترها الحرج، رمقها "آدم" بنظرات سعيدة وهو يقول:

والله إنتو الاتنين دماغو رايقة

استندت "فرح" بكفيها على كتف "يزيد" الذي كان يهددها بمزاح ليثير أعصابها، حدجته بنظرات محذرة فهمس لها بعث:

هو في أحلى من كده توصيلة!

لم تعلق عليه واكتفت بنظراتها القوية ليكف عن إزعاجها، هتف "آدم" مازحاً وهو يدير عجلة القيادة لتحرك السيارة نحو الطريق الرئيسي:

أنا حاسس إن رجلي هاتطلع من تحت الفرامل

رد عليه "يزيد" مبتسماً:

ما إنت اللي طويل

تحركت "فرح" قليلاً محاولة إفساح المجال لنفسها كي تتمكن من الجلوس باسترخاء على ساقيه، لكن بدا الأمر عويصاً بسبب ضيق المساحة، فتعذر عليها التحرك قيد أنملة، همست من بين شفيتها المضغوطتين:

وسع شوية يا يزيد

رد بخفوت وهو يضمها إليه:

هو أنا عارف أخذ نفسي

رفعت حاجبها للأعلى قائلة بضيق ملحوظ:

قصدك تقول إني تخينة؟

أجابها بابتسامة عريضة:

-لا، ده أنا اللي كرشي عريض حبتين

تغنجت بكتفها بدلال قليل مرددة بغرور:

-ايوه كده

بدت سرعة السيارة بطيئة نسيًا، فضغط "آدم" على الدواسة لزيادة سرعتها مرددًا:

-اليفا عاوزه زقة!

نظرًا لضعف الإضاءة بالمكان فلم ينتبه لذلك المطب الصناعي فاصطدم به رغمًا عنه مما

جعل رأس "فرح" ترتطم بوجه زوجها فألمته بقوة، تأوه الأخير قائلًا:

-بالراحة يا "فرح"

تحسست جبينها برفق هامسة باعتذار:

سوري

التفت "آدم" ناحيتها قائلًا:

عندي دي

حذره "يزيد" بجدية وهو يفرك جانب وجهه المتألم:

خذ بالك، المرة الجاية مش وشي بس اللي هايطبق!

فهم تهديده الضمني فتنحنح قائلاً بمرح:

ماهو المطب أكبر من العربية يا باشا، أنا هاوصي المرور يعملولنا واحد محندق على أدنا

لكزه "يزيد" في كتفه ليكف عن السخرية ويلتزم الجدية طوال المسافة المتبقية من الطريق رغم تمنيه أن تطول قدر الإمكان لتظل هي باقية في أحضانه مستشعراً حرارة جسدها وقربها الملهب للحواس.

.....

ترجلت من السيارة شاعرة بألم في ركبتيها بسبب تلك الجلسة الغير مريحة، أطلقت آناث خافتة وهي تعتدل في وقفاتها حتى تسترخي عضلاتها المتيبسة، على عكس "يزيد" تماماً الذي بدا حزيناً لتركها لأحضانه، استدارت "فرح" بجسدها لتودعه عند مدخل الفندق قائلة بابتسامة صغيرة:

ميرسي على تعبك

نظر لها بجدة وقد اكتست تعبيراته بالعبوس قائلاً:

ميرسي

أومات برأسها متابعة:

سوري إن كنت عملتلك قلق

رد بجدية غير قابلة للتفاوض وهو يشير بيده:

أنا هاوصلك لفوق

ظنت أنها عدم ثقة منه فيها، فزمت شفيتها قائلة بتذمر:

-اطمن، مش هازوغ تاني، خلاص اتعلمت الدرس

برقت أعينه بوميض عابث وهو يقول بإصرار:

-برضوه، لازم أطمن بنفسي

التفت برأسه للخلف متابعًا حديثه لرفيقه:

-استناني شوية يا "آدم"

حك الأخير طرف ذقنه مرددًا بضجر:

حاضر، ما أنا سواق أبوك

التقطت أذناه برطمته الخافتة فسأله بجدية:

-بتقول حاجة؟

رسم ابتسامة بلهاء على ثغره وهو يقول بسعادة مصطنعة:

خذ راحتك يا باشا، معاك للصبح، أنا قتيل النيفا الليلا دي!

لوح بيده له يودعه وهو يحاوط زوجته من كتفها ليسير معها نحو الداخل، تباطأت في

خطواتها قائلة بامتنان:

-كثر خيره "آدم" دايماً بنتعبه معانا

رد بفطور وهو يشدد من قبضته الملفوفة حول كتفها:

هو عمل حاجة، ده شوية بنزين حرقهم

رفعت أعينها لتنظر له بجدية وهي تقول مؤكدة:

-بس صاحب جدع

هز رأسه موافقًا إياها هاتفًا بإيجاز:

فعلًا

تابعت "فرح" مادحة باقي عائلته:

-ومراته وبنته زي العسل و....

قاطعها "يزيد" بنفاذ صبر وقد بدا على وجهه العبوس:

هو احنا هنقضيها كلام عنه؟

ابتسمت قائلة باقتضاب:

-لأ خلاص

ضغط "يزيد" على زر استدعاء المصعد ليستقله الاثنان معًا، لحظات وكانا على مقربة من باب غرفتها بالفندق، التفتت "فرح" نحوه مخرجة تهيدة عميقة من صدرها وهي تقول بابتسامة رقيقة:

-وصلنا، تصبح على خير

نظر لها بغموض غير مريح، رفع حاجبه للأعلى متسائلًا:

بس كده؟

ردت عليه بتساؤل مريب:

عاوز إيه؟

أمسك بكفيها بين راحتيه يلاعبها بإبهاميه، أخفضت نظراتها لتحديق فيه بتوتر، شعرت بلمس أنامله الخشنة على يديها، رجفة خفيفة تسلفت إلى خلاياها لتزيد من تلاحق نبضاتها، ازدردت ريقها وهي تعاود التحديق في أعينه التي تعكس شغفه بها، جذبها إليه ليهمس لها بتهيدة تحمل الأشواق والأحلام:

أصلح غلطى!

ردت بنجل مستشعرة تلك السخونة المتفجرة في وجنتيها:

ما إنت اعتذرت

هز رأسه بالإيجاب مضيئاً:

-ايوه، بس

بتر عبارته عمداً ليضاعف أكثر من ارتباكها الذي يحفزه أكثر للتمادي معها، سألته

بنظرات متوترة:

بس إيه؟

أخنى رأسه على أذنها ليهمس لها:

محتاج أطمئن على كل حاجة

وصلها إحساس كلماته الموحية بأفكار جامحة تجعلها تخلق فوق السحاب، فتوترت أكثر

من طريقته الماهرة في استدراجها نحو بحور عشقه، لف ذراعه حول خصرها ليقول

بعث:

-لازم كشف هيئة، ده أنا واخدك مقص على الأرض!

حدجته بنظرات حادة مغتظة من تصرفه المتجاوز معها قائلة بتبرم:

-ايوه، البهدلة إياها

انحنى على جبينها يقبله مطولاً فاستشعرت حرارة الأشواق تجتاح جسدها، همس لها

بندم:

حقك عليا!

أبعد رأسه للخلف ليطالعها بنظرات هائلة، انحنى قليلاً للأسفل بجذعه ليضع ذراعه
أسفل ركبتيها ليحملها، شهقت بخفوت وهي تطوق عنقه بذراعيه، ابتسم لها قائلاً
بمكر:

-ورانا دلوقتي مهمة قومية، هيترب عليها مصاير الأمة
حركت "فرح" ساقيها في الهواء هامسة بنجل وهي تعض على شفتها السفلى:
يا سلام؟

هز رأسه بالإيجاب مضيئاً بجديّة لا تتناسب مع ذلك الموقف الحرج:
طبعا، ده غير كشف الهيئة لازم أعالين الكدمات والجروح وبالتفصيل الممل، مش
جائز فاتني خروبش!

قطبت جبينها مرددة:

-ايه؟ خروبش؟

مازحها باستخفاف:

على وزن خرطوش!

عبست بوجهها وهي تضرب أرنبة أنفه بسبابته كنوع من التوبيخ الرقيق وهي تقول:

مش حلوة

ضمها أكثر إليه قائلاً بتهيدة حارة جعلت قلبها يرقص بين ضلوعها:

-كفاية إنك في حضني

عاودت تطويق عنقه بقوة وهي تهمس له:

حبيبي

أكمل سيره نحو باب الغرفة مسلطاً أنظاره على تلك الورقة الصغيرة المتدلية من المقبض،
التوى ثغره بابتسامة مراوغة وهو يقول:

-كويس إنك سايية البتاعة دي برا

نظرت أمامها لتمعن النظر فيما يحرق به، عاودت التطلع إليه قائلة بتحدٍ متدلة عليه:
هاشيلها

رمقها بنظرات عميقة وهو يشدد من ضمه لها، شعرت بقبضتيه تقضي على بذرة أي
مقاومة في منشأها، همس له بثقة وغرور لا يليق إلا به:

-مش هايحصل، ده أمر واجب النفاذ !!!

.....

الفصل الرابع عشر

انقضت ليلتان عليها وهي بالفندق ترتب أوراقها وجدولها الزمني من أجل التعامل مع
وفد المراسلين، ورغم تعذر حضور زوجها إليها إلا أنه لم يكف عن الاتصال بها
للاطمئنان على أحوالها، كانت تنسى كل شيء مع ما يقدمه لها من مشاعر عميقة
تسحبها بعيداً عن كل ما يؤرق مضجعها، أعطاهـا "يزيد" مفهومًا خاصًا للحب يذيب
به الحواجز ويبدد الخلافات، استصعبت غيابه عنها لكنها لم تتشاجر معه لكون الأمر
متعلقًا بمهامه العسكرية، تواصلت "فرح" مع رئيس تحرير جريدتها لتطلعه على
المستجدات أولاً بأول لكونها تغطي للمرة الثانية الأخبار الخاصة بالقوات البحرية،
سعد "عبد السلام" لتجاوزها أزمته النفسية وعودتها لأجواء العمل من جديد، وبدأ

في إعطائها بعض النصائح في كيفية تغطية مثل تلك المناورات بحرفية عالية، شكرته قائلة بامتنان كبير:

-مش عارفة من غيرك يا مستر عبد السلام كنت هاتعامل ازاى في الموضوع ده رد بهدوء زرين:

-أنا معاكي يا بنتي، ولو وقف معاكي حاجة كلمني على طول، ووقت ما تخلصي المقالات والتقارير بتاعتك ابعتيها على الايميل، وكمان هاخلي إيلين تتابع معاكي تمام

أوصاها مضيفًا بحنو أبوي:

-وخلي بالك من نفسك، المناورات فيها مجهود كبير ابتسمت قائلة:

حاضر

أنهت معه المكالمة لتنتبه إلى تلك الدقات الثابتة على باب غرفتها، اتجهت نحوه لتفتحه، طالعت الواقع قبالتها بنظرات جادة فاستطرد قائلاً بلهجة رسمية: مدام "فرح"

زوت ما بين حاجبها متسائلة بجدية وهي تنظر له بتمعن: أيوه

أشار لها موظف الفندق بكف يده متابعا بنفس النبوة: -الوفد الصحفي وصل في الريسبشن تحت، وفي انتظار حضرتك هزت رأسها بإيماءات متكررة وهي تقول:

أوكي، أنا جاية على طول

أوصدت "فرح" الباب خلفه لتعيد ضبط هيئتها قبل أن تترك الغرفة لمقابلتهم، تنفست بعمق وهي تحقق في انعكاس صورتها بالمرآة، تعمدت أن ترتدي ثياباً رسمية نوعاً ما لتشير إلى جدية الأمر، وبعد أول لقاء بينهم تعارفاً فائتحت أن ترتدي الكعب العالي ليضفي على مظهرها الأناقة والرقي، بدت حسنة المظهر في حلتها السوداء والتي تكونت من تنورة تصل إلى ما بعد ركبتها بقليل، وكنزة بيضاء اللون عنقها ينتهي بأنشوطة عريضة، عدلت من ياقة سترتها وهي تبتسم لنفسها بثقة ثم وضعت حول عنقها بطاقة الهوية الخاصة بالتعريف بها، خرجت "فرح" من الغرفة متجهة للاستقبال وهي تتطلع لرؤية أفراد ذلك الوفد، بالطبع لم يكن من الصعب التعرف عليهم، فقد كانت هيئتهم العامة تشير إلى هويتهم، وقفت قبالتهم تطالعهم بنظرات ودودة، هتفت قائلة بلطف وهي ترسم ابتسامة رقيقة على ثغرها:

صباح الخير

ردت عليها إحداهن ممن يرتدين ثياباً شبه كاشفة لمفاتنها:

يا هلا، كيفيك؟

مرت "فرح" أنظارها عليها ترمقها بنظرات شمولية متأملة مظهرها الجريء، لم تكن ترتدي سوى سروالاً قصيراً أبرز أغلب ساقها، وكنزة ضيقة جسدت معالم جسدها بإغراء مقلق، تخرجت من هيئتها وتورد وجهها قليلاً من تخيل أعين الشباب عليها، بادلتها ابتسامة رقيقة عندما تابعت متجاهلة إياها:

أهلاً وسهلاً بحضراتكم، أنا "فرح" عبد الحميد، صحفية بجريدة الضحى والمسئولة عن حضراتكم

رد أحدهم بصوته الخشن:

-أهلاً بيكي أستاذة

-وأضاف آخر بهدوء:

-أتشرفنا

اقتربت ذات الثياب الكاشفة منها لتحقق فيها بنظرات مستخفة بها، وكأنها تتعمد التقليل من شأنها والتفاخر بمظهرها، استطردت حديثها قائلة بغرور واضح عليها:

-بأعرف مين تكوني، أنا دوما غازي، مراسلة حربية!

ثم مدت يدها لتصافحها فنظرت لها "فرح" بغموض، لم تشعر بالارتياح نحوها وخاصة بعد ما قالته من عبارة أصابتها بالقلق، لم تتردد أكثر من ذلك في مصافحتها، ضغطت بأناملها على كفها، ثم تحدثت من زاوية فمها متسائلة بجديّة:

غريبة شوية إنك تعرفيني، أنا مش مشهورة أوي للدرجة؟!

ردت عليها دوما بنبرة شبه متعالية متعمدة رفع أنفها في كبرياء:

هيك بأحب أعرف مع مين عم أتعامل

ابتسمت بهكم لتثير حنقها قليلاً، وبالفعل عبست تعبيرات وجه "فرح" تأثراً بنظراتها وأسلوبها المزيج، زفرت بهدوء محافظة على جدية نبرتها وهي تقول:

-أها، كويس

نفضت دوما خصلات شعرها المموجة بكثافة - وذات اللون البني - للخلف متسائلة بدلال:

متى راح نبلس؟

حدجتها "فرح" بنظرات ممتعة وهي تجهيها:

وقت ما تبدأ المناورات أكيد، يعني مش دلوقتي

تغنجت بكتفيها قائلة:

مليح!

زمت "فرح" شفيتها مبدية استيائها من أسلوبها المستفز في التدلل واصطناع الرقة،
ما أثار ضيقها حقًا حينما قالت:

على فكرة أنا بأعرف أحكي مصري، بس مو بريفكت (ممتاز)

انتصبت "فرح" في وقفها لترد بغطرسة محاولة استفزازها هي الأخرى:

-كل الناس بتحب تكلم بلغتنا، المصري مافيش زيه!

ادعت دينا الابتسام قائلة:

-ليه، كثير محضوم

شعرت "فرح" بالاختناق منها، وحاولت قدر المستطاع تمالك أعصابها كي لا تظهر
ذلك أمامها فتستغل الأخيرة هذا وتتمادى أكثر معها، أشارت بكفي يدها متابعة:

-تقدروا تترتاحوا وهنتقابل ثاني

رد أحدهم:

على خير

وأضاف آخر باقتضاب:

-او كي

تحركت دينا لتقف قبالة "فرح"، رمقتها بنظرات متحدية وهي تقول بثقة:

-بيصير، راح نتقابل أكثير بيبي

لم تعلق عليها الأخيرة وظلت محدقة فيها بنظرات مطولة محاولة سبر أغوار عقلها، أنبها حدسها بكون وجود تلك الشابة بالوحدة لن يمر مرور الكرام أو دون افتعال ما قد يزعمها، همست لنفسها بريية:

-شكلك مش مريحني

.....

لفت خصلة شعرها المتدليلة على جبينها حول إصبعها لتعبث بها وهي تتقلب على جانب الفراش، عدلت من وضعية الهاتف على أذنها لتكمل حديثها الليلي مع زوجها عبر الهاتف، تنهدت قائلة بامتعاض:

-مش عارفة، بس البت دي شكلها يقلق

رد "يزيد" بجدية:

-حطيا تحت عينيكي، بس عاوزك تبقي فاهمة كويس إنه مش أي حد سهل يجي يغطي أخبار حرية ومايكونش معمول عنه تحريات دقيقة اعتدلت في نومتها لتحقق في السقفية وهي تقول:

-أنا فاهمة ده كويس، بس إحساسي...

قاطعها متسائلاً بفضول:

-شكلها عامل إيه؟

أزعجها سؤاله الأخير عنها، فردت متسائلة بعبوس طغى على نبرتها:

-قصداك إيه بالظبط؟

أجابها مازحاً:

-يعني حلوة؟

رفعت جسدها المسجى على الفراش لتغدو جالسة وهي ترد بانفعال واضح:

-والله، ده اللي همك

استشعر من نبرتها العصبية فهمس لها:

-يا فراشتي أنا عيني مابتشوفش غيرك إلا إذا.....

صمت عمدًا ليستمتع أكثر بإيقاعها في فخ الغيرة الذي يظهر حبها أكثر له، نبح ببساطة في ذلك فهتفت هي بعصبية أشد:

-كمان إلا إذا؟ ماشي يا يزيد!

تحولت نبرتها للشراسة وهي تحذره بتهديد شديد اللهجة:

-إياك ألحك بتبصلها كده ولا كده، ساعتها هاتشوف الزوجة المصرية على حق

كركر ضاحكًا من طريقتها، ووجد صعوبة في السيطرة على صوته حتى وهو يقول مازحًا:

-استر يا رب

استشاطت غضبًا منه، وما ضاعف من غيظها سؤاله القائل:

-هي جنسيتها إيه؟

صاحت فيه بجدة:

-معرفش، تكونش ناوي تخطبها وأنا مش عارفة؟!

رد بهدوء:

-دي معلومات عامة يا ببيي

صرخت فيه بتشنج متذكرة نفس المصطلح الذي استخدمته تلك الجريمة معها من قبل:

-ماتقوليش يا بيبي!

كتم ضحكته بصعوبة وهو يقول:

-اهدي يا حبيبتى، أنا بأهزر معاكى

-إلا في ده!

-حاضر، هاشوفك من بكرة

-إن شاء الله

تابع مضيئاً بجديّة:

-مش هاوصيكي، احنا أه متجوزين، بس الشغل مافهوش كده

لوت ثغرها قائلة بضيق:

-الدور والباقي عليك

تنحج مردداً بخشونة جادة:

-إنتي عرفاني، في الشغل معرفش أبويا حتى

همست لنفسها بتوتر ملحوظ وهي تعبت بخصلات شعرها:

-ما هو ده اللي قلقني بزيادة

.....

توقعت أن تبدو غريمتها الجديدة متأقّة في ثياب رسمية بل ومتباهية بنفسها وبجمالها الصارخ، لكنّها خيبت توقعاتها وارتدت ما يقارب الملابس الرياضية —تجمع بين اللونين

الرمادي والوردي- مع حفاظها على مظهرها الجمالي، للحظة اهتزت ثقة "فرح" في نفسها وبدت متوترة من التعامل معها، وكأن الأخيرة قد قرأت ذلك بوضوح فيها فتعمدت اللعب على أوتار تلك المسألة، اقتربت ديمًا منها بخطوات متدنية متغنجة بجسدها الرشيق أمامها، رمقتها "فرح" بنظرة قوية تتفحصها عن كذب، كان الهواء يداعب خصلات شعرها المموجة فزاد ذلك من دلالتها المستفز، التوى ثغرها قائلة بابتسامة مغترة:

-كيفيك؟

أجابتها "فرح" بامتعاظ وهي تنظر لها شزرًا:

-تمام

مالت عليها لتقول بنبرة غير مريحة متعمدة إثارة ربيتها أكثر:

-أنا مستعدة لليوم، كثير حاسة بالحيوية

ردت عليها "فرح" بعبوس لم تخفيه:

-الموضوع مش سهل على فكرة، احنا بنتعامل مع حاجة زي القتال الحي و...

قاطعتها بغطرسة وهي تشير بكف يدها:

-بأعرف كل شي، قولتلك من قبل إني مراسلة حربية، يعني بلشت بأكثر من هيك!

كتفت "فرح" ساعديها أمام صدرها لتنظر لها بجدة وهي ترد على مضض:

-بجد، طب كويس

ظلت كلماتها تتبادلان نظرات متحدية رغم اختلاف طبيعة كلا منهما، لكن الحدس الأثوي لـ "فرح" لعب دورًا كبيرًا في تحذيرها من تلك الشخصية الغامضة، قطع تحديقها المطول صوت أحدهم قائلاً:

- احنا جاهزين أستاذة

التفتت "فرح" نحوه وهي ترخي ساعديها قائلة بابتسامة مصطنعة:

-تمام، ٥ دقائق وهاتكون معانا عريية تنقلنا القاعدة البحرية

هز الصحفي رأسه بفهم وهو يقول:

-أوكي

استدارت برأسها من جديد لترمق ديمًا باندعاش والتي بدأت في التقاط صور "سيلفي" لها بأوضاع حرفية لتقلقها أكثر، انتهت الأخيرة مما تفعله لتتابع بحمايس:

-تعرفي، كثير برمت بالعالم، بس ها دي أول مرة بأشوف ضباط مصريين

لوت "فرح" ثغرها قائلة بتهكم وقد اشتدت قسبتها نوعًا ما:

-ماتشوفيش وحش، رجالتنا معندهومش ذوق، ناشفين وخشنيين، وأسلوبهم جامد وخصوصًا مع الستات

احتدت أعين ديمًا نحوها، بدت غير مقتنعة بما تقوله، ففغرت شفيتها قائلة:

-بالله!

-أه وأكثر من كده بكثير، لسانهم طويل، وإيدهم طرشة، ومش بيتفاهموا أبدًا

أطلقت ضحكة رقيقة وهي تهتف مادحة:

-يؤبرني ها القبضاي

لم تستطع تفسير ما قالته فزوت "فرح" ما بين حاجبيها متسائلة:

-مش فهمائي، قصدك إيه

غمزت لها ديمًا بطرف عينها قائلة بعبيث:

-يعني بأحب هيك نوعية من الرجال، كثير بأتعلق فيهم، يطيروا العقل!

انقبض قلبها بعد تصريحها للملك للأبدان، فإن كانت حقًا من عاشقي الرجال الأشداء
فحتمًا لن يفلت من قبضتها زوجها، خاصة أنه معروف لدى أقرانه بمدى صلابته وخشونة
القوية، ابتلعت ريقها هامسة بقلبي انعكس على نظراتها:

-ربنا يستر، قلبي مش مرتاح

لحظات وأتى إليها أحد العاملين بالفندق ليقول بنبرة رسمية:

-العربية جاهزة يا أستاذة "فرح"

أومات برأسها مضيفة بنبرة عالية:

-اوكي، يالا يا جماعة، هنتحرك دلوقتي

صفقت ديمًا بيديها بحماس أشد وهي تثب في مكانها كالصغار:

-وأخيرًا هانبلش المغامرات

تجمدت أعين "فرح" عليها كاضمة ضيقها في نفسها، بدت مفاتها تتحرك في انساوية
مثيرة مع ما تقول به من اهتزازات متحمسة، بالطبع تصرفات طفولية كتلك ستسلط
الأنظار عليها بالتأكد وستجعل الجميع يتحدث عنها، ستغدو بين ليلة وضحاها حديث
من بالوحدة، تنفست بعمق لتضبط انفعالاتها قبل أن تنهز عليها، ضغطت على
أسنانها هامسة لنفسها:

-امسكي أعصابك يا "فرح"، ماتخليش واحدة سيلكون زي دي تستفزك!

.....

استقل الجميع الحافلة التي تم إرسالها إلى الفندق لتنتقل طاقم المراسلين إلى القاعدة
البحرية حيث المناورة البحرية التي سيتم الشروع بها هناك، سُمح لهم بالدخول بعد

التأكد من جميع الهويات لبدأوا جولتهم السريعة والتفقدية به، نظرت دوماً بانهار لما حولها قائلة:

ها المكان شو عظيم وكبير!

ردت عليها "فرح" مؤكدة:

-إنتي لسه شوفتي حاجة، لما تلقى أكثر فيها هاتعرفي إنها من أكبر القواعد البحرية في الشرق الأوسط وعلى البحر المتوسط

هزت رأسها بتفهم وهي تسير بدلال نحو الأمام، وقعت أنظارها على بعض ضباط الصف بينهم العسكري وشموخهم المهيّب، هتفت بنزق وهي محدقة فيهم بنظرات إعجاب:

-لاك شوفي ها الحلوين!

لم تعلق عليها "فرح" واكتفت بالنظر لها بازدياء فأكلت بنبرة مليئة بالحيوية:
-كثير بيعقدوا بلبسهم!

لم تصمت تلك المرة عن مدحها الزائد في الضباط، قبضت على ذراعها مرددة بجدية:

-عادي يعني، هي أول مرة، احنا رجالتنا حمشين، مش بيعجبهم الحال المائل

عبست دوماً بتعبيراتها قائلة بدلال:

ما بأفهم عليكى، بس كثير حبيت هالأجواء!

سحبت "فرح" أنفاساً مطولة لتجبر نفسها على الحفاظ على ثباتها أمامها، فالشكوك تساورها حول لجوء تلك السمجة لأساليب الاستفزاز لتجعلها تخرج عن شعورها، هتفت مرددة لنفسها بتحفيز:

-اهدي، مافيش حاجة خالص، إنتي أقوى من الحركات المفقوسة دي!

تجاهلت ما تقوم به عن عمد لتركز في عملها مع باقي أفراد طاقم المراسلين، والذين كانوا أكثر جدية واهتمامًا بكل تفصييلة تدور في المكان، بعد برهة تجمعوا في الردهة الواسعة بالمبنى الرئيسي بالقاعدة البحرية حيث كان في استقبالهم أحد القادة، لمحت "فرح" بطرف عينها "يزيد" وهو يقف في المقدمة مع الضباط المكلفين بتلك المناورة، شعرت بالفخر لكونه زوجها المشهود عنه بالكفاءة والتميز، تحاشى الأخير النظر إليها كي لا يتسبب ذلك في إحراجهما، حافظ على الرسمية بينهما وتفهمت هي ذلك، انتهت لصوت القائد حينما استطرد حديثه قائلاً بجدية:

-أهلاً وسهلاً بكم في القاعدة البحرية، معقل أحد أهم فروع القوات المسلحة، واللي دوره ما يقلش أبداً عن الفروع الثانية، طبعا مش محتاج أتكلم وأضيع وقت عن تاريخ البحرية المصرية ولا الأسطول بتاعنا، بأفضل إننا نشوف ده على أرض الواقع، احنا واثقين في كفاءة ومهارة رجالتنا!

استدار برأسه ليشير إلى الواقف إلى جواره متابعا:

-دلو قتي المقدم "يزيد" هايشرح لحضراتكم بإيجاز الخطوط العريضة لطبيعة شغلكم هنا تقدم خطوة للأمام منتصباً في وقفته أكثر ليقول بنبرة رسمية للغاية:

شكراً يا فندم، أكيد عند حضراتكم خلفية مبدئية عن طبيعة النوعية دي من المناورات المشتركة، هنبداً فيها ببيان عملي عن إجراءات الدفاع والحراسة للمسطح المائي لميناء الإسكندرية، هيتم تقسيمكم مع المساعدين بتوعكم على حاملة الطائرات، والفرقاطة، واللانشات، والفريم، وهيتوزع عليكم جدول زمني خاص بأعمال المناورة بالترتيب، كذلك في كتيب مرفق عن السلامة والأمان أتمنى تقروه كويس وتلتزموا بيه، لو في أي استفسار المقدم "آدم" الجزار هيفيدكم

همهمات خافتة سادت بين طاقم المراسلين لكنها منحت الفرصة لنظرات اثنين من العاشقين للتعبير عن حبهما الشغوف، ورغم تلك الابتسامة الصغيرة على ثغرها إلا أن أثرها ألهب مشاعره، أبعد عن تفكيره مؤقتًا الشرود في عشقه لها متابعًا بنفس اللهجة الجادة:

قدام حضراتكم ساعتين قبل ما نتجمع عند نقطة التحرك، تقدروا تفضلوا تراجع للخلف راميًا زوجته بنظرة خاطفة قبل أن يوليها ظهره وينضم لزملائه، كانت في قمة سعادتها لكنها للأسف تلاشت في لحظة ليحل محلها القلق والتوتر حينما همست لها ديمًا بإعجاب:

-والله بيطير العقل

قست نظراتها نحوها لتقول بنبرة أنثوية تعني الفتك بمن يتجرأ على التطلع إلى من يخصها:

على فكرة المقدم "يزيد" يبقى جوزي!

رفعت ديمًا حاجبها للأعلى مرددة بإحباط:

عنجد؟ والله ما بأعرف!

حاولت أن ترسم ابتسامة مشرقة على ثغرها وهي تضيف:

-نيالك بيه

ردت عليها "فرح" بتجهم وهي ترمقها بنظرات محذرة:

-أديكي عرفتي، فيا ريت تاخدي بالك

فهمت على الفور نظراتها نحوها، أدركت أن نيران الغيرة ستأكلها حتمًا إن توددت إليه، التوت شفتها بابتسامة أكثر لؤمًا مرددة بتسليية:

شور بيبي !!

.....

الفصل الخامس عشر (جزء أول)

تجنببت التواجد إلى جوارها كي لا تعطيا الفرصة لاستثارة أعصابها أكثر، ابتعدت عنها لتتقف عند الطاولات المخصصة لتقديم أطباقًا خفيفة من الطعام كنوع من الترحيب بالزوار، التفتت "فرح" برأسها للجانب لتختلس النظرات نحو زوجها الذي انزوى عن الحضور ليتحدث مع قادته، عاودت التحديق في صحن الطعام الذي تملأه بالماكولات الخفيفة، انتفضت بخفة حينما سمعت صوتًا يقول من خلفها:

منورة القاعدة كلها

استدارت للجانب لتجد "آدم" يطالعها بنظراته المرحّة، عاتبته قائلة:

-كده برضوه، ينفع تخضني بالشكل ده؟

ابتسم لها معتذرًا بود:

حقك عليا يا مرات أخويا

أومات برأسها قائلة بابتسامة صافية:

-ماشى، مقبولة منك

التقطت بأصبعها قطعة من الحلوى المخبوزة لتدسها في فمها، سألتها "آدم" باهتمام وهو يتناول قطعة مثلها:

-إيه الأخبار معاكي؟

أجابته بفتور:

عادي

وقعت أنظارها على دينا فرأتها تتعمد التغمج بجسدها واصطناع الدلال مع من حولها لتحصل على انتباههم الكلي، تبدلت تعبيراتها للسخط والانزعاج، فقد بدا ما تفعله زائداً عن الحد المسموح، والغريب أنها لا تلقى أي اعتراض من الآخرين، لاحظ "آدم" ذلك التغير الحادث على قسماتها فسألتها مستفهماً:

-مال وشك، شكل الأمور مش ولا بد معاكي

أجابته بامتعاض:

-لا، أبداً

احتدت نظراتها بصورة واضحة حينما رأت دينا تقترب منها قاصدة إياها، التفت "آدم" نحو ما تحدث فيه زوجة رفيقه، انفرجت شفتاه هامساً بإعجاب وهو يطالع صارخة الجمال بنظرات مشدوهة:

-إيه الصاروخ اللي داخل علينا ده

لوت ثغرها مرددة بتجهم:

قصدك دينا

اشتد في وقفته ل يبدو أكثر شموخاً وطولاً وهو يتابع بمدح:

هو في كده

رأت ديمًا نظرات الإعجاب جلية في ذلك الضابط الواقف قبالة "فرح"، فتعمدت التدلل أكثر وهي تقول بركة:

هاي، أنا ديمًا، ما بتعرفيني "فرح" على الزمة

مد يده سريعًا لمصافحتها هاتفًا بنزق:

أنا المقدم "آدم" الجزار يا مزة

بادلته المصافحة بتلمس أصابعه بركة أكثر لتثير غرائزه بتلك الطريقة المفتعلة، همست قائلة بلطف وهي تبسم له ابتسامة خطيرة:

يا هلا فيك

سألها "آدم" باهتمام دون أن يبعد أنظاره عنها:

إنتي مش مصرية بقي

أجابته بغرور يليق بدلالها:

أنا من لبنان

انزعجت "فرح" من استرسالها في الحوار دون مراعاة لوجودها، وعلى قدر الإمكان جاهدت لتضبط انفعالاتها كي لا تظهر لها ضيقها، تهللت أسارير "آدم" أكثر وهو يقول بلا تفكير:

بجد، شو أحوالك، شو أخبارك، شو تسوي؟

ثم غمز بطرف عينه لـ "فرح" ليضيف مداعبًا:

جملتين حافظهم من الأفلام

تحولت نظراتها للحدة وهي تحذره بغلظة:

خف يا "آدم" ، دي صحفية معانا هنا!
وكأنها لم تنطق شيئاً، فتجاهلت ديما ما رددته لتضيف بنعومة:
-إنت كثير محضوم! راح نكون رفقات
اتسعت ابتسامة "آدم" على الأخير وهو يرد:
طبعاً

نفخت "فرح" بصوت مسموع لتبدي سخطها واستنكارها مما يحدث بينهما، التفتت ديما
نحوها لترمقها بنظرة متهمكة من طرف عينها قبل أن تقول بهدوء رقيق:
-بدي أتركك مع المدام "فرح"، شكلها كثير معصب
اعترض "آدم" طريقها قائلاً بضيق:
-لا استني، احنا مالحقناش ناخد وندي بشكل ودي
ابتسمت له قائلة:

عندي إيشي مع رفقاتي، بدك تعذرني
تهد "آدم" مضيقاً باستسلام أمام إصرارها على الذهاب:
-ماشي، وأنا موجود لو ناقصك أي حاجة
غمزت له قائلة بابتسامة مغرية:

-يسلملي ها الرجال
لوحت له بأطراف أناملها تودعه ثم أولته ظهرها لتسير مبتعدة عنها، همس "آدم" من
بين شفثيه بانهار:
هو في كده

وبخته "فرح" بجدية:

آدم، ماينفعش كده!

التفت ناحيتها مرددًا باعتراض وقد عبست ملامحه قليلًا:

هو حد يقول للنعمة لأ

حدجته بنظرات قوية وهي تسأله:

هي فيها إيه زيادة عننا عشان الكل يريل أول ما يشوفها؟

أجابها مبتسمًا:

دي امرأة بلا قيد

تركت "فرح" ما بيدها من صحن على الطاولة لترد بجدية شديدة:

والله

مال عليها هامسًا:

أيوه، يعني فرصة حلوة لتقريب الثقافات وتبادل الخبرات

انتبه كلاهما لصوت تلك الضحكة العالية فتحولت أنظارهما على ديمة التي كانت تضحك

مع بعض المراسلين، التقت أنظارها بآدم فلوحت له من بعيد، أشار لها بكفه مرددًا

بنفس الابتسامة البلهاء التي تعلو ثغره:

-يؤبرني ها الحلو

استاءت "فرح" من تصرفاته هو الآخر، فقست تعبيراتها على الأخير وهي تهتف

بصرامة:

آدم

استدار ناحيتها متسائلاً:

-شو؟

هددته قائلة بلهجة حادة:

حبيب أنا دلوقتي هاتصل بشيء وأقولها على اللي بتعمله!

تلاشت الابتسامة من على محياه ليحل الانزعاج والضيق من جديد على تعابيرها،
ازدرد ريقه قائلاً بامتعاض انعكس على نبرته:

خلاص، أنا مش ناقص عكينة!

عاود التطلع إلى ديماء متأملًا تمايلها الصارخ وهي تنحني لربط حذاءها الرياضي، تهدد
قائلاً:

منورانا يا "فرح"، نورك غطا على معركة الصواري كلها

حركت أعينها لتحقق هي الأخرى فيها، وردت باستنكار:

ده بجد

استأنف "آدم" حديثه قائلاً:

عليكي شوية طوربيدات إنما إيه تفجر المحيط

فهمت المغزى العاثر من جملته الأخيرة فحذرت بصلافة:

آدم

تنحني قائلاً بخشونة:

ده أنا بأراجع معاك التاريخ، معركة إغراق المدمرة إيلات!

أشارت له بعينها متابعة بنبرة آمرة:

-امشي يا "آدم" بدل ما

قاطعها بخوف:

-هامشي يا ستي!

ودعها ليتحرك في اتجاه رفاقه الآخرين، أشار ليزيد بيده هاتفاً بجدية:

-سيادة المقدم، عاوزك في كلمتين

التفت الأخير نحوه مردداً:

-تمام

وقف إلى جواره يسأله باهتمام:

-في إيه يا "آدم" ؟

أجابه بغموض:

-إلي إنت طلبته حصل، بس خد بالك "فرح" شايطة من المزة اللبناني

تحدث "يزيد" من زاوية فيه قائلاً على مضض:

-شغل غيرة ستات!

اتسعت ابتسامة "آدم" مضيقاً بحماس:

-والتانية الصراحة هتدخلنا جهم الحمرا بعمايلها، محدش أدها الصراحة

حذره "يزيد" بصرامة:

-اركز، قولنا إيه

ربت "آدم" على صدره قائلاً بجدية زائفة:

-اطمن يا باشا!

-والله أنا ما شايل هم إلا منك!

كركر "آدم" ضاحكًا من استخفاف رفيقه به، وظل يتبادل معه حديثًا تنوع ما بين الجدية والمزح، في حين راقبت "فرح" من تفتعل الأنوثة الطاغية بأعين كالصقر متجاهلة ما يدور حولها، همست من بين أسنانها تتوعدها:

-واضح كده إنك مش هاتجيبها لبر، وأنا مش هاسكت عن المسخرة دي!

أخرجها من تفكيرها الانتقامي صوت "يزيد" الهاتف:

- "فرح"

التفتت نحوه لتجده مقبلاً عليها، شعرت بالارتياح لقربه منها وكأن بحضوره سحرًا ما، اعتلى محياها بسمه رقيقة وهي تهتف باسمه:

-يزيد

تأمل وجهها بنظرات ملية وهو يسألها:

-في حاجة نقصاكي يا حبيبتي؟

هزت رأسها نافية:

-لا، كله تمام

وضع "يزيد" قبضته على ذراعها يتلمسه متابعًا بجدية:

-بصي لو قلقانة من طلعة البحر إتي ممكن تغطي من هنا، أنا عارف إنك

رقص قلبها طرباً لاهتمامه الحاني بها، هو لم ينس رهبتها السابقة من البحار، مازال متذكراً لتلك التفصيلة الهامة، اجتهدت هي لتغلب عليها مستشعرة وجوده الأمن بجوارها، ابتسمت مؤكدة:

-اطمن يا حبيبي، أنا مستعدة

مسح على ذراعها قائلاً بهدوء:

-ماشي يا "فرح"، وأنا جمبك متخافيش من حاجة

أومات برأسها مرددة بابتسامة لطيفة:

-اوكي

لم تكن لتتركها نظراتها المتقدمة للتعرف على شخص مثله، هو لفت انتباهها منذ حديثه، استشعرت من تأملها المتفحص له ما لديه من قوى جسمانية، هي بحاجة للتعرف على شخص مثله، فدوماً في جولاتها الصحفية تلتقي بالأبرز والأقوى بل والأشجع في عالم الذكور، وكأن في ذلك إشباعاً لغريزتها الأنثوية، لم تتردد كثيراً في التودد إليه وبسط شباكها عليه، خطت مسرعة نحوه لتقول بنعومة زائدة:

-بونجور، أنا ديمَا

نظر "يزيد" إلى يدها الممدودة شزراً، من الطبيعي لديه أن يصاحف من يمد يده إليه، لكن في حالتها تلك ومع نظرات "فرح" المزعوجة لها أثر أن يشبك يديه خلف ظهره وهو يقول بنبرة رسمية:

-أهلاً وسهلاً

استندت ديمَا بيدها على ذراعه لتثير في نفسه رعشة مزعوجة من تصرفها الغير لائق، شعرت بما اعتراه، فالتوى ثغرها بابتسامة مأكرة وهي تقول:

-كثير متشوقة أتعرف عليك

فغرت "فرح" شفيتها مصدومة مما يحدث، فتلك الوقعة تتصرف بعدم حياء مع زوجها وكأنه مستباح لها، اصطبغ وجهها بحمرة كلية محاولة منع تدفق الدماء المغلولة في عروقها والتي تحثها على الإمساك بها من شعرها وجذبها منه أسفل قدميها لتهال عليها بالركلات لتجرؤها على زوجها، تراجع "يزيد" خطوة للخلف ليعيد يدها عنه، بل وبدا أكثر جدية وخشونة وهو يرد:

ليه؟

أجابته بغرور واثق:

من "فرح"، عم تحكي عنك ليل نهار، ما تكسفي حبيتي، من حقه يعرف

هتفت "فرح" باستنكار وقد انفجرت غضبًا:

محصلش، ماتقوليش حاجة على لساني كذب!

أدرك "يزيد" أن زوجته في حالة شبه منفعة فلف ذراعها حول كتفها ليحتضنها دون أكثر من حوله قائلاً بتفاخر:

شكرا، أنا مش محتاج مراي تقول ده، أنا بأحس بقلبي، صح يا حبيتي

رأت "فرح" من طريقته احتوائًا سريعًا لنوبتها المتعصبة، ابتسمت له بامتنان تشكره بنظراتها على تصرفه الحكيم، مسح برفق على ذراعها ليضيف باقتضاب:

هاسيكم مع بعض، عن اذنكم

اعترضت ديمًا طريقه قائلة بتحدٍ وكأنه تتعمد إغاطة "فرح" وإلهاب عواطفها:

راح نتقابل أكيد

نظر لها بازدياء دون أن يعلق عليها قاصداً إحراجها، ثم تحرك مبتعداً عن الاثنين، تحولت نظرات "فرح" للقتامة وهي تقول:

-بيتهيا لي أنا

قاطعتها ديمًا بغطرسة:

-أنا ما عملت إيشي لسه، بيبي!

نفثت "فرح" دخاناً من أذنيها بسبب أسلوبها المستفز وتصنعها للبراءة والدلال، لقد بدت أقرب لكونها تخفي شيئاً ما، ولن تتراجع "فرح" عن كشفه حتى لو في ذلك هلاكها.

.....

توقف الجميع على مقربة من المرسى استعداداً للانتقال بالزوارق -كل على حسب مهمته- إلى القطع البحرية المختلفة، كان من نصيب "فرح" التواجد على إحدى حاملات الطائرات "الميسترال"، انبهرت بضخامة تلك القطعة البحرية الهامة، والتي يتجاوز طولها المائة وتسعة عشر متراً، كانت قد قرأت عنها مسبقاً، لكنها المرة الأولى التي تكون على متنها، الميسترال مخصصة لحمل الدبابات، والمدرعات، ومركبات القتال بالإضافة إلى الطائرات الحربية وتخزين طائرات نوع الهل وتمويلها بالوقود، هي مجهزة للبقاء في مياه البحار لمدة تتخطى السبعين يوماً، فتعد من أهم القطع في الأسطول البحرية، هي تفوق الفرقاطة حجماً وشكلاً، تلاشت رهبتها مع إعجابها بضخامتها، كان في استقبالها زوجها الذي بدا وسيماً في زيه العسكري، لم تستطع إخفاء نظرات عشقها له، مدت يدها لتصعد على الدرج المعدني فأمسك بها يعاونها في صعودها، ابتسمت له بنعومة وهي تقول:

ميرسي

رد بهدوء مقاومًا ابتسامته الساحرة:

-نورتي الميسترال، خدي بالك، مش هاوصيكي

أومأت برأسها قائلة بنعومة أكبر:

-حاضر يا حبيبي

حذرها بنظراته من عدم استخدام سلاحها الأثوي الجذاب في التدلل عليه مؤكدًا من جديد:

-قولنا إيه

-لوحت بإصبعها مرددة بجدية مصطنعة:

-تمام يا سيادة المقدم

سار الاثنان معًا يتفقدان الحاملة، أبدت "فرح" اهتمامها بكل ما يمليه عليها زوجها من معلومات هامة ومفيدة في تقريرها، ولم تكف عن التقاط الصور المميزة لبدن الحاملة والأسطح المختلفة بها، ظلت الأوضاع هادئة نسبيًا حتى وقعت أنظار "يزيد" على تلك المتغلبة والقادمة نحوها، هتف بامتعاض:

-وايه اللي جاب دي كمان؟

التفتت برأسها حيث ينظر متسائلة بعدم فهم:

-مين دي؟

تجمدت أعينها على وجه ديمًا التي كانت تبتسم بسخافة، اتسعت مقلتها بذهول واضح، تتمت من بين شفثيها بصدمة:

-مش ممكن

لوحت لهما ديمًا بيدها وهي تقول بتصنع:

-هاي، مو معقول هاي الميسترال، كثير بتعقد، هاي دي أول مرة بتواجد عليها
امتنع وجه "فرح" على الأخير واكفهرت تعبيراتها من أسلوبها المثير للأعصاب لم تستطع
ضبط انفعالاتها، فزفرت بامتنعاض وهي تقول:

-كده كثير بجد، ممكن كلمة على جمب يا سيادة المقدم

شعر "يزيد" بما يعترها فأشار لها بعينه لتتبعه بعيدًا عن تلك السمجة المتطفلة التي
تستفزها، هتفت بعصبية رغم انخفاض نبرتها:

-ازاي تسمحولها تيجي معايا؟ المفروض تروح تغطي في مكان ثاني، كده

فهم على الفور سبب تعصبها الواضح فقاطعها قائلاً بجدية وقد قست تعابير وجهه:

-"فرح" مش أنا مسئول التوزيع، أكيد المنسق الإعلامي اللي اختار مكانها، وبعدين
إنتو طاقم مراسلين، يعني طبيعي تتواجدوا في كل مكان عشان تغطوا المناورة

ردت بجدة وقد احتدت نظراتها:

-عمومًا عتابنا مش هنا

حذرها بجدية وقد بدا منزعًا من افتعالها للمشاجرات:

هو إتي هاتعملي مشكلة من لا شيء؟

توترت علاقتهما نوعًا ما فلاحظت ديمًا ذلك، أرادت أن تستغل الفرصة لتفرض نفسها
عليها، اقتربت منها متسائلة:

-شو؟

توقف الاثنان عن الجدال ليرمقاها بنظرات حادة، استطرد "يزيد" حديثه قائلاً بنبرة رسمية:

-أستاذة "فرح" هاتكون معاكي

اعترضت عليه دوما قائلة بعبوس لطيف:

بس عندي كثير تساؤلات، بدي مساعدتك إنت

نظر لها بقوة وهو يرد بجمود:

-زي ما قولتك، أستاذة "فرح" تحت أمرك

رمقته دوما بنظرات ذات مغزى، ادعت إصابتها بدوار البحر، فاستندت عن قصد

بذراع "يزيد" متعلقة به وهي تقول بحرج زائف:

-بأعذر منك، كثير الجو شوب، وأنا مو متحملة

فغرت "فرح" شفيتها مشدوهة مما تفعله، حدقت فيها تنتوي إحراقها حية لتعمدها

التجاوز معه، أبعدها "يزيد" عنه قائلاً باقتضاب:

-ألف سلامة

تراجع خطوة للخلف ليضيف بجدية:

-رأني تركزي مع أستاذة "فرح" أحسن! سلام!

ابتسمت له قائلة بتسلية:

-ميرسي، بس عنجد إنت اللي بدي إياك مو هي

وكانها تعتمد إضافة الزيت على النيران المستعرة لتزيد من تأججها، قبضت "فرح" على ذراعها لتديرها نحوها وهي تقول بشراسة واضحة في نبرتها وكذلك في أعينها المستشاشة حنقا منها:

عاززة إيه؟

نفضت يدها عنها قائلة بتأفف قاصدة تجاهلها:

مو هلاً!

حذرتها "فرح" بجدة وقد توهجت نظراتها على الأخير:

-بصي يا ديماء، واضح كده إنك ناوية على مشاكل معايا، فأحسنك تبعدي عني، لأنني مش هاسكت عن اللي يخصني

ابتسمت لها بتهكم وهي ترد بنبرة ذات مغزى:

حبيبتي، إتي بعدك ما شوفتي إيشي مني!

اقتربت منها حتى وقفت قبالتها، حدجتها بنظرات تحمل العدائية الصريحة لتتابع بعدها بنفس الأسلوب الساخر:

-أنا ديماء غازي مو "فرح" ما بأعرف شو!

تفاجأت "فرح" بما تتفوه به، لم يأت بمخيلتها أن تتحداها بتلك الفجاجة، استخدمت ديماء سبابتها في لكرها من كتفها عدة مرات وهي تواصل تهديدها الضمني قائلة بتهديد أشد شراسة:

فبدك عمليلي مليون حساب مو واحد بس !!!

.....

الفصل الخامس عشر - جزء ثاني

استشاطت نظراتها نحوها بعد تهديداتها الصريحة لها، اشتعل وجهها بحمرة غاضبة، فإن كانت تعتمد تلك السمجة استفزازها فقد نجحت في ذلك وببراعة، أوصلت "فرح" لقمة غضبها المستعر منها، فلم ترغب في تركها دون الرد عليها، لذلك انتصبت في وقفها الشاحخة، رمتها بنظرات مهيبة شملت من رأسها لأخص قدميها قبل أن تستطرد حديثها قائلة بقوة لا تعرف من أين أتت لكنها نبعت من حنقها عليها:

-شوفي بقي يا ... ديم

نظرت لها الأخيرة شرًا مبدية انزعاج طفيف من لكتتها التي تحوي القليل من التهم، تابعت "فرح" بثبات قوي:

إن كنتي فاكرة بالكلمتين دول هاخاف، تبقي غلطانة

ابتسمت ديم قائلة بتهكم:

لك شو....

قاطعتها مشيرة بسبابتها وقد احتدت نظراتها:

سيبك من الهري اللبناني ده، ولا يآثر فيا

تحركت خطوة للأمام نحوها مكلمة بشجاعة:

بس اعرفي كويس إني لا بأخاف ولا بأتهدد، مش عشان أنا صحافية ولا غيره

رمقتها ديمًا بنظرات متحدية مستمتعة بما تردده "فرح" من تهديدات غير قابلة للتصديق - من وجهة نظرها - متعمدة السخرية منها، ابتسمت بهكم أكثر للتأكد من وصول المغزى من استخفافها بها إليها، لم تكثر "فرح" بما تفعله من تصرفات غرورية تستفزها واستأنفت حديثها قائلة بثقة أكبر:

-الي بتكلمي عنه ده يبقى جوزي، ومش هاقولك ده خط أحمر ولا حتى خطين أحمر، كفاية إنك تعرفي كويس إن الي هاتقرب منه هارقشها بسناني، جازر إتي مجربيش الست المصرية الي بتحب جوزها وتغير عليه ممكن تعمل ايه، فاحسنك إتي تخافي مني!

كركرت ديمًا ضاحكة كتعبير عن استهزائها بها وهي تقول:

-بالله، راح انجلط من الرعة

لكرتها "فرح" بكتفها بقوة وهي تندفع للأمام هاتفها لها بازدراء وقاصدة تقليدها:

-شور يا بيبي، هتنجلطي وعلى إيدي!

تأوّهت ديمًا من الألم المبالغت، وتابعت بأنظارها الحادة "فرح" وهي تنصرف مبتعدة عنها حتى اختفت من أمامها، كتفت ساعديها أمام صدرها محدثة نفسها بتحدٍ سافر:

-إتي ما بتعرفيني بعد

توقفت عن تحديقها بها حينما سمعت صوتًا يقول من خلفها:

-تفضلي معانا يا أستاذة

التفتت ديمًا برأسه لتجد أحد الضباط يشير لها لتتبعه، سألته مستفهمة:

لّوين؟

أجابه بجدية:

-المقدم "يزيد" مبلغني إن حضرتك المفروض هاتتواجدي على السطح عشان زاوية التغطية

هزت رأسها بتفهم، فقد كان يقصد بذلك مكان تواجدها أثناء إدارة المناورة لتتمكن من المتابعة والتصوير بحرفية أكبر، ابتسمت له قائلة بركة:

-راح إجي معك

سارت خلفه وابتسامة مأكرة تعلو ثغرها، فقد باتت متحمسة للقيام بمهامها الرسمية، والغير رسمية أيضًا.

.....

-ملقاش حاجة خالص

قالها "آدم" وهو يستند بيده على الحافة المعدنية في الزاوية القصوى بالجزء الخلفي للميسترال وقد ركز أعينه على وجه "يزيد" الواقف إلى جواره، سحب الأخير نفسًا عميقًا لفظه ببطء ليرد بعدها بنبرة جادة وقد ضاقت نظراته المسلطة على نقطة ما بالفراغ:

-أكيد مش هاتسيب حاجة وراها هناك في الفندق

أضاف "آدم" مؤكّدًا:

طبعًا، هما اللي زها عبط، دول مدرين على النوعية دي من المهمات، ورجالتنا
ماسبوش خرم إبرة في الأوضة إلا وفتشوه

أخفض نبرته ليتابع بعث:

كان ناقصني أفتشها بنفسي تفتيش ذاتي!

رد عليه موضحًا:

هي جاية عشان غرض معين، ولولا المخابرات مكو ناش عرفنا مين هي

حك "آدم" ذقنه الحلقة قائلًا باستنكار:

أيوه، ديمافايجوسكي، وشوف بنت اللذينة عاملة فيها لبنانية وتقولك يؤبرني وما أدري

شو، بس على مين مايخلص عليا!

فرد "يزيد" كتفيه مضيقًا بجدية:

كل ده عشان ماتلفتش الانتباه، دول بيبقى معاهم أكثر من لغة وأكثر من جنسية

وبيتنكروا في حاجة متعرفش تشك فيها

هز رأسه مؤيدًا إياه:

أيوه

تابع "يزيد" قائلًا:

وكون إنها مراسلة حربية هيخليها تتواجد في أخطر المناطق ومع قوات الجيش وتنقل

على الطبيعة اللي بتشوفه للي مشغلينها

أشار "آدم" بيده وهو يقول:

يا ريت تقدر نكشف عن طريقها شبكة التجسس اللي هنا

أوماً "يزيد" برأسه قائلاً:

-هايحصل إن شاء الله، احنا مسكنا طرف الخيط، وأكثر من جهاز مشترك معنا في العملية دي، وقريب أوي هنوقعهم!

حذره "آدم" بقلق طبيعي:

-بس "فرح" مش هاتسلك معاها، إنت شايف الوضع عامل ازاي بينهم

حرك "يزيد" رأسه في اتجاهه ليضيف بجدية:

-وجود "فرح" مهم عشان تغطي علينا وإلا في احتمال تتكشف

ابتسم "آدم" مازحاً:

-ماهي المناورة أونطة، وكل اللي بنعمله ده بلح

رمقه "يزيد" بنظرات محذرة كي يكف عن الحديث قائلاً:

-اهدى عشانها جاية

اعتدل الأخير في وقفته ورسم على محياه ابتسامة بلهاء وهو يهتف بحماس:

-أهلاً بمرات أخويا

لم تبشر تعبيراتها المشدودة بخيرٍ على الإطلاق، استشف "يزيد" من عبوسها وجود خطب ما بها، وضع قبضته على يدها يسحبها بعيداً عن "آدم" ليسألها بهدوء رغم جدية نبرته:

-خير يا "فرح"؟

أجابته بتشنج لم تتمكن من ضبطه:

-بأقولك ايه أنا مش طايفة اللي اسمها دينا

سألها برود:

ليه؟

اغتاظت من تغاضيه عن تصرفاتها المتجاوزة وكأنه لا يراها، هتفت مستنكرة بانفعال
مستخدمة يدها في التلويح بعصبية:

-إنت مش شايف بتتعامل معاك ازاى ولا بتتمحك فيك بطريقة مستفزة
نظر لها بقوة قائلاً بنبرة رسمية:

-ايدك جمبك يا "فرح"، احنا مش في بيتنا

كورت قبضتها ضاغطة على أصابعها بغل، كظمت غضبها في نفسها مضطرة، وأرخت
ذراعها إلى جانبها، فقد أشار لها مسبقاً بضرورة الحفاظ على الرسميات بينهما خاصة
حينما يتواجدان معاً، تابع قائلاً بنفس الهدوء الاتفعالي المحنك:

حبيبتي، إتي عارفة ان كل اللي هي بتعمله ده مايكولش معايا، فكبري منها، وبعدين
أنا مش بأحب إلا اتى وبس
امتقع وجهها صائحة بضيق:

-وأنا مش عاوزة أكمل معاها، خليها تروح مكان تاني وإلا هانشبك في بعض!
حذرهما بصلابة وقد قست نظراته:

-امسكي أعصابك شوية يا "فرح"، مش واحدة زينا هتخلي ثقتك في نفسك تهز،
هو أنا اللي هاقولك الكلام ده؟

ارتفع حاجباها للأعلى في استنكار عقب جملته الأخيرة، وتلون وجهها من جديد بحمرة
منفعلة، سألتها بنبرة شبه محتدة رغم خفوتها:

-قصداك ايه؟

أجابها ببرود:

-يعني أنا فاهم إنك عاوزة تقولي إنها حلوة شويتين، عندها إمكانيات مش عندك، جاز
صاروخ أرض جو عابر للقارات، بس أنا مش باخد بالي من ده كله
وكأنه يوجب إحساسها بالغيرة أكثر بداخلها متعمداً اللعب على أنوثتها أكثر، هتفت
بعصبية تحذره:

-يزيد!

انتصب في وقفته أمامها لبدو أكثر رسمية عن ذي قبل، ردد بجمود:
-"فرح"، احنا هنا في التزام، مافيش وقت للكلام الفارغ ده، ركزي في اللي وراكي
ضغطت على شفيتها قائلة بتحذير شديد اللهجة:
-اوكي، هالتزم، بس حسك عينك أشوفك معاها
سألها بفضول:

هاتعملي ايه يعني؟

ردت بغموض أزججه قليلاً:

مش هاقولك، هاتعرف وقتها

نظرت له بغيظ قبل أن تتابع بامتعاض:

عن اذنك يا سيادة المقدم

أولته ظهرها وهي تسرع في خطواتها مبتعدة عنه لكنه لم يصرف أعينه عنها، زفر
مستاءً من وضعها في مثل ذلك الموقف لكنه كان بحاجة إلى مساعدتها الخفية دون أن
تدري، انضم إليه "آدم" هاتقاً بتوجس:

أوبا، مش بأقولك "فرح" هتولع فيها

رد باقتضاب وقد استدار بجسده ليواجه أمواج البحر المتلاطمة:

-ربنا يستر!

.....

تحركت القطع البحرية في اتجاه نقطة البدء، واتخذت موقعها على حسب المتفق عليه، تاهب الجميع في مراكزهم الحيوية استعدادًا للاشتباك، وبالفعل بدأت المناورة بالتصدي لمجموعة من العائمت المعادية والتي كانت تحاول اختراق المياه الإقليمية، أظهر الضباط والجنود كفاءاتهم الواضحة في التعامل مع الموقف ببراعة مشهودة، ونجحوا في إبعادهم والتصدي لتلك المحاولة الفاشلة، وبالطبع سجلت عدسات الكاميرات الثابتة والمتحركة تلك المشاهد من زوايا مختلفة، انتقت "فرح" لنفسها موقعًا بالمقدمة تلتقط فيه بعدستها ما تراه بجسها الصحفي مناسبًا لتقريرها، التفتت برأسها للجانب لتختلس النظرات نحو غريمها التي كانت تتفنن في عملها بطريقة أصابتها بالغيرة، أقنعت نفسها أنها على نفس القدر من الكفاءة، لا ينقصها شيء، واستمرت في التقاط المميز من الصور، مر الوقت سريعًا مع انتهاء الجزء المخصص من المناورة لتهدا الأوضاع بعدها وينشغل جميع الضباط والجنود في الاستعداد للمهمة التالية.

عاودت "فرح" التحديق بها، رأتها تتحدث فيما يشبه الهاتف المحمول، انزوى ما بين حاجبيها باستغراب، فقد بدت مريبة نوعًا ما وهي تستخدمه، تذكرت أنهم تلقوا تعليمات مشددة بترك هواتفهم النقالة بالقاعدة البحرية قبل الصعود على متن قطع الأسطول، وهي خالفت ذلك وأحضرتة معها للميسترال، التوى ثغرها بابتسامة مأكرة، فقد طرأ ببالها العبث معها وتلقينها أول دروس معاداة الزوجة المصرية، وبخطوات حذرة اقتربت منها مدعية تركيزها في التقاط الصور، أصبحت على بعد خطوتين منها، ولم تنتبه ديمًا لها، بدا تركيزها منصبًا على المكالمة فقط.

وقفت "فرح" خلفها كي لا تراها، فسمعتها تهتمهم ولكنها ليست انجليزية، وحتماً ليست من المعروفة لها، ارتابت منها محدثة نفسها بنبرة تحمل الشك:

-مش هما مانعين الموبايلات ومنبهين على ده، طب دي بتكلم مين وبلغة غريبة كمان؟! استرقت السمع نحوها فلم تفهم كلمة مما تقول، لكنها عقدت العزم على أخذه منها، ظلت تحتسب خطواتها للتأكد من نجاح خطتها البسيطة، وفي غفلة منها انتشلتها من بين أصابعها في سرعة وخفة لتتفاجأ دوماً بما فعلته ويتوقف عقلها لثانية عن التفكير لتستوعب الصدمة، التفتت نحوها بوجهٍ شاحبٍ يختلف عن تلك الحيوية المغربية المعتادة منها، صاحت فيها بغلظة:

شو عمليتي انتي؟

قبضت "فرح" على الهاتف بيدها مبعدة إياه للخلف وهي ترد بتساؤل جاد:

ده بيعمل إيه معاكي؟

صاحت فيها دوماً بعبوس مخيف:

ما بيخصك

ثم مدت يدها نحوها متابعة بصيغة أمرة وهو تدنو منها:

-اعطيني إياه؟

تراجعت "فرح" للخلف قائلة بغرور:

-لأ مش هتاخديه

لمعت عيناها أكثر وهي تكمل مهددة:

-وهابلغ عنك كمان!

عند تلك الجملة تحديدًا بلغت ديمًا ذروة انفعالها، لن تخاطر بكشف أمرها في لحظة غباءٍ منها وعدم تقدير للموقف واستهانتها بتلك الطفيلية الغبية، هجمت على "فرح" تنتوي استرداده قسرًا منها، فتفاجأت الأخيرة بانقضاضها المباغت والشرس عليها ملقية بثقل جسدها نحوها، ارتدت ككتاهما للخلف وسقطتا على ظهريهما بسبب عدم اتزانها، تأوهت "فرح" من الألم الشديد فقد ارتطم جسدها بعنف على الأرضية الصلبة، ورغم ذلك لم تترك الهاتف من قبضتها وتحاملت على نفسها لتنهض من رقتها الموجهة، لم تترك لها ديمًا الفرصة، حيث جثت فوقها محاولة انتزاعه منها مما جعل الأخيرة تشحذ قواها الغاضبة ضدها لتدفعها عنها، نجحت في التخلص منها بعد أن منحتها صفعًا قويًا مصحوبة بجذب عنيف من خصلات شعرها، مما أجبر ديمًا على التراجع، منح ذلك "فرح" ثوانٍ لتزحف على أربع لتنجو بنفسها منها، تمكنت من الوقوف على قدميها، ثم استدارت نحوها لتواجهها قائلة:

مش هاخليكي تاخديه يا ديمًا

رفعت الأخيرة وجهها نحوها ترمقها بنظرات مغلوطة، اعتبرت "فرح" المسألة تحديدًا معها، فتفاضت عن الإبلاغ عن حوزتها إياه لتقرر في لحظة طيش منها التخلص منه فقط لإغاضتها، وبلا تفكير عقلائي قذفت الهاتف بكل قوة نحو البحر ليهوى الأخير في مياهه الزرقاء غارقًا في القاع، فغرت ديمًا شفتيها مصدومة، وقبل أن تفيق من صدمتها تابعت "فرح" قائلة بشماتة:

لو عاوزاه نظي وراه يا ... بيبي!

احتقنت عيناها على الأخير، كانت تطلق شرًا مستطرًا من محجرهما، توعدها هاتفة بعدائية من بين أسنانها المضغوطة:

راح تشوفي هاعمل فيكي إيه

وقفت "فرح" قبالتها تنفض يديها وهي ترد بابتسامة مغترة:

-مش هاتقدري

قست نظرتها وهي تضيف بتهديد صريح:

-احمدي ربنا إني مش هابلغ عنك، واعتبري ده قرصة ودن ليكي

طالت نظرات دima العدوانية لها، وردت عليها بنبرة خالية من الحياة ولا تنذر بالخير
أبدًا:

-المعركة بلشت بينا، وراح تشوفي تمن هيك !!

.....

الفصل السادس عشر (الجزء الأول):

اعتلى ثغرها ابتسامة انتصار لكونها قد أفسدت عليها وقتها وعكرت صفو نهارها العملي، هكذا ظنت في نفسها، ابتعدت "فرح" عن غريمتها وهي ترمقها بنظرات متباهية، لكنها لم تعلم أنها قد زجت بنفسها في متاعب لا حصر لها لكونها لم تضع في الحسبان ردة فعلها، ظلت أنظار دينا مسلطة عليها تفكر مليًا في طريقة لرد اعتبارها والخلاص منها، بالطبع لم تكن بحاجة لمجهود كبير لتحسم أمرها وتوقعها في مكيدة محكمة - من وجهة نظرها - لتضمن ابتعادها عنها، همست لنفسها قائلة بوعيد:

راح تشوفي كيف راح أدعسك!

لمحت بطرف عينها بعض المجندين وهم يتابعون ما دار بينهما فعمدت إلى استغلال ذلك بحرفية تجيدها، أجهشت بالبكاء المصطنع وتوجهت إلى مركز القيادة بالمليسترال مدعية بالباطل هجوم "فرح" العدواني عليها دون أي تبرير، ومحاولتها لإيقاعها من الأعلى من أجل التسبب في إلحاق الأذى الشديد بها، أصرت على تحرير شكوى رسمية ضدها لإساءتها المتعمدة لشخصها، ولجأت أيضًا إلى اختلاق الأكاذيب مستخدمة كيدها الأثوي في تدعيم موقفها والاستشهاد ببعض الأفراد المتواجدين وقتها، ولم يخلُ الأمر من تهديداتها شديدة اللهجة باللجوء لسفارتها لتصعيد الأمر إن لم يتم اتخاذ إجراء صارم ضد المعتدية عليها، قام أحد الضباط المسؤولين بتسجيل أقوالها والبدء في التحقيق عن تلك الواقعة المسيئة، جلست دينا باسترخاء مترقبة على أحر من الجمر نتائج ما تلفظت به ضدها، همست لنفسها بإعجاب:

هلاً راح تعرفي مين أنا!

.....

لبرهة راقبت أمواج البحر المتلاطمة وهي تتحطم على مقدمة الميسترال بنظرات طويلة متأملّة، مازالت تحتفظ بتلك الرهبة الخفية منه ومن عمقه المظلم الذي ابتلع والدها منذ زمن بعيد، أقنعت "فرح" نفسها بأنها قادرة على هزم مخاوفها، الأمر فقط يحتاج منها للدعم النفسي والثقة بمقدرتها على التغلب عليه، تنفست بعمق قبل أن تتحرك من مكانها لتبحث عن زوجها، هي بحاجة للحديث معه، ولجت إلى داخل قمرة القيادة باحثة عنه، رآته وهو يعطي تعليماته المشددة لضباطه التابعين له، تابعتة بإعجاب ملحوظ على محياها حتى انتهى مما يفعله، التف مصادفة للخلف ليجدها تطالعه بتلك الطريقة الغريبة، اقترب منها متسائلاً بفضول وهو يتفرس وجهها:

شكلك مروق على الآخر، في حاجة جديدة حصلت؟

ردت بابتسامة متسعة وهي تداعب أذنها بيدها:

-بصراحة مبسوفة إني فشيت علي

لم يفهم "يزيد" بالضبط المقصد من جملتها الغامضة تلك، تعقدت تعابيرهِ نوعاً ما وهو يتابع أسئلته التحقيقية:

-في مين يا ترى؟ اوعي تكوني عملي كارثة من ورايا، "فرح" أنا محذرك و...

هزت كتفها مقاطعة في عدم مبالاة:

-لا، ماتخدش في بالك، دول كلمتين بأقولهم كده بس

ساورته الشكوك من طريقتها، فحذرها قائلاً بصرامة وقد قست ملامح وجهه:

- "فرح"، أنا منبه عليك مش عاوزين قلق هنا، ده مش هزار ولا...

مدت يدها لتضعها على ذراعه قائلة بنعومة:

-اطمن يا حبيبي

ورغم كونه تصرفاً عفويًا منها نحوه، إلا أنه لم يرغب في تماديها بذلك الشكل متناسية تنبيهاته الشديدة، ضاقت أعينه نحو يدها الموضوعة عليه هاتفاً من بين شفثيه المضغوطتين:

- "فرح"

زوت ما بين حاجبيها مرددة بعدم فهم:

-في ايه؟

أزاح يدها برفق وهو يحجبها:

-ماينفعش الكلام ده هنا

-كلام ايه؟

أوضح لها هامساً:

-يعني زي ما عملتي، إيديكي تتحط عليا، المفروض نحافظ على الرسميات بينا

أبقت يدها إلى جانبها قائلة بامتعاض طفيف انعكس سريعاً على تعبيراتها:

-أوكي، فهمتك خلاص

سألها "يزيد" مهتماً وقد دس يديه في جيبه بنطاله العسكري:

-ها قوليلي كله تمام معاكي؟

أومأت برأسها قائلة باقتضاب:

-ايوه

أرجحه أن يفسد لحظتهما الودية فسألها مجدداً باهتمام أكبر:

-والدوخة؟

تهدت قائلة بهدوء:

أنا خدت برشام قبل ما أطلع عشان مايحصلش زي المرة اللي فاتت ويجيلي دوار البحر

أوماً لها بعينه مادحاً بإعجاب:

-ييعجبني فيكي ذكائك، غير طبعا الحاجات الثانية

توردت بشرتها من غزله الضمني، وردت بدلالٍ يحمل الغرور:

دي أقل حاجة عندي

رفع حاجبه مردداً:

بجد؟

طبعا، تقدر تقول غير كده

هو أنا أقدر؟

انتصبت أكثر في وقفها متابعة بتفاخرٍ قليل:

أكيد

لم ينتبه "يزيد" لباقي جملتها بسبب تلك الحركات الغير عادية على مقربة منه، التفت برأسه للجانب ليعرف ما الذي يدور، لم يكثرث للأمر في البداية لكن اشتدت تعابير وجهه صلابة حينما تفاجأ بعددٍ من الضباط يقتربون منه رافعين أسلحتهم أمام صدورهم، قطب جبينه متسائلاً بجدية وهو يمرر أنظارهم الحادة عليهم:

في حاجة جدت؟

أجابه أحدهم برسمية شديدة وهو يشير برأسه نحو "فرح":

-الأستاذة مطلوبة للتحقيق

ارتسم على وجه "فرح" علامات الدهول، فغرت شفيتها مصدومة ورمشت بعينها مبدية اندهاشها التام، التفتت برأسها نحو "يزيد" تطالعه بأعين حائرة دون أن تنبس بكلمة، هتف الأخير متسائلاً بنبرة مزعوجة وشبه متعصبة:

-إنت بتقول ايه؟ تحقيق! إنت اتجننت، دي.....

قاطعها الضابط متابعاً بشراسة:

يا فندم دي أوامر عليا، الأستاذة "فرح" عبد الحميد مطلوبة للتحقيق فوراً

حل الوجوم الشديد على تعبيراتها وهي تسأله بارتباك:

-تحقيق ايه بالضبط؟ حضرتك أنا ملتزمة هنا بكافة التعليمات وتقدر تتأكد بنفسك

صاح به "يزيد" بنبرة شبه منفعة وقد احتدت نظراته على الأخير:

-كلمني أنا، التحقيق ده تبع مين وعشان ايه؟

رد الضابط بهدوء جاد:

-معنديش تفاصيل يا فندم

شعرت "فرح" بتقلصات تضرب أسفل معدتها من فرط التوتر، هي معتقدة أنها لم تتصرف بما يخالف طبيعة مهمتها هنا، وعلى قدر المستطاع هي ملتزمة بما أملاه عليها زوجها، أفاقت من شرودها السريع على صوت الضابط الذي هتف أمراً وقد بدت نظراته مليئة بالاتهامات:

من فضلك يا أستاذة اتفضلي معانا دلوقتي بهدوء
ابتلعت ريقها وهي تضع قبضتها على ذراع "يزيد" لتهمس له بخوف:

-يزيد

شعر بتلك الرجة الخفيفة التي أصابت بدنّها، وضع يده على قبضتها مشدداً عليها ليثبت
لها القوة وهو يقول بتشنج:

-ماتقلقيش يا "فرح"، أنا هاعرف بالضبط في ايه

تشبثت أكثر بذراعه وكأنها تحتمي به، توسلته بنبرة أقرب للبكاء وقد لمعت عيناها بقوة:

-يزيد ماتسبنيش

حاول طمأنتها ليهدأ من روعها بعد أن رأى حالة التوتر التي سيطرت عليها، لم يختلف
حاله عنها كثيراً رغم ادعائه العكس أمامها، كان مزعوجاً للغاية بسبب ذلك الاستدعاء
الغامض، هتف الضابط من جديد بتجهّم:

-يالاً يا أستاذة

رد "يزيد" بجدية وهو يشير بعينه لها:

-روحي معاهم وأنا هاحصلك

أدركت "فرح" أنه لا مهرب لها من الذهاب معهم، شعرت بجفاف حلقها وباضطراب
ضربات قلبها وهي تتبعهم بقلبي مُرتاب، حاول "يزيد" التصرف سريعاً لكي يلحق بها
دون أن يؤثر غيابه على سير المناورة التدريبية لكونه عضواً فعالاً فيها ومسئولاً عن
تنفيذ مهام بعينها.

.....

ما أشعرها بالإهانة حقًا هو طريقة استبعادها من على المسترال، بدت أمام أعين المراقبين لها وهي تنتقل لزورق تابع للقوات البحرية ليعود بها إلى الميناء كالمتهمة التي ارتكبت جريمة نكراء وتم إلقاء القبض عليها تَوًّا، حافظت "فرح" على ثباتها وهي تصعد على متنه، لكن تلك النظرة تحديداً والتي كانت موجّهة لها شخصيًا جعلتها تدرك حجم الكارثة التي تنتظرها، رأت غريمتها ديمًا وهي واقفة بشموخ وواضعة ليدَيها على منتصف خصرها في تحدٍ واضحٍ لها، خمنت أن تكون بالفعل وراء ذلك، اغتاضت من تلويحها المستفز لها بيدها في إشارة موحية لها بأنها نجحت في طردها من المناورة بعد إذلالها، لم يدم استغرابها طويلاً، فور وصولها للقاعدة البحرية وبدء التحقيق معها في الاتهامات الموجهة لها تيقنت من حدسها، وأن تلك اللثيمة حاكت حولها مؤامرة وضيقة، ما أدهشها أيضًا هو مدى الافتراء الكاذب الذي لجأت إليه تلك الحقيرة، ومع ذلك لم تنكر محاولاتها للاعتداء عليها مما وضعها في موقف حرج، تابع المحقق العسكري حديثه موضحًا:

-الأستاذة طالبت بتصعيد الأمر للسفارة، ده غير إنها عاوزة تلجأ للمنظمات الدولية و...

قاطعته "فرح" بانفعال مبرر:

-والله العظيم كدابة، أنا مقربتش منها أصلاً، دي كان معاها موبايل وبتكلم فيه بلغة غريبة كده، أنا سمعتها وكانت مش على بعضها نظر لها مطولاً وهو يسألها بهدوء:

-وفينه الموبايل ده؟

شعرت بنغصة في صدرها تؤنبها لتسرعها الأحق، فلو تريت قليلًا لكان الآن بحوزتها دليل براءتها، ضغطت على شفتيها قائلة بندم:

للأسف رميته في البحر، بس قسمًا بالله كان معاها
بدا من نظراته نحوها أنه غير مقتنع بحديثها، زفر المحقق متسائلًا على مضض:
عندك شهود بالكلام ده؟

أجابته بضيق كبير:

-كنا لوحدها

تابع مضيئًا:

-أستاذة "فرح" حضرتك صحفية وعارفة كويس إن اللي حصل ده مش في صالحك،
وللأسف موقفك سيء من غير وجود دليل يدعم كلامك
صاحت بعصبية:

-ماهو أنا أكيد مش هاقرب منها من نفسي
رد بجدية وقد انزوى ما بين حاجبيه:

-يا أستاذة "فرح" افهمي، عشان نقدر نصدقك كان لازم يكون معاك الموبايل ده،
لأن حتى لو سألناها ثاني طبيعي تنكر وجوده معاها لأن مافيش ما يثبت كلامك
وضعت "فرح" يدها على جبينها ضاغطة عليه، تهدل كتفها في حيرة وهي تسأله:
طب والعمل ايه دلوقتي؟

رد بجمود:

-هانكمل باقي التحقيقات وهانشوف

استشعرت بقوة غباؤها المستحکم الذي أوقعها في تلك الشاكلة، تنهدت بتعب لتسأله
بقلق واضح في نبرتها ونظراتها نحوه:

-يعني أنا هايكون وضي ايه؟؟؟

.....

الفصل السادس عشر (الجزء الثاني)

ثارت ثائرتة حينما علم بتفاصيل أكثر عن إلقاء القبض عليها، ناله بعض التوبيخ والإيحاءات بكونه متورطاً بصورة مباشرة في التسبب بتلك الفضيحة الحرجة، بالإضافة إلى تعريض المهمة الأخرى للخطر والخاصة بالكشف عن شبكة التجسس التي تعمل في الخفاء بالإفشال، تحمل "يزيد" كل ذلك في سبيل ضمان عدم توريط زوجته، تمت مراجعة أشرطة المراقبة الموضوعة على الميسترال في التوقيت الخاص بالمشاجرة ليم اكتشاف ما حدث بالضبط، أصدر قائده عددًا من الأوامر أملاها عليه لكنها أغضبتة، كور قبضة يده قائلاً باعتراض:

بس كده هي هتظلم

رد القائد بلهجة شديدة:

ده الأحسن، وإلا مجهود شهر هايبضيع

احتقن وجهه بشدة وهو يقول محاولاً إقناعه بالعدول عن قراره:

يا فندم دي....

قاطعه بصرامة أشد:

مقدم يزيد، مافيش نقاش، دي أوامر عليا

أوماً برأسه هاتقاً بجدية:

تمام يا فندم

استأذن بعدها بالانصراف ليتجه نحو الخارج، كان في انتظاره "آدم" الذي أقبله عليه
متسائلاً بتلهف:

-ها عملت ايه؟

أجابه بعبوس جلي:

-ولا حاجة، تفكر كانوا هيرجعوا في قرارهم؟

سار معه بعيداً عن القيادة ليتمكن من الرد عليه قائلاً بضيق واضح عليه هو الآخر:
لا-

سأله بعد ذلك باهتمام أكبر محاولاً سبر أغوار عقله ومعرفة فيما يفكر في فعله لاحقاً:
طب هاتعمل ايه مع "فرح"؟

نزع "يزيد" قبعته العسكرية ليحك رأسه عدة مرات وهو يقول بانزعاج حائر:
مش عارف والله

فرك "آدم" طرف ذقنه مكملاً:

-يعني معنى كده إنها برا الليلة كلها؟

زادت ملامحه عبوساً وهو يرد:

-ايوه، ده غير اعتذار رسمي منها لديمّا عشان نضمن إن الموضوع اتلم
ارتفع حاجباه للأعلى مردداً:

-أوباً، دي لو استحملت الطرد مش هاتقبل أبداً بالأسف

ضغط "يزيد" على شفتيه متابعاً وهو يزفر في ضيق:

- "فرح" هتتعند

ركل بقدمه حجارة صغيرة اعترضت طريقه مكملًا بتبرم:
كان لازم تمسك أعصابها شوية
رد عليه "آدم" مبررًا تصرفها الأرعن:
-الستات مش مضمونين في تصرفاتهم، وخصوصًا لما يكون في الموضوع واحدة ست
اتسعت ابتسامته مضيئًا بمزاح:
-لأ ومش أي واحدة، حاجة متفصلة زي الكتاب ما قال
لم يكن "يزيد" في حاجة مزاجية تسمح له بتقبل أي نوع من الدعابات لذلك حذره
بوجهه الممتع:
آدم، ماتخلنيش أطلع ضيقتي عليك
رفع كفه أمام وجهه قائلاً:
يا سيدي بأهزر معاك عشان تفك شوية
الترم الاثنان الصمت لبعض الوقت يفكران في طريقة لإبلاغ "فرح" بالعقوبات التي
وقعت عليها، ظل "يزيد" يتحرك بخطى متعصبة أثناء عودته إلى غرفته بوحده
العسكرية محدثًا نفسه:
أنا مختار أقول لـ "فرح" ازاي
رد عليه "آدم" بخفوت:
ده إن مكاتتش عرفت بده
رفع نبرته قليلاً ليسأله:
-صحيح هي فين دلوقتي؟

أجابه دون تفكير:

-في الفندق

سأله مستفهماً:

طب هاتروحلها؟

رد باقتضاب:

-شوية كده

أضاف "آدم" محذراً وهو يشير بسبابته:

-أهم حاجة تخليك هادي وإنك بتكلمها، الموضوع مش ناقص

رد بجذرٍ وهو يسحب مقعده ليجلس عليه بعد أن ولج إلى داخل غرفة مكتبه:

طبيب

.....

توقعت أن يكون قد أحرز تقدماً في قضيتها، لكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، هبت واقفة من جلستها على الفراش مبدية سخطها التام على تلك الإجراءات التعسفية التي اتخذت ضدها من أجل تلك المراسلة السمجة، لم تستوعب "فرح" كيفية تراخي زوجها عن الدفاع عنها باستماتة مثلما كانت ستفعل معه إن وضعت في نفس الموقف، نظرت له بأعين حائرة وهي تصيح منفعة:

-وانت صدقتها؟

لم يعلق عليها واكتفى بالتحديق الصامت فيها، كذلك عمد إلى إخفاء الجزء المتعلق بالتسجيلات المرئية كي لا تزداد ثورتها الغاضبة، وضع يديه على ذراعيها قائلاً:

-اهدي بس يا حبيبي، الحكاية مش كده

نفضت ذراعيها بقوة لتنزع يديه عنها وهي تصرخ فيه:

-اومال ايه بالضبط؟

لم يستطع الرد عليه، بدا في موقف حرج للغاية، لم يرغب أبدًا في رؤيتها هكذا، لكن ما باليد حيلة، عليه أن يلتزم بالقوانين حتى معها شخصيًا، ترققت العبرات المستشاشة بداخل حدقتها وهي تواصل صراخها المتشنج:

-يعني دي آخرتها، أطلع أنا الغلطانة؟ طب فين دفاعك عني؟ وفين....

قاطعها موضحًا وهو يقف قبالتها:

-"فرح" إتي عارفة كويس إن الموضوع ده أكبر من سلطتي

ضاقت أعينها المشتعلة غيظًا منه نحوه، ثم صاحت فيه بصوتها المحتد:

-بس كان ممكن تتدخل، تعمل أي حاجة عشاني

زفر قائلاً باستياء من لومها الزائد عليه:

صعب يا "فرح"

انفعلت من بروده معها فهدرت فيه بصراخٍ محتد:

ليه؟ فين وعودك إنك هاتكون سندي وفي ضهري؟

تحكم بصعوبة بالغة في أعصابه كي لا تنفلت ويخرج عن عهده الذي ألزم به، راقبت جمود تعايره وحدة نظراته بتفرس، أيقنت أنه لن يفعل لها شيئاً، رمقته بنظرات تحمل العتاب قبل أن توليه ظهره لتقول بنبرة مختنقة:

-شكراً يا سيادة المقدم

سحب "يزيد" نفساً عميقاً ليطفئ به نيرانه المتأججة بداخله، ألمه أن يقف هكذا أمامها مكتوف الأيدي عاجزاً عن التصرف، تحرك ليقف خلفها ثم وضع يده على كتفها ليديرها نحوه وهو يقول:

-اسمعي بس

انتفضت من لمسه لها وكأن حية لدغتها توّاً لتصيبه حركتها تلك بالانزعاج، ضاقت أعينه نحوها ليرمقها بنظرات أكثر حدة كاظماً غضبه في نفسه، ابتعدت "فرح" عنه قائلة:

-أنا تعبانة

تفهم ردة فعلها الغاضبة ناحيته، وحاول قدر الإمكان أن يبدو هادئاً أمامها، تهدد مطولاً قبل أن يكمل بترث:

- "فرح"، الموضوع لسه مخلصش لحد كده

كتفت ساعديها أمام صدرها لتسأله بعبوس متجهم:

في ايه ثاني؟

أجابها بهدوء متوقعاً انفجاراً وشيكاً منها:

مطلوب منك تعتذري لديا

أرخت ساعديها مصدومة مما قاله، كان معتقدة أن الأمر سيتوقف عند مسألة إقصائها من تغطية أخبار المناورة، لكنه تخطى ذلك بكثير، لم تتحمل المزيد فصرخت باهتياج وقد احتقنت بشرتها بحمرة غاضبة:

-كمان

رغم إدراكه لحجم العصبية المبررة لتصرفها معه هكذا إلا أنه أكمل موضحاً ببرود وهو يجبر نفسه على إخفاء ضيقه:

-القيادة شايقة إن ده من مصلح.....

تحركت بخطوات متشنجة لتقف قبالة، رمقته بنظرات متحدية مقاطعة إياه بإصرار عنيد:

-لو آخر يوم في عمري مش هأحصل

انتصب في وقفته أمامها ليزداد طولاً وهو يحذرهما:

-بلاش تركبي دماغك في حاجة تافهة زي دي

اغتاظت من استهائته بما يخصها فصاحت منفعة:

-بالنسبالك تافهة، بس عندي لأ!

رد بقوة أجفلت بدنها:

-ماهو إتي السبب يا "فرح"، لو كنتي من الأول اتصرفتي صح مكو ناش بقينا في الورطة دي

هدرت صارخة وهي تلوح بيدها في الهواء:

-برضوه هاتطلعني الغلطانة؟

أجابها بنبرة غليظة وهو يلكر جبينها:

عشان اتصرفتي بغباء!

احتقنت نظراتها نحوه لكنه تابع بجدّة:

-لاقيتي معاها موبايل وبتتكلم وخذتيه منها، روجي سلميه، أو حتى بلغني عنها، مش
ترميه وتحطي نفسك في موضع شبهة

صاحت "فرح" صارخة بعصبية وقد اهتمجت الدماء في عروقها

-دلوقتي بقيت المتهمه وهي الملاك البريء؟

رد بمجمود:

-إنتي بتفسري الأمور على هواكي

لوحت بيدها قائلة بتشنج:

-ماشني أنا كنت متسرعة، بس ده مش معناه إني أروح أقولها سوري يا بيبى وحقك
عليا والهبل ده كله، استحالة أعمل كده

قبض على ذراعها هاتفاً من بين أسنانه المضغوطة وهو يحذرها:

لو الحكاية كبرت إتي اللي هاتتهدي

نفضت ذراعها بقوة من يده لتسأله بنبرة ذات مغزى:

-إنت معايا ولا معاها؟

أدرك المقصد من وراء سؤالها، بأنها تحدد له اختياراته، فإن أجابها بغير المتوقع ستكون
ردة فعلها مبالغاً فيها، تنفس بعمق ثم أجابها بتمهل مدروس ليخبت ثورتها:

-معاكى يا حبيبتي وعشان كده بطلب منك تحليه ودي

انفعلت من عدم تدعيمه لها، فهدرت فيه بتهور جامح:

-متقولش حبييتي، إنت مابتفكرش فيا بس غير لما مزاجك يطلب ده

فهم سريعًا المغزى من كلماتها الموحية والتي تشير إلى كونه يسعى خلفها فقط تلبية لغرائزه وشهوته وليس لأنه زوجها الذي يحبها ويشاركها مشكلاتها حتى يصل معها للحل المناسب، برزت عروقه من جانب عنقه وهو يصيح محذرًا ومشيرًا بسبابته:

- "فرح" خدي بالك من كلامك معايا!

تجاهلت كافة تحذيراته متابعة بصياح غاضب:

-إنت لو عاملي كرامة ولا حتى على الأقل معتبرني مراتك بجد مكوتتش قبلت البهدة دي ليا

رد بصوت جهوري خشن:

-أنا عملت اللي عليا يا "فرح" وزيادة، بس ده جيش، مش شغل أهلي عشان أتصرف فيه بمزاجي، افهمي بقى!

استشعرت من نبرته التي ازدادت قوة تهديدًا خفيًا بالانفجار في وجهها، تراجعت عنه مولية إياه ظهرها لتقول بوجه مكفهر:

-سيبني دلوقتي يا يزيد

نظر لها بأعين محتقنة قائلًا:

-ماشي، بس اعملي حسابك هتعتذريها

التفتت ناحيته قائلة بعند:

-مش هايحصل

رد متحديًا بنبرة لا تقبل النقاش:

-لأها يحصل وده كلام نهائي يا "فرح"

نظرت له بأعين مشتعلة وهو ينصرف مبتعدًا ليصفق الباب خلفه بقوة بعد أن خرج من الغرفة، عاودت "فرح" الجلوس على الفراش وهي تهز جسدها بعصبية، نفخت قائلة بإصرار أشد عندًا:

-أنا مش رايحة لو اتطربقت السماء على الأرض !!

.....

الفصل السابع عشر

نعمت بحمام هانئ بعد نيلها غرضها منها، فبذكائها الفائق تمكنت من إدارة دفة الأمور لصالحها فتحوّلت من المدانة إلى المجني عليها، خرجت ديمًا من المرحاض وهي تلف شعرها المبتل بالمنشفة القطنية، دنت من الفراش بغرفتها الفندقية لتسحب حذاءها المسنود أسفله، جلست وهي ممسكة به لتزنع شيئًا خفيًا من أسفل كعبه، ألقت بالحذاء بعد أن فرغت منه على الأرضية لترفع نصب أعينها الشريحة الغريبة التي استخرجتها منه، التوى ثغرها بابتسامة مأكرة وهي تحدث نفسها:

-مفكرة إنك راح تغلبيني، لك شو غبية!

انترعت المنشفة من أعلى رأسها لتبدأ في نقضه في الهواء متابعة بغرور واثق:

-بدي هاتف لأتواصل معهم، وهالشيء مو صعب!

وقفت ديمًا أمام المرأة تتأمل تعبيرات وجهها الشيطانية بنظرات أكثر شراسة، مالت برأسها للأمام وهي تتحسس تلك البثرة الصغيرة التي نبتت أسفل ذقنها، عبست قائلة:

-بدي أخلص منك مثل ما راح أعمل بهالوقعة!

كركرت ضاحكة بغطرسة واضحة عليها وهي تولي ظهرها للمرأة لتشرع في تبديل ثيابها قبل أن تنطلق في مهمتها الجديدة.

.....

أسندل النادل كأس المشروب المثلج أمام "فرح" قبل أن يضع فنجان القهوة على الجهة المقابلة لآدم الذي طلب مقابلتها في بهو الاستقبال الملحق بالفندق كمحاولة ودية منه لإقناعها بالاعتذار لديمًا بعد أن فشل "يزيد" في ذلك مبررًا عصبية كلاهما في التعامل

مع الموقف، انتظرت صامتة على أعصاب متلفة مسبقًا قبل أن ينصرف النادل لتكتف
ساعديها أمام صدرها قائلة بتجهم عابس:

-لأ يا "آدم"، يعني إنت ترضاها لمراتك؟

ارتشف القليل من قهوته قبل أن يرد بنبرة عقلانية:

-بصي، "شيء" روحا في مناخيرها، وفي قط قاعد عليه، لأ وبتتشنج على الهايفة
والمليانة، بالظبط النسخة الأصلية للست المصرية الأصلية، بس في الحاجات دي لازم
نحكم عقلنا

تحدثت من زاوية فهمها قائلة بعناد:

-وأنا مش هاتأسف لواحدة زي دي كدابة وملاوعة، يا "آدم" والله العظيم شكلها
مخبي حاجة، إنت مشوقتش طريقته كانت عاملة ازاي

رد موافقًا إياها الرأي وهو يومئ برأسه:

-ماشى، إتي عندك حق في ده كله، وأنا فاهمه كويس، ومقدر عصبيتك، بس إتي
محتاجة تمانيني أمورك عشان الليلة تعدي

-لأ

-بلاش الله يكرمك الدماغ الناشفة دي

-يووه

-يا ستي اعتبريني أخوكي وبأنصحك

تهدت مضيفة بامتعاض وهي تشير بيدها:

-ايوه، ما هو الباشا مقدرش يقنعني فقال يبعثك إنت

رد مبتسمًا:

-أومال، مقدرش على الحمار اتشطر على البردة

قطبت جبينها مرددة بضيق:

-نعم؟!

تنحنح بصوت خفيض ليقول بمزاح:

-قصدي، هو اعتبرني محل ثقة ومانجة وفراولة و...

انزعجت من دعاباته المتواصلة فصاحت محذرة وقد اشتدت تعابير وجهها:

-آدم، من فضلك

تهد الأخير قائلاً:

يا ستي بأهزر معاكي عشان تفكي كده وتروقي، بصي انسي الهبل اللي قولته قبل
شوية، وخلينا نتكلم جد

اعتدل في جلسته ليتابع بهدوء لكن حملت نبرته الجديدة:

-احنا عاوزين نلم الموضوع، إنتي صحفية وفاهمة الأبعاد بتاعته لو كبر ووصل للسفارة
والخارجية، هنتردم علينا كلنا في الآخر

ردت بعدم أكثراث وقد قست نظراتها:

-أنا هاخلي مستر عبد السلام يتصرف طالما البيه جوزي اتخلي عني

استاء من تفكيرها الضيق، أشاح بوجهه للجانب للحظات وهو يزفر على مضض ثم
التفت محدقًا بها وهو يقول:

يا "فرح" ماتبقىش زي النعام وتدفني راسك في التراب، حتى عبد السلام بتاعك ده هيقولك نفس كلامي، طاطي للريح المرادي، وبعد كده خدي حقك منها بس بالعقل

ردت بعندي:

مش قابلة خالص، بلاش تضغط عليا

أشار لها بيده مكملًا

-أنا مش بأضغط بس.....

لم تصغ "فرح" لباقي جملته بسبب تلك الصدمة الجلية التي شنت تركيزها معه، ارتفع حاجباها للأعلى مبدية ذهولها التام حيث تفاجأت بقدم زوجها بثيابه الغير رسمية وبصحبه ديمًا التي كانت تتغنج في مشيتها لتثير أعصابها أكثر، بدا الاثنان كما لو كانا في نزهة خلوية يقضيان سويًا متعة لا توصف خاصة أن ثيابها الكاشفة كانت لافتة للأنظار بدرجة مستفزة، فغرت شفيتها باندهاش أكبر حينما رأتها تتدلل عليه وصوت ضحكاتها الرنانة يصدح في المكان، اشتعلت نظراتها واحتقنت دماها على السريع، استدار "آدم" برأسه ليحملك فيهما هو الآخر، فسر الآن تلك التعبيرات المنعكسة على قسماها، صاحت "فرح" باستنكار متعصب وهي تهب واقفة من جلستها:

-ليه ده؟ بتحطوني قدام الأمر الواقع

نهض "آدم" من مقعده قائلًا بقلق طفيف:

مش بالظبط، بس ال.....

احتقنت نظراتها على الأخير، واشتعل وجهها بحمرة غاضبة من ذلك التصرف الذي استفزها، قاطعته بتوعده وهي تكز على أسنانها:

-بقي كده يا يزيد، ماشي!

لملمت سريعًا أشياءها من على الطاولة، وعلقت حقيبة يدها على كتفها استعدادًا لانصرافها، اعترض "آدم" طريقها هامسًا بتخوف:

-استني يا "فرح"، رايحة فين دلوقتي؟

ردت بحق وقد برزت أعينها الحمراء:

طالما بتتصرفوا من دماغكو وتتخدوا قرارات عني، فمايش داعي لوجودي من الأساس

توسلها هامسًا وهو يعتمد حجب الرؤية عنها:

-يا "فرح" اهدي واسمعي، متخليهاش تشمت فيكي

هزت رأسها معترضة وهي تهمس له بغيظ:

-لأ، حاسب لو سمحت يا "آدم"

أشار لها بحاجبه متابعًا بصوت خفيض يحمل الرجاء:

عشان خاطري بس

نفخت بصوت مسموع فأقنعها بطريقة أخرى:

-استهدي بالله كده واغزي الشيطان، متخليهاش تغلبك، ده إنتي "فرح" عبد الحميد،

بقي تخلي واحدة زي دي تعلم عليكي، لالا، مكانش العشم!

جمدت أنظارها الملتهبة عليه، فواصل استخدام طريقته تلك، وبالفعل نجح بمكر في

استفزاز مشاعرها فتوقفت في مكانها مجبرة بسبب توسلاته ورجائه، بالإضافة إلى

اقتناعها بعدم ترك ساحة الحرب خاوية لغريمتها اللدودة لتعثو فيها كيفما تشاء، شددت

من انتصاب جسدها لتبدو ثابتة أمامها وكأن ما فعلته لم يؤثر بها، توجس "يزيد" خيفة

من تلك المواجهة بينهما لكنه تمنى أن ترضح "فرح" لحدة التيار وتحكم عقلها لينهي تلك المسألة بأقل الخسائر، حركت ديمًا كتفها بطريقة مائعة متعمدة التايل ناحية "يزيد" لتقول بتعالٍ وقد رفعت أنفها للأعلى:

هاي

رمقتها "فرح" بنظرات نارية لا تبشر إلا بمعركة يدوية وشيكة، بينما التفت "آدم" ناحيتها مرددًا بمرح:

يا هلا والله

مدت يدها لتصافحه قائلة بدلال مبالغ فيه:

-كيفيك؟

بادلها "آدم" التحية هاتفًا بجهايس:

-تمام

تنح "يزيد" بصوت خشن دون أن يبعد أنظاره عن "فرح" التي كانت تحدجه بنظرات مغتاطة تحمل العتاب، ساد صمت لحظي بينهما لكنه تضمن في طياته الكثير، قطعه "آدم" هاتفًا بجهايس لا يليق بالموقف وهو يشير بيديه:

-اتفضلوا يا جماعة، مش معقول هانفضل واقفين

نظرت ديمًا باستعلاء لـ "فرح" لتشعلها أكثر، ثم تعمدت أن تتعثر في خطواتها لكي ترتطم بيزيد عمدًا، تحول وجه "فرح" لقنبلة موقوتة بسبب أفعالها الصبيانية المكشوفة للجميع، تخرجت هامسة بدلالٍ وهي تعتدل في وقفها:

-باعتذر منك

لوى ثغره دون أن يعقب عليها مكتئبًا بالابتسام الجمال، سحب "آدم" المقعد لديمًا لتجلس عليه، فشكرته ممتنة، وبالطبع لم يفعل أي أحد لها بالمثل فاستشاطت غضبًا، جلست بعصبية على المقعد المقابل لهما ملقية بحقيبتها على الطاولة لتحدث الأخيرة صوتًا مزعجًا، جلس "يزيد" في المنتصف بينهما وسلط "يزيد" أنظاره الحادة عليها وهو يسألها بهدوء رغم التشنج الطفيف الظاهر في نبرته:

مش هتسلمي على مدام ديمًا؟

عبست ملامحها كليًا وامتزجت مع حمرة بشرتها لترد بجدة ملحوظة وهي تنظر بسخط:

-كفاية إنت تسلم عليها

رفع حاجبه للأعلى محذرًا:

- "فرح" احنا اتفقنا على إيه؟

رسمت الأخيرة ابتسامة سخيفة للغاية وهي تدير رأسها في اتجاه ديمًا لتردد بعدها بامتعاض:

هاي، ازيك يا بيبي

نظرت لها ديمًا بتكبر قبل أن ترد عليها ببرود متقن:

هلاً صرت مليح

ثم التفتت بعينها نحو "يزيد" لترمقه بنظرات والهة أججت أكثر من غيرة "فرح" المتقدة بداخلها، تهتت بجرارة وهي تقول:

لولا إنك حكيت معي ما بأعرف كان شو صار

حافظ "يزيد" على حديثه معها قائلاً:

مدام ديمًا آ.....

أشارت له بسبابتها وهي تميل بجسدها نحوه:

-بيكفي ديمًا وبس، أنا ما بحب هيك ألقاب بينا

تراجع للخلف متحاشيًا اقتربها الموتر للأجواء قائلاً بنبرة متصلبة:

-معلش الاحترام واجب

ابتسمت بطريقة مغيرة تثير غرائز الرجال لكنه تجاهل ما تفعله مديراً وجهه للجانب
ليضيف بجدية:

-النهاردة جاين نشيل أي خلاف حصل أو سوء تفاهم ونرجع الود بينكم

وضعت ديمًا ساقها فوق الأخرى ليظهر جزءاً كبيراً منها بطريقة ملفتة للأنظار، لفت
خصلة من شعرها حول إصبعها قائلة:

-بس المدام مو حابة

انتصبت "فرح" في جلستها ترمقها بنظرات شرسة وهي ترد بتبرم:

طالما دي رغبة الباشا يزيد، فأكد أنا مش هاعرضه

مد "يزيد" ذراعه نحو زوجته ليضع كفه على كتفها، فركه برفق وهو يقول مبتسماً:

تسلمي يا حبيبتي

رغم انزعاجها مما يفعله إلا أنها لم تترك الفرصة لها لتظفر بزوجها، وضعت يدها على كفه
تمسح عليه قبل أن تبعده عنها ببطء، تابعت ديمًا بنظرات ثاقبة ما يحدث بينهما مرددة
بنبرتها الناعمة:

-راح اتنازل عن حقي كرمالك "يزيد" بيك!

التفت ناحيتها قائلاً بامتنان:

شكراً لذوقك

انحنى نحوه بعد أن أنزلت ساقها لتتمكن من وضع يدها على ذراعه هامسة له:

-الشكر لك إنت، كثير تعبت معي مشان ترضيني

انزعج من حركتها المتجاوزة والتفت سريعاً نحو "فرح" ليتأمل ردة فعلها البائنة، كانت كمن يحترق على جمر من النيران، رفع يده على رأسه ليمررها بين خصلات شعره الحليقة كمحاولة لصرف الأنظار عنه، اقترب منهم النادل في الوقت المناسب متسائلاً بروتينية معتادة:

-تؤمروا بإيه؟

أجابه "آدم" بنبرة عالية وهو يشير بيده:

-حاجة ساقعة للهوايم

اعترضت "فرح" هاتفة بجدّة:

-لا، عاوزه قهوة سادة

زوى "يزيد" ما بين حاجبيه بتعجب، مال عليها متسائلاً باستغراب:

-هو إيتي من امتي بتشري قهوة؟

نظرت له بأعين مغتاظة وهي ترد:

-من دلوقتي، عندك اعتراض؟

ابتسم من زاوية فمه قائلاً:

-لا، براحتك

تمتم "آدم" من بين شفثيه مازحاً بصوت خفيض:

أكيد دي على روح المرحومة اللي هاتقوم تجيب أجلها
دون النادل ما يريدون شربه في الورقة التي بحوزته ثم استأذن بالانصراف لتشرع
بعدها ديمًا في الحديث قائلة بدلال:

سيادة المقدم، بدي أتفرج على الكس، ما لحقت أتجول فيها
رد بحذر:

ربنا ييسر

طرقت "فرح" بأصابع يدها على الطاولة متابعة توددها الزائد عن الحد بأعصاب من
حديد كي لا تكرر خطئها مرتين، أنبثها حدسها أنها تتعمد فعل ذلك لتوقعها في المحذور
لذلك نظرت لها بجدة مرتدية قناع الجود على وجهها، راقب "آدم" المشهد بنظرات
متفرسة، أدرك حجم المأزق الموضوع به يزيد، فمن تتلاعب بهم هي جاسوسة محنكة
تحتاج لحرفية عالية في التعامل معها، هتف فجأة عاليًا بعد أن طرأ بباله فكرة ما:
أنا عندي فكرة حلوة، إيه رأيكم نطلع جولة بحرية في مركب، أهوو نشم هوا البحر،
وبالمرة تشوفي القلعة

رد عليه "يزيد" معترضًا بنبرة جادة:

صعب يا "آدم"، إنت ناسي اللي ورانا، ده غير التكاليفات و...
قاطعته ديمًا بعبوس رقيق:

عنجد كثير حلو، تعا معنا سيادة المقدم، راح نستمتع كثير
أضاف "آدم" بحماس وهو يوزع أنظاره بين أوجه ثلاثتهم:

أنا بأقترح إن "فرح" تكون معاكي، أنا متأكد إنكم هتتبسطوا سوا، وأهي فرصة تنسوا
أي حاجة حصلت

ثم التفت برأسه ناحية "فرح" متابعًا:

-صح، وما محبة إلا بعد عدواة؟

سألها "يزيد" بترقب:

ها يا "فرح" عندك مانع؟

تجمدت أعينها على دima لترمقها بنظرات قوية، لم يكن أمامها بدًا من الاعتراض أو
الرفض، اعتدلت أكثر في جلستها وهي تقول قاصدة الضغط على كل كلمة فيها:

-لا، بالعكس أنا مبسوفة أوي إني هاطلع معاكي

أكتفت دima بالابتسام بطريقة هادئة أظهرت بياض أسنانها المتناسقة، لكنها أخفت
ورائها الكثير من الغموض الملبك للأبدان !!

.....

الفصل الثامن عشر

تم رصد المكالمات التي أجريت مؤخراً عن طريق شريحتها الغامضة لتتجمع الخيوط معاً، كانت غرفة ديماء بالفندق مزودة بأحدث الكاميرات الخفية التي أخفيت بعناية فائقة كي لا تلفت أنظارها نحوها لتصدق أكذوبة أنها بالفعل مراسلة حربية مكلفة بتغطية أخبار المناورة البحرية مع بقية طاقم المراسلين العرب، ظل حديثها الغامض حول مصير "فرح" موضع شكوك وقلق القيادات العليا، والذين عمدوا لإخفاء ما يتعلق بها عن زوجها كي لا يُحدث الأخير ضجة في حالة معرفته بما حيكت ضدها، لذا قاموا بتشديد المراقبة عليها كي تظل تحت حمايتهم طوال الأربع وعشرين ساعة وليضمنوا سلامتها الخاصة.

.....

انتهى الجميع من تناول المشروبات وسط أجواء شبه متوترة، لكن نجحت فيها "فرح" ببراعة في التحكم في أعصابها لتبدو كلوح الثلج أمام تلك المستفزة، أشار "آدم" بيده للنادل قائلاً:

-الحساب يا كابتن

أجابه الأخير وهو ينحني قليلاً باحترام:

-حاضر يا فندم، لحظة!

سلطت ديماء أنظارها على "يزيد" قائلة بدلال مصطنع:

-مايتشبع منك، كثير مهضوم

رد الأخير باقتضاب متعمداً الإشاحة بوجهه بعيداً عن أنظارها المركزة عليه:

-شكراً

هتف "آدم" بنبرة مرحة وهو ينهض من جلسته:

-يا لا عشان مش علوزين تتأخر

ردت برقة وهي تهز كتفها:

-أوكي!

تراجع "يزيد" بمقعده للخلف لينهض قبل أن تقوم زوجته من مكانها، سحب مقعدها في حركة لبقة منه استفزت ديماء، مال نحوها متسائلاً ببسمة صغيرة رسمت على محياه: جاهزة يا حبيبتى؟

ورغم نظرات الضيق الواضحة في أعينها إلا أن "فرح" تبادلت ابتسامة لطيفة وهي ترد:

-أكيد

التقط كفها بيده متابعاً:

-تمام، أنا واثق إنك هتتبسطي

ردت عليه وهي تشير بحاجبها:

-هييان!

علقت "فرح" حقيبتها على كتفها وبدأت تخطو للأمام، تفاجأت بذراع "يزيد" تلتف حول خصرها وتحاوطها، نظرت له باستنكار، فابتسم لها قائلاً بهمس:

-وحشتيني

لم ترغب في إزاحة يده كي لا تمتح تلك السمجة الفرصة لإظهار شماتها لها، شبت على قدميها لتصل إلى أذنه ثم همست له:

لينا كلام سوا بعدين

التفت برأسه نحوها مقلصًا المسافات لدرجة خطيرة بين شفيتها مرددًا بصوت خافت:

ماشى، وأنا معاكى فى أى عتاب

طبع "يزيد" قبلة صغيرة على وجتها فتحولت بشرتها لحرمة مغرية، صدمت من فعلته الجريئة أمام أعين الجميع، وحاولت أن تتصرف بطبيعية كي تخفي ارتباكها، على الجانب الآخر اشتعلت ديمًا غضبًا من تلك الرومانسية الودية بينهما، كم تمت أن تفسد ما بينهما لكن ذهبت أحلامها أدايح الرياح، حدثت نفسها متابعة بوعيد:

راح نترحم عليكى قريب!

.....

لاحقًا، توجه الجميع للمرفأ حيث تتواجد القوارب الصغيرة التي يتم استئجارها لزوار الإسكندرية لتمضية أوقات طيبة بالبحر، أسرع "آدم" فى خطواته أولاً ليتفق مع مالك أحدهم على تخصيص واحدة لهم فقط دون وجود غرباء معهم، لكن تعذر عليه فعل ذلك لمحدودية القوارب وكثرة عدد المتواجدين من الزوار، زم فمه قائلاً بامتعاض:

-يعنى هي جت علينا احنا، ماشى أمورك معايا

رد مالك القارب قائلاً بإصرار وهو يشير بيديه:

يا باشا زي ما حضرتك شايف احنا فى موسم، يعنى يرضيك نقول للعالم اللي واقفة دول استنوا، ده حتى البطران سكتته قطران

فرك "آدم" طرف ذقنه متابعًا وهو يغمز له:

ما أنا هراضيك

رد الأخير بنفس العقلية العنيدة:

يا باشا لو كان ينفع معزهاش عليك

لاحظ "يزيد" من على بعد الحوار الدائر بينهما، فتوقعت وجود مشكلة ما لذلك اقترب منها متسائلاً باهتمام وهو يوزع أنظاره بينهما:
-إيه المشكلة؟

زفر "آدم" بصوت مسموع وهو يدير رأسه في اتجاهه، ثم أجابه بنبرة مزعوجة:

مش نافع أفضي مركب مخصوص لينا

حك "يزيد" عنقه متفهماً حالته، فقد كان يطمح هو الآخر في أن يحظى ببعض الخصوصية ليتمكن من مراقبة دينا مراقبة حثيثة لكن فشلت خططه، بدت "فرح" متعجبة من ردة فعلها العابسة فهتفت بعدم أكثر:

-وايه اللي يضايق في كده؟ ما تخلونا سوا وخلاص، مش هايحصل حاجة يعني

نظر لها "يزيد" مطولاً بنظرات غامضة أثارت فيها الفضول، لكن امتنع وجهها سريعاً حينما نطق قائلاً:

بس عشان خاطر دينا و....

قرأ في نظراتها غضباً جلياً توجس خيفة من توابعه، تدلت دينا في مشيتها أمامه لتتف بجواره قائلة بميوعة:

ما تحمل هي، أنا عادي طالما راح نكون سوا

ضغطت "فرح" على شفيتها بقوة مانعة نفسها من الخروج عن وقارها الزائف والهجوم عليها وتسديد الكلمات العنيفة في وجهها المستفز، ابتسم "آدم" هاتقاً بمرح:

-الله عليك

همت "فرح" بالرحيل لكن قبض "يزيد" على ذراعها ضاغظاً بأصابعه عليه وهو يهمس لها من بين أسنانه:

-استني يا "فرح"

اعترض طريقها بجسده فجب عنها رؤية دima التي تحركت في اتجاه القارب بصحبة "آدم"، أخفضت "فرح" نظراتها المشتعلة قائلة بتشنج دون أن ترفع من نبرتها: أنا جبت أخري خلاص، عمالين تدلعوا وتهنؤوا فيها ومش فارق معاكو اللي واقفة بتولع هنا

وضع "يزيد" قبضتيه على كتفيها يفركها بترث وهو يقول:

عشان خاطري، كملي للأخر

رفعت أعينها في عينيه لتجده يطالعها بنظراته الدافئة التي امتصت غضبها، تهتت قائلة بإحباط:

-أنا تعبت والله، دي عاوزة تموتني مفروسة

تلمس "يزيد" طرف ذقنها بظهر كفه فاقشعر بدنها من لمسته تلك، التوى ثغره بابتسامة هادئة وهو يطلب منها:

-ماتديهاش الفرصة تشمت فيكي، إنتي زي الفل والله!

أمسك بيده الأخرى كفها مكلاً بنبرة تشعل القلوب:

-وبعدين أنا بأحبك يا فراشتي، وماينفعش أبص لواحدة ثانية غيرك، ناسية ده ولا إيه؟

ظل يملئ على أذنيها بمعسول الكلام الذي يذيب حواجز الغضب والضيق، استجابت له بإيماءة صغيرة من رأسها فتابع برفق:

ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي، لف ذراعه حول عنقها ليضم رأسها إلى صدره، استكانت للحظات عليه مستمعة إلى دقات قلبه التي كانت تدق بحركات سريعة، اعتدلت في وقفها حينما أردف بجدية:

-ثواني بس أرد على التلفون

نظرت له بوجه خالي من التعبيرات لكنها استمعت إلى حديثه القائل بجدية عبر الهاتف المحمول:

-أيوه يا فندم، أنا مع سيادتك

بدت كلماته غامضة ومقتضبة لكن عكست تعبيرات وجهه ضيقه، أنهى مع المتصل المكالمة قائلاً:

-تمام يا فندم، مع السلامة

زوت "فرح" ما بين حاجبيه متسائلة:

في ايه؟

حك جبينه لثانية قبل أن يجيبها بحذر:

هو بصي للأسف احنا لازم نمشي دلوقتي

توترت من جملته تلك فسألته بتخوف:

ليه؟ هو حصل حاجة؟

أجابها بتنهيدة مطولة:

-استدعاء

رمشت بعينها مرددة بتساؤل مريب:

مش إنت المفروض في أجازة؟

صح لها قائلًا:

-لا، دي مش أجازة، قصدي يعني ده وقت الراحة بتاعي

مدت ساقها للأمام قليلاً لتَهز بعصبية كتعبير عن سخطها مما يحدث وهي تسأله:

-يعني هتمشي؟

تلمس ذراعها بقبضته قائلًا بابتسامة سخيفة كمحاولة فاشلة منه للاعتذار عن ذهابه المفاجئ:

غصب عني يا "فرح" والله

نفضت يده عنها مرددة بعبوس:

-أوكي براحتك، وسيني أنا مع العقربة دي

رفع يديه أعلى رأسه ليضغط عليه قبل أن ينزلها ويقول برجاء:

- "فرح"، لو سمحتي ممكن نعقل وبلاش....

قاطعته بحدة طفيفة:

-أنا لحد دلوقتي بأتصرف بالعقل، أكيد ماطلعتش جناني عليها يعني، ولا إنت ليك رأي ثاني

ابتسمت لانفعالها المبرر، فديما تفننت بحق في استفزازها بشتى الطرق لكنها ضبطت انفعالاتها ببراعة لتفسد محاولاتها بالكامل، اقترب "يزيد" خطوة منها، ثم وضع قبضتيه برفق على جانبي ذراعيها، مسح عليهما برفق محبب هاتفاً بامتنان:

-أنا عارف ده ومقدره أوي، وعازيك تفضلي كده لحد نهاية اليوم ده

تحدثت من زاوية فيها قائلة:

-ربنا يسهل

أخفض ذراعيه حتى بلغ كفيها، عاود الإمساك بهما متابعًا بغموض مثير:

-وأوعدك هاعوضك إن شاء الله، ماشي يا حبيبتي؟

نظرت إلى أصابعه التي تداعب كفيها قائلة:

حبيب

رمقها بنظرات والهة هامسًا بها بعشقي لا ينتهي:

-بأحبك

تورد وجهها من تغزله فيها وإضعافه لمقاومتها له، استدار برأسه للخلف لبحث بعينه عن "آدم"، رآه جالسًا بجوار دima على متن أحد القوارب، فلوح له بيده صائحًا بنبرة عالية:

آدم، يا ريس تعالى شوية

أشار له الأخير بذراعه قبل أن يميل على دima ليهمس لها بشيء ما، ثم هبط عن القارب ليركض في اتجاه "يزيد" وزوجته، سأل بصوتٍ شبه لاهث:

خير يا باشا، مش هانطلع ولا إيه، ده أنا قعدت الصاروخ اللبناني على المدفع، قصدي في المقدمة!

رد عليه بجدية واضحة:

- "فرح" هتفضل معاها بس

سأل بهدم فهم:

واحنا هنروح فين؟

أجابه بهدوء:

-القيادة عوزانا

تقوس فم "آدم" للجانب مبدئاً سخطه، زفر قائللاً باستياء:

وده وقته، نحس دكر بصحيح

ربت "يزيد" على كتفه متابعاً بصيغة شبه أمرّة:

-ياللا يا "آدم"، هي مش ناقصة

نكس رأسه بحزن وهو يرد:

على رأيك، هاروح أودع المزة وأرجعلكم

طب أوام

ماشي

التفت "يزيد" نحو "فرح"، نظر في عينيها محذراً بجدية:

خلي بالك من نفسك يا حبيبتى، مش هاوصيكي، لو حصل حاجة كلميني على طول

هزت رأسها قائلة بنبرة مطيعة:

حاضر

انضم إليهما "آدم" بعد لحظات مردداً بمرحه المعتاد:

-انجوي يا "فرح"، احنا مالناش بخت

رد عليه "يزيد" باستنكار ملحوظ وهو يرمقه بنظراته الجادة:

-اللي يشوف كده يقول "شيء" مكدراك
ضحكت "فرح" قائلة بتهديد مازح:
فكرني يا سيادة المقدم أحكي لشيء على اللي حصل
عبس "آدم" بوجهه معاتبًا:
-ترضيه لأخوكي؟ هاتبقى هي والزمن وسيادة اللواء!
ردت بابتسامة متسعة:
يا حرام، خلاص مش هاقول حاجة
تهللت أسايره هاتفًا:
-الله عليكي يا ست الكل، وربنا "فرح" دي مالها زي
حذره "يزيد" بصرامة وقد قست أعينه:
-بطل معاكسة في مراتي قدامي بدل ما ألبسك في الحيلة
تنح "آدم" متممًا بصوتٍ خفيض:
-أنا بأقول نمشي أحسن

التفت "يزيد" نحو زوجته يودعها بمحبة واضحة عليه، كان مزعوجًا من تركها بمفردها معها وخاصة لكونه يعلم بحقيقتها المخيفة، ناهيك عن خوفها المسبق من كل ما له صلة بالمياه، ورغم يقينه بتغلبيها مؤخرًا على تلك المخاوف إلا أنه لا يضم تجاوزها لذلك إن تعرضت لضغوط شديدة، أحنى رأسه عليها يقبلها من أعلى جبينها ثم أوصاها مجددًا بضرورة الانتباه، انتظرت حتى استقل السيارة وانصرف من المرفأ فعاودت التحديق في القارب، رأت زوج الأعين النارية التي تراقبها من الأعلى، نظرت لها "فرح"

باستعلاء مغتر وهي تسير بخيلاء نحو القارب لتصعد على متنه، لحظات معدودة
وكانت تجلس بجوار ديماء التي رمتها بنظرات شبه احتقارية وهي تقول بتكبر:

ما كنت بتوقع إني راح إطلع معك
استرخت أكثر في جلستها وهي ترد ببرود محنك:
بختك بقي

مالت عليها ديماء لتهمس له بنبرة أجفلتها قليلاً:
لعلك أنا ما بانسي أبداً

ابتعدت "فرح" عنها رامية إياها بنظرات حادة، استجمعت جأشها لترد بقوة:
ولا أنا، واللي عملتيه مش هايعدي بالساهل!
قهقهت ديماء ضاحكة وهي ترد ساخرة منها:
بالله

أومأت "فرح" برأسها مؤكدة:

ايوه، الهبل اللي عملته من شوية كان عشان خاطر جوزي وبس، مش حابة إنه
يتأذى بسببي

صفقت لها ديماء يديها قائلة بسخرية صريحة منها:
أوه، روماتيك

ثم وضعت ساقها فوق الأخرى لتضيف بغطرسة وهي ترفع أنفها للأعلى:

شوفي يا حب، راح احكيكي بالمصري

جمدت "فرح" أنظارها عليها فاستأنفت حديثها:

أنا اللي يدوسلي على طرف راح إدعسه!

تحدثها الأخيرة بعدم مبالاة:

-وأنا مستنية أشوف هاتعملي ايه

غمزت لها دima قائلة بثقة أقلقتها:

ما راح اتركك تن تري كثير!

.....

انطلق القارب يشق أمواج البحر وسط غناء وتصفيقات راكبيه الذين استمتعوا بتلك الجولة البحرية فيما عدا دima التي كانت تركز كامل تفكيرها في استغلال الفرصة للتخلص من "فرح"، في حين بقيت الأخيرة تتلفت حولها بنظرات شبه قلقة، كانت تخشى من انقلاب القارب بصورة مفاجئة، خاصة أن ربانه كان يعتمد الارتطام بالأمواج ليثير حماسة الركاب ويزيد من تفاعلهم معه، شعرت بانسحاب أنفاسها لأكثر من مرة مع ميل القارب للجانب، ظلت تتنفس بعمق لتحافظ على هدوئها الزائف أمام غرمتها التي كانت تنظر لها باهتمام مراقبة ردة فعلتها المثيرة للفضول، مطت فمها للجانبين بحركة مثيرة قبل أن تسألها بهدوء صياد يدبر للإيقاع بفريسته:

ليش أعدت هيك؟

أجابتها "فرح" بابتسامة باهتة عكست اهتزاز نبرتها:

عادي يعني

تفرست في قسمات وجهها المشدودة وهي تقول بعث:

-شكلك ما بيحب هيك طلعات

نظرت "فرح" ناحيتها بانزعاج لترد بعدها:

-ممكن تخليكي في حالك؟

ابتلعت ريقها في حلقها الجاف وهي تشيح بوجهها بعيدًا عنها محاولة تركيز أبصارها في التطلع في أوجه المقابلين لها، تفرست ديمًا في وجهها جيدًا ليعلو ثغرها بعد ذلك ابتسامة انتصار جلية، فقد سهلت لها دون قصد فرصة ذهبية للتخلص منها دون أن تكبدها العناء، استندت بذراعيها على حافة القارب مرددة لنفسها بغرور واثق:

ما في أسهل من الغرق !!

.....

الفصل التاسع عشر

تصلب جسده كلياً وتشنجت عروقه حينما أبلغته القيادات بالملكة التي تم تدبيرها للإيقاع بتلك الجاسوسة، شخصت أبصار "يزيد" وشحب لون وجهه بطريقة مفزعة، لم يتصور أن توضع زوجته قليلة الخبرة - بل وحتى ضعيفة الحيلة في موقف كهذا - يفوق قدرتها على التعامل مع شخصية إجرامية مثلها، التفت نحو قائده هاتفاً باعتراض وهو يقاتل للحفاظ على هدوء انفعالاته:

ده خطر عليها يا فندم

رد القائد بجدية:

-المركب متأمنة يا سيادة المقدم

احتدت نبرة "يزيد" قليلاً وقد اشتعلت نظراته:

-بس ده مش كفاية

تنفس القائد بعمق مردداً بهدوء محاولاً طمأنته:

-في ناس تبعنا عليها، أكيد مش هانسيها كده، وبعدين إنت فاهم إن دي محاولة لإلهاها
لحد ما يتقبض على باقي الشبكة

كز على أسنانه محدثاً نفسه بحق:

-يعني مراقي تروح فيها عشان ال..... دي!

زفر بتمهل كي لا يخرج عن سكونه الزائف متسائلاً:

طيب يا باشا افرض حصل....

قاطعه قائلاً بجدية:

-اطمن، وده مش كلامي، القيادات كلها شغالة على الموضوع ده من فترة، وخلاص
الموضوع قرب ينتهي

ازدرد "يزيد" ريقه متمماً بتوجس كبير وقد شردت أعينه:

ربنا يستر

.....

في بقعة أخرى، وبالقرب من إحدى التجمعات السكنية الهادئة، تحركت القوات الأمنية في اتجاه ذلك المبنى يتبعون تعليمات قائدهم الصارمة، لم يحدثوا جلبة كي لا يلفتوا الأنظار نحوهم، لكن أشارت تحركاتهم المتسللة إلى خطورة الوضع، رفع أحد الضباط الملمين ذراعه للأعلى ليشير بإصبعيه نحو المدخل، فانشق البعض منهم متجهين نحوه، خطى قائدهم بحذرٍ أشد نحو زاوية أخرى، ثم همس في رجاله محفزاً إياهم:

-استعدوا للهجوم يا رجاله

تأهب من معه واتخذوا وضعية القتال، أكملوا سيرهم الحذر حتى بلغوا الطابق المنشود، تم إحكام السيطرة عليه من كافة الجهات، وعند اللحظة المناسبة اقتحم الجميع في وقت واحد ذلك المبنى محدثين فيه فوضى عارمة، اشتد الوضع تأزماً بإطلاق النيران والعبوات الغازية، حاول من بالداخل الفرار قبل أن يلقى القبض عليهم، باءت محاولتهم بالفشل وأصيب بعضهم بالأعيرة النارية، وألقي القبض على البعض الآخر، بالإضافة إلى سقوط بعض الضحايا من الجانبين، وفي خضم ذلك نجح أحدهم في إرسال رسالة نصية إليها هي تحديداً، لتهرب قبل فوات الأوان.

.....

شعرت بقلبي يهوي في قدميها مع تلك الاهتزازة القوية للقارب، تشبثت "فرح" أكثر بحافته كي تحافظ على اتزانها، بالطبع كان الأمر يسيراً بالنسبة لديها لتستفزها حتى تخرج عن حذرها المبالغ فيه معتقدة أنها بذلك ستهلكها حتماً، انتبهت لرنين هاتفها، فأخرجته من حقيبتها، أتاها صوتاً يحذرهما بإحدى اللكنات الأجنبية التي تجيدها،

تحولت قسماً وجهها للشدة ونظراتها للقتامة حينما عرفت بحقيقة الوضع، عمدت إلى إخفاء ذلك التوتر الشديد الذي اعترأها لتبدو هادئة، رسمت ابتسامة زائفة على ثغرها مدعية استمتاعها بالأجواء المحيطة بها، بدأت تتلفت حولها بنظرات متفحصة لأوجه المحدثين بها، ارتابت في أحدهم ممن يطالعها بطريقة غامضة، أشاحت بوجهها بعيداً عنه تفكر في الخيارات المتاحة لها، وقعت أعينها على "فرح" المرتجفة بجوارها، التوى ثغرها بابتسامة عابثة وهي تقول لنفسها:

هالغبية تذكرتي للخروج من هون!

تنحنحت ديماً بصوت خفيض لتقول بعدها:

- "فرح"، أنا بلشت أتعب، بدي أنزل

ردت عليها الأخيرة بنبرة مهتزة:

أه وأنا كمان

ثم نهضت بحذر من مكانها لتضيف:

هاروح أكلم أكلم المراكبي يرجع بينا على الشط

وقفت ديماً هي الأخرى معها قائلة بهدوء مريب:

راح إجي معك

وبالفعل توجهت الاثنتان نحو صاحب القارب لتبلغاه برغبتها في العودة إلى الشاطئ، امتثل لطلبها وأدار الدفة في الجهة العكسية، جلست "فرح" من جديد في مكانها وهي تتنفس الصعداء لمرور الأمر على خير، بينما ظلت ديماً متحفزة لما يمكن أن يحدث معها، اعتقد الضابط المراقب لديمماً بوجود خطب ما خاصة بعد أن لاحظ التصرفات

المريية لها بالإضافة إلى عودة القارب للشاطئ قبل انتهاء الجولة البحرية، كذلك لاحظ تعبيراتها التي تبدلت، فقال على زميله الجالس بجواره مغمغماً بصوتٍ خفيض:

خذت بالك منها؟

رد بجدية شديدة رغم خفوت صوته:

-ايوه، مش لازم نفارقهم للحظة

-تمام

.....

ذرع الرواق جيئةً وذهاباً وهو يحاول جاهداً الاتصال بزوجته، تعذر عليه الوصول إليه وظلت تلك الرسالة المسجلة تتكرر باستمرار، أطلق "يزيد" سبة نائية من بين أسنانه ضارباً بكفه الحائط بعنف، دنا منه "آدم" يراقب تشنجاته المتوترة، حاول طمأنته رغم القلق الذي يسيطر عليه هو الآخر، استطرد قائلاً بهدوء مصطنع:

-متقلقش يا يزيد، هاتكون بخير

ضرب "يزيد" بقبضته الحائط من جديد وهو يصيح بحق:

-أنا هاتجنن، أكيد جرالها حاجة، مش بترد عليا

-القائد قال إنهم متراقبين وفي حراسة و..

قاطعته منفعلاً وقد برزت مقلته:

مش كفاية يا "آدم"، "فرح" هاتروح مني، وأنا واقف عاجز هنا مش عارف أعملها حاجة

نكس "آدم" رأسه قليلاً ليقول:

مش عارف أقولك ايه

فرك "يزيد" وجهه كلياً براحة يده وهو يتم مع نفسه بصوت مزعوج:

-استر يا رب!

عاود مهاافتها قائلاً بنبرة متصلبة وهو يضغط على أسنانه:

-ردي يا "فرح"، طمنيني عليكي!

.....

بعد دقائق وصل القارب للمرفأ، فنزل من على متنه بعض الجالسين به، وكان في مطلعهم "فرح" التي أرادت وبشدة أن تلامس قدميها الأرض لتشعر بالأمان من جديد، ما لم تضعه في حساباتها أنها ستواجه الأخطر هنا، تبعثها دوماً بخطوات حثيثة لا يفصلها عنها أي شيء ثم تأبطت في ذراعها بشكل غريب، التفتت "فرح" نحوها متسائلة باستغراب:

ليه كده؟

ابتسمت لها دوماً دون أن تعطيها الجواب المناسب مما أثار ريبها أكثر، واصلت الاثنان سيرهما المتعجل حتى باتتا في منطقة شبه خاوية من المارة، لحق بهما الضابطان وهما مسلمان أنظارهما عليهما، استدارت دوماً برأسها للجانب لتلاحظ مراقبتها المستمرة لها، تيقنت أنها سيلقيان القبض عليها، لذلك حسمت أمرها بإنهاء كل شيء الآن، تاهبت سريعاً للانقضاض على "فرح"، توقفت عن السير ولفت ذراعها حول عنقها لتطوقها منه، تفاجأت الأخيرة بما تفعله بها فصاحت مستنكرة:

هو في إيه؟

هتفت بها دوماً بصيغة آمرة وهي تضغط على فقرات عنقها:

ما تفتحي تمك

حاولت مقاومتها لكن شددت الأخيرة من قبضتها عليها، أخرجت من حزام خصرها مدية صغيرة كانت مخفية فيه، ثم وضعتها على عنقها، شعرت "فرح" بنصل حاد يحز جلدها فتأوهت متألمة، حذرتها دima من جديد بصرامة وهي تهمس لها في أذنها:

ما تصرخي وإلا راح اقتلك

منعت جبراً من الاستغاثة أو طلب النجدة، لكن بتصرفها الملفت للأعين جعلت الضابطین يتدخلان على الفور، صاح أحدهما بنبرة عالية وهو يشهر سلاحه أمام وجهها:

سيديها يا دima!

تراجعت الأخيرة مستديرة بها للخلف وصارخة بتهديد مخيف:

ما حدا فيكم يقرب مني، راح اقتلها

ارتعدت فرائص "فرح" منها، وضعت يدها على قبضتها محاولة لإبعاد نصل المدية الحاد عن عنقها وهي تسألها بهلع:

هو في إيه؟ إتي بتعملي كده ليه؟

لوهلة اعتقدت أن ما تفعله ما هو إلا انتقام أهوج منها لتصرفها السابق معها، فتابعت متسائلة بخوف:

أحنا مش حلينا كل حاجة بينا؟

شددت دima من قبضتها وهي تعنفها باستهزاء:

لك شو غبية!

أصدرت "فرح" أنينًا مكتومًا بسبب الوخزات الحادة التي تزداد إيلامًا مع استمرار ضغطها عليها، هتف الضابط بجدية وهو يقترب بخطوات محسوبة منها مركزًا فوهة سلاحه على ديماء:

-اهدي يا مدام "فرح"، كل حاجة هتبقى تمام
أراد أن يث فيها نوعًا من الأمان كي لا تتهور ويحدث ما لا يُحمد عقباه، أضاف رفيقه
بتريث محاولاً التفاوض:
-ديما اسمعينا، آ.....

قاطعته الأخيرة صارخة بانفعال:
-إنتو ما بتعرفوا مين بأكون
اخترق نصل المدينة عنق "فرح" فصرخت بألم واضح على تعبيراتها، التقطت أنفاسها
اللاهثة هاتفة بصوتها المختنق:
-بعدي عني!

بدأت الدماء تنساب من أسفل المدينة، فأكلت صارخة بخوفٍ وهي تسلط نظراتها
المدعورة على الضابطين:
-الحقوني، هاتموتني!

دفعت توسلاتها المستغيثة الضابط للصياح بتهديد أشد لهجة:
-أحسنلك تسلمي نفسك وتسببها، الشبكة اللي بتحميهم اتقبض عليهم خلاص، واللي
بتعمله ده هيزود في عقوبتك

جمدت ديماء أعينها المتوهجة غضبًا على وجهه مستشعرة قرب نهايتها، تحرك بؤبؤاها مع
صوت الضابط الآخر حينما هدر بصرامة وقد بات على بعد عدة خطوات منها:

-لآخر مرة بنقولك سبيها يا ديم
نظرت له باستخفاف وهي تسأله:

-والا شو؟

تبادل الضابطان معها نظرات تحمل الكثير من الترقب والخوف والقلق والحدة، كانت "فرح" في نفس الوقت في وضع لا تحسد عليه، رأت شريط حياتها يمر أمام ناظرها، ومضات سريعة وخاطفة من ذكريات عاشتها مليئة بال"فرح" والحزن، بالبكاء والضحك، ظنت أنها النهاية حتمًا، ازداد خوفها، ورغما عنها بكت متأثرة، انسابت عبراتها بغزارة لتشق طريقها حتى عنقها، امتزجت مع تلك البقع الصغيرة من دمائها التي تسربت من أسفل جلدها، لم يكن أمام ديم أي فرصة للهرب، أصبحت تعد ما تبقى لها من فرص متاحة للنجاة، بنظرات سريعة وشمولية تلفتت حولها لتحدد خطوتها التالية، لم يستغرقها الأمر سوى ثوانٍ لحسم أمرها، فقامت بالخطوة التي تمت فعلها مسبقًا للخلاص من نصبتها عدوتها، ومن أجل إلهاء الضابطين عنها، غرزت المديّة أكثر لتنحر عنق "فرح" بلا رحمة فتضاعف مع ذلك صراخها الهائج، أرخت ذراعها عنها فوضعت "فرح" يدها على القطع مانعة الدماء من التدفق، تحشرجت أنفاسها واختنق صوتها وهي تحاول استيعاب ما حدث لها تَوًّا، شحذت بعد ذلك ديم قواها بالكامل لتدفعها من ظهرها بكل ما أوتيت من قوة في اتجاه الضابطين لتفر رাকضة بعدها، تلقفها أحدهما بين ذراعيه ومددها على الأرضية، بينما ركض الآخر خلف ديم ليمسك بها !!

.....

الفصل العشرون

اعتقدت لوهلة أنها نجت من الخطر المهدق بها، تكفلت بتعطيل من يلاحقها بإلقاء "فرح" في اتجاههما لتفري هاربة من المكان، لكن أعاقها تلك الطلقة النارية التي استهدفت قدمها من الخلف، ثنيت ساقها وطرحت أرضاً متأوّهة بألم شديد، جاهدت لتزحف على يديها في محاولة بائسة منها للهروب، لكن اعترض طريقها الضابط الذي أشهر سلاحه في وجهها ليصيح بها بنبرة أمرة:

-اثبتى مكانك!

استندت ديمًا بكفيها على الأرضية كاتمة الآمها داخلها، رفعت رأسها في اتجاهه تطالعه بنظراتها المغترة، فرغم سقوطها إلا أنها احتفظت بذلك الكبرياء الزائف وتلك الابتسامة المستفزة على ثغرها، تابع الضابط مضيقًا بلهجة شديدة مهددًا إياها:

حركة زيادة وهاتكون الطلقة الجاية في دماغك

أشارت له بكفها قائلة بصوتٍ شبه مختنق:

ما تقلق، راح أضل هون!

.....

على الجانب الآخر تمددت "فرح" على الأرضية الإسفلتية واضعة يدها على عنقها لتمنع الدماء النازفة من التدفق منه، وضع الضابط الأول يده على قبضتها ليزيد من ضغطه على القطع الشديد، ورغم خطورة الموقف إلا أنه طمأنها قائلاً:

هتعدى على خير

أخرج من جيبه هاتفه المحمول ليستدعي سيارة الإسعاف، نظرت له "فرح" بأعين زائغة وهي تقاتل للبقاء حية، تحشرح صوتها أثناء محاولتها للحديث، حذرهما الضابط بجدية:

-بلاش تكلمي!

ظل جسدها ينتفض بقوة، فتابع بقلبي كبير:

-مدام "فرح" مافيش داعي لأي مجهود، الإسعاف جاي في الطريق!

تجسد أمام عينيها طيفه متخيلة لهفته عليه، زاغت أبصارها وهي تهمس بنبرة متقطعة:

-...يزيد!

لحظات وبدأت قواها تخبو تدريجيًا فتوجس الضابط خيفة أن تكون على وشك فقدان حياتها، استدار برأسه للخلف حينما سمع الصوت الشهير لسيارة الإسعاف يصدح في المكان، كانت آخر ما التقطته أعينها تلك الأطياف التي دنت من رأسها وامتزجت أصواتهم مع صوت نبضات عجيبة لم تستطع تفسيرها.

.....

انهار كليًا حينما بلغه خبر تعرضها للاغتيال رغم ما التأكيدات المتواصلة من توفير الحماية لها بكافة السبل، هرول "يزيد" إلى المشفى العسكري حيث تم نقل زوجته إليه، انتظر على أعصاب متلفة في الرواق المؤدي لغرفة العمليات وبدنه يرتجف بدنه من تخيل فقدانها خاصة بعد أن علم بتفاصيل قتلها، تجمدت أعينه التي اغرورقت بالعبرات على الباب المعدني، وشرد يفكر في لحظاته معها، اعتصر قلبه ألمًا وأنبه ضميره للزح بها في أمر مهلك كهذا باتت هي صحبته في النهاية، لم يقاوم عبراته التي انهمرت من طرفيه على وجهه، فمن غيرها سيكيها بكل تلك اللوعة والحزن؟ خاف "يزيد" أن يفجع فيها، أن يخرج إليه أحد الأطباء ويبلغه بوفاتها، تضاعف نحيبه الذي امتزج مع شهقاته، شعر بتلك اليد توضع على كتفه لتشد من أزره، التفت بعينه الباكيتين للجانب ليجد "آدم" إلى جواره، هتف الأخير بصوت خفيض:

-ادعيلها يا يزيد

تهدل كتفاه بإحباط جلي، استشعر خسارتها فانقبض قلبه أكثر، رد عليه من بين بكائه الموجوع:

خايف تروح مني

أخفض "آدم" قبضته على ذراعه ليقول بجدية محاولاً بث القوة في روحه الهائلة:

ثق في الله هايكون معاها ويشفيها

استعاد في ذاكرته ومضات خاطفة من مشاهد مقابلته مع قاداته ليضع معهم خطط الإيقاع بتلك الجاسوسة المحترفة، ازداد ألم قلبه وشعر به يكاد يخترق ضلوعه وهو يتذكر تركيته باسمها لتكون المرشحة الأولى للتغطية في تلك المناورة الزائفة، بدا "يزيد" وكأنه يفكر بصوت مسموع حينما نطق قائلاً:

أنا بإيدي وديتها للموت، وصدقت إنهم هيجموها

رد "آدم" مبرراً ما حدث لها قائلاً بنبرة عقلانية:

لأنت عارف إن أكثر من جهة مشتركة في العملية دي، يعني متقدرش تلوم حد بعينه، وبعدين كان لازم يحسسوا ديماً إنها مش متراقبة عشان تتصرف بحرية وتغلط، ولحد آخر وقت كله كان تمام

شعر "يزيد" أنه عاجز عن الوقوف فاستند بظهره على الحائط، نكس رأسه بخزي وهو يقول من بين حزنه العميق:

هما وعدوني هيجموها

تهدل "آدم" هاتفاً:

نصيبها كان كده، خليك مؤمن بقدر ربنا

رفع "يزيد" أبصاره للأعلى ليهتف بنبرة تدمي القلوب والدمع يفيض من عينيه:

يا رب نجّيها!

ظل الصمت سائداً لبعض الوقت إلى أن تخلله صوت "يزيد" المتسائل بتشنج:

-وبنت ال..... عملوا فيها ايه؟

أجابه رفيقه بجذّر متوقفاً ردة فعلٍ غاضبة منه:

-اتقبض عليها

صدق حدسه واستشاط "يزيد" غضباً لبقائها على قيد الحياة مقارنة مع زوجته التي تصارع الموت بالداخل، صرخ فيه باهتياج:

-ليه ماموتهاش ساعتها؟

أجابه "آدم" موضحاً:

-الظابط قال إنه كان خايف على "فرح"، ديما كانت محمية فيها، وفي اللحظات الحرجة دي إنت بتدور على الأسلم!

كور "يزيد" أصابع يده ضاغظاً بعصبية عليهم ثم ضرب بقبضته بعنف على الحائط ليقول بعدها بغل ووعيد وهو يركز على أسنانه بشراسة:

-أه لو كنت موجود

-لا يمنع حذر من قدر يا يزيد

عندك حق، بس مش هاسكت عن حق مراتي!

عاد الصمت من جديد يخيم على الأجواء، ويزيد يتجول بين الحين والآخر في الرواق محاولاً التنفيس عن ضيقه المشحون بداخله، لم يتوقف لسانه ولا قلبه الملتاع عن الدعاء، انتصب في وقفته حينما لمح قائده المباشر يقترب من على بعد، وصل إليه الأخير متسائلاً باهتمام واضح:

ليه الأخبار يا سيادة المقدم؟

استراح في وقفته بعد أن أشار له بالتخلي عن الرسمية في تلك المواقف، ثم أجابه بنبرة حزينة للغاية:

لسه جوا، مش عارف عنها حاجة

ريت القائد على ذراعه عدة مرات وهو يحفزه قائلاً:

أنا عاوزك تطمن، معاها أكفأ الأطباء

رد عليه "يزيد" بحق بائن في نبرته وهو ينظر إليه بأعينه الملتهبة:

يا باشا سيادتك وعدتني هتحميها، بس اللي حصل...

قاطعته القائد معللاً:

وارد يوقع خطأ يا سيادة المقدم، بس زي ما فهمتك قبل كده، كل جهة مسئولة عن مهمة معينة وملزمة بتنفيذها على أكمل وجه، والرجالة اللي بيأمنوها بذلوا جهدهم عشان ميعرضوهاش للخطر ولا يثيروا الشبهات كمان، لكن ديما عرفت باللي حصل لشبكة الجاسوسية وبناءً على المعلومات دي قررت تتخلص منها

سأله "يزيد" بنبرة منفعة وقد تشنجت عروقه:

طب ليه مقتلوهاش قبل ما تموت مراقي؟

أجابه بهدوء محاولاً تفسير الموقف برمته له:

-جهات سيادية محتاجاها عشان تاخذ منها معلومات عن الجهات اللي مشغلينها وبتتواصل مع مين، إنت فاهم إن المسائل دي مش تخصصنا، بس أكيد قتلها مكانش هيفيد

اغتاظ من حرصهم على سلامة شخصية خائنة لأوطانها مثل تلك في مقابل التضحية
بزوجته، وكأن حياتها لا تشكل فارقاً عندهم، افعل بصوتٍ شبه حاد:

-موت مراقي مش هايفرق مع حد، صح؟

حمد القائد أنظاره عليه متفهماً طبيعة عصبيته المبررة، سحب نفساً مطولاً لفظه بتمهل
ليضيف بعدها:

-أنا مقدر الوضع اللي إنت فيه

تدخل "آدم" في الحوار ملطفاً:

-اعذروه يا فندم، دي برضوه مراته

التفت القائد برأسه نحوه ليرد بجدية:

-أنا فاهم ده كويس وهاكون على تواصل مع إدارة المستشفى والدكاترة هنا عشان أعرف
الأخبار أول بأول!

عاود التحديق في وجه "يزيد" وهو يكمل بنفس النبرة الجادة:

-مش عاوزك تقلق حتى لو علاجها احتاج إنها تسافر برا، القيادة هتتحمل كافة
التكاليف

أدمعت عيناه من جديد وهو يرد:

-أطمئن إنها عايشة بس الأول

استمر الحوار الحذر بينهما للحظات قبل أن يستأذن قائده بالانصراف ليقف "يزيد"
من جديد بجوار باب غرفة العمليات مترقباً خروج من يطمئنه عنها، دفن وجهه بين
راحتيه مستشعراً حرارة أنفاسه على كفيه، تأهبت حواسه وتصلب جسده حينما انتبه
لدفع الباب، انتصب في وقفته ليهول نحوه متسائلاً بلا تردد:

خير يا دكتور؟

أطرق الطبيب رأسه قليلاً ليجيبه بهدوء:

مخبيش عليك، الوضع كان حرج في البداية، بس احنا عملنا اللي علينا والباقي على ربنا

بدت كلماته المنتقاة بحذر كتمهيد أولي عن وجود ما لا يبشر، تقطع صوت "يزيد" وهو يسأله بتلهف:

-يعني "فرح" هاتعيش؟

أجابه بروتينية:

-ادعيلها تعدي الساعات الجاية على خير

ثم ربت على كتفه كنوع من المواساة والدعم لينصرف بعدها مبتعداً عنه وتاركاً إياه في حالة نفسية سيئة، تضاعف إحساسه بالذنب والضيق، هو من ألقى بها في تلك الهوة السحيقة لتتحمل بمفردها نتائج اختياره، انهار باكياً من جديد فأشفق عليه رفيقه، وضع يديه على ذراعيه هاتفاً:

-اجد يا يزيد، ماتقدرش البلاء قبل وقوعه

لحظات وفتح الباب من جديد ليطل الممرضون وهم يسحبون الناقلة الطبية الراقدة عليها جسد "فرح"، انتفض قلبه بين ضلوعه وهو يراها على تلك الحالة المخيفة، ركض نحوها محاولاً المرور بينهم ليراها وهو يصرخ باسمها بطريقة هستيرية:

- "فرح"، ردي عليا، "فرح"!

انفطر قلبه حزناً عليها، احتضن كفها بين يديها متوسلاً لها:

-إنتي هاتبقي كويسة، قوليلي ده!

تشبث أكثر بها مما أعاق حركة المرضى وهو يكمل بصوته المختنق:

-أنا اللي ضيعتك!

تدخل "آدم" ليعده عنها محاولاً تهدئته، أبعد به صعوبة للخلف وكأن في فصله عنها
انقطاع أنفاسه وهلاك روحه، صرخ بكل قوة وبجنون يصعب السيطرة عليه:

- "فرح" !!

.....

الفصل الحادي والعشرون

وما إن استقرت حالتها الصحية نسبياً حتى تم نقل "فرح" إلى المشفى العسكري
بالقاهرة لتستكمل باقي العلاج هناك، وأشرف أكفأ الأطباء على متابعة التطور الصحي
لها، لم يفارقها "يزيد" للحظة، وظل ملازماً لها يتابع بتلهف أي جديد يطرأ عليها، ورغم

تحديد موعد الزيارة إلا أنه لم يلتزم بالقوانين وبقي مرابطاً أمام غرفتها بالعناية الفائقة يراقبها بنظراته الدامعة من خلف الزجاج، ضغط "آدم" بيده على كتفه قائلاً برجاء:

روح البيت ارتاحلك شوية، إنت بقالك على الحال ده كثير

أبعد يده مردداً بحزنٍ بائن في نبرته:

مش هاسيدها وأمشي

ضغط "آدم" على شفتيه مكلاً:

بس....

قاطعه بإصرار عنيد:

ما تضغطش عليا لو سمحت

امثل رفيقه لطلبه هاتفاً بتنهيده يائسة:

حاضر

تركه واقفاً في مكانه واتجه إلى المقعد القريب ليجلس عليه، أدار رأسه للجانب ليجد بعضاً من زملاء "فرح" بالعمل، نهض من جديد ليصافحهم، تساءل أحدهم بجدية:

ايه الأخبار؟

أجابه "آدم" بهدوء:

لسه مافيش جديد

أضاف آخر بنبرة متفائلة:

إن شاء الله تطمئنا عليها

رد عليه:

يا رب

انضمت إليهم "إيلين" التي كانت تمسح المخاط عن أنفها الباكى وهي تقول بشهقات
مختنقة:

مش قادرة أصدق إن فرح يجرالها ده كله
وأضاف زوجها "أمير" الذي أتى بصحبته قائلاً:
قلبنا معاكو

ابتسم "آدم" متمتماً بـ:

شكراً، مكانش ليها لازمة تتعبوا نفسكم
ردت "إيلين" بحزنٍ جلي:

دي فرح أكثر من أختي، ربنا اللي عالم محبتها عندي عاملة إزاي!
تسائل "أمير" باهتمام:

-والمقدم "يزيد" حالته ايه؟

التفت "آدم" برأسه نحو رفيقه، حدق فيه للحظات وهو يرد بأسف:
-زي ما إنت شايف، من يوم ما عرف باللي حصلها وهو على الحالة دي
هز رأسه متفهماً حزنه المبرر على زوجته التي يحبها وهو يرد:
-ربنا معاه

كان "يزيد" منفصلاً بالمعنى الحرفي عما يدور خلفه، هو فقط مسلط لأنظاره على
زوجته الراقدة بالداخل يراقبها بنظراتٍ مطولة، لم يكن يرى سواها أو يسمع صوتاً غير
دقات قلبه التي تهتف بين ضلوعه باسمها، استند بكف يده على الزجاج مدققاً النظر

في وجه حبيبته الهادئ، تنفس بعمق لافظًا عن صدره مع الزفير الذي أخرجه منه
أثقالاً تتعبه، همس من بين شفثيه بندم:

حقك عليا، أنا السبب في ده من الأول!

مسح بظهر كفه تلك العبرات العالقة عن طرفي مقلتيه، سحب نفسًا مطولاً من جديد
ليسيطر على انفعالاته الحزينة بداخله، انتبه لتلك الشدة الصغيرة في بنطاله، فأخفض
أعينه وهو يدير رأسه للجانب ليجد الصغيرة "سلمى" تطالعه بنظراتها الشقية ووجهها
الطفولي، لم يكن به من الطاقة ما يحثه على حملها أو حتى مداعبتها كالسابق، اكتفى
فقط بالربت على رأسها برفق، عبست ملامح الصغيرة فركضت نحو والدتها التي
احتضنتها وحملتها على ذراعها، هزت رأسها مستنكرة حالة الضيق البادية على "يزيد"،
مالت على زوجها تهمس له بتساؤل مزعوج:

هو هيفضل كده كثير؟

أجابها "آدم" بامتعاض:

-الله أعلم، ارجعي البيت إتي كمان

اعترضت متسائلة بوجه شبه متجهم وهي ترفع حاجبها للأعلى:

عاوزني أسيبك لوحدي؟

رد باستنكار متذمر:

-يعني هاتخطف يا شيء، خدي لوما وروحي!

هزت رأسها نافية وهي تقول:

قلبي مش مطاوعني، وخصوصًا بعد اللي حصل

زفر قائلاً:

مالوش لازمة الرغي هنا

مصمست شفتيها مرددة بأسف:

عيني عليها والله، حظها قليل أوي، كل شوية تتعرض لمصيبة أكبر من اللي فاتت
حك "آدم" طرف ذقنه قائلًا بعبوس:

-بلاش الله يكرمك الرغي الكثير ده، أنا مش ناقص!

ثم التفت برأسه نحو "يزيد" ليجده على نفس الحالة الواجمة، اقترب منه من جديد
ليطالعه عن قرب، كان شاردًا ومحددًا فيها، تأهبت حواسه عندما لاحظ حركة رأسها
الخفيفة، تجمدت أنظاره عليها وانتفض في وقفته حينما تكرر الأمر من جديد، هتف
بحماس متلهف لفت انتباه من حوله:

- "فرح" بتتحرك، شكلها بتفوق

تهللت أساريره بدرجة كبيرة معتقدًا أنها على وشك استعادة وعيها، واصل صراخه
المتحمس مرددًا بصوت مرتفع:

يا دكتور، "فرح" اتحركت، تعالى شوفها

ركضت إحدى الممرضات لتستدعي الطبيب، بينما دلفت أخرى من غرفتها لتتفقددها،
كان مجبرًا على الانتظار بالخارج ريثما يتم فحص مؤشراتها الحيوية للتأكد مما رآه، حبس
أنفاسه مترقبًا بأعصاب تشتعل على جمرات من النيران ما يحدث بالداخل، توجس
خيفة أن يكون قد أصابها مضاعفات خطيرة، توتر كثيرًا وتسارعت دقات قلبه من
فرط القلق، لحظات وخرج إليه الطبيب ليطمئنه قائلًا بهدوئه المعتاد:

-متقلقش، المدام هاتبقى كويسة

سأله "يزيد" بتلهف كبير:

-يعني هي فاقت؟

أجابه موضحاً:

-مش بالضبط، بس أنا عاوزك تظمن، أنا متابع حالتها

لم يع جيداً ما الذي يقصده فسأله بعصبية ملحوظة:

-رد عليا يا دكتور، هي هاتفوق ولا اللي شوفته ده كان خيال و....

قاطعها الطبيب بحذرٍ وهو يضع يده على ذراعه:

-ايوه، بس بالتدريج، اهدى إنت شوية

تدخل "آدم" في الحوار قائلاً:

-اطمن يا يزيد، أكيد الدكتور فاهم شغله كويس وعارف ازاي هيتعامل مع حالتها

أوماً برأسه عدة مرات قائلاً بتنهيذة مزعوجة وهو يعاود التحديق وجه فرح الغافل من

خلف الحائط الزجاجي

-استر يا رب

.....

جلس على طرف فراشها بعد أن سُمح له بالدخول، ثم مد يده ليمسك بيدها بين كفيه،

ظل "يزيد" يمسح على أصابعها برفق وهو يطالعها بنظراته المتلهفة لها، شعر بتلك

الاهتزازة الخفيفة لكفها فتحمس كثيراً لرؤيتها تفيق، راقب تشنجات وجهها منتظراً

باشتياق فتحها لجفניה، أصاب حدسه وبدأت "فرح" تستعيد وعيها، رمشت بعينيها

لعدة مرات لتعتاد على الإضاءة بالغرفة، شدد من قبضتيه على يدها لتشعر به بجوارها،

أدارت رأسها في اتجاهه فرأته يتسم لها، حركت شفيتها لتسأله بصوتٍ خافت

ومتحسح:

هو حصل إيه؟

وضع يده على جبينها يتلمسه بجذير وهو يجيبها:

حمدلله على سلامتكَ يا حبيبتي

سألته من جديد بنبرة حائرة وقد شعرت بذلك الألم القوي في حلقها:

-أنا بقالي كتير هنا؟ ...

وضع سبابته على شفتيها كي يمنعها عن الكلام مرددًا بابتسامته السعيدة:

-بلاش تجهدني نفسك يا فراشتي، أنا جيبك مش هاروح لحتة

اكتفت بالابتسام له، فأكمل معاتبًا نفسه:

-لو كنت أعرف إن كل ده هايحصل مكوتنش وافقت من الأول

ضاقَت نظراتها الحائرة نحوه وهي تحاول تحليل ما قاله، لكن تعذر عليها التفكير بذهنٍ صافٍ وذلك الإرهاق يعتريها، عاودت الاستسلام من جديد لخدر النوم المسيطر عليها، لم يتركها "يزيد" بل نهض من مكانه لينحني عليها ليقبلها أعلى جبينها، تراجع عنها لسننتراتٍ معدودة ليهمس لها:

-ارتاحي إتي بس، وبعدين هاحكيلك كل حاجة بالتفصيل

.....

لاحقًا، حينما استعادت قدرًا من عافيتها سرد لها "يزيد" تفاصيل تلك المهمة التي كلف بها، وكانت هي جزءًا منها، انزعجت "فرح" كثيرًا من إخفائه للأمر عليها وتحولت جلستها المسترخية على الفراش لانعكاس ملحوظ لضيقها الممتزج بغضبها، احتقن وجهها وتشنجت تعبيراتها إلى حد كبير، زوت ما بين حاجبيها بعبوس صريح ثم سألته بصوتٍ مبجوح:

ما فكرتش للحظة إنها ممكن تموتني ؟

أجابها مبرراً أسبابه:

يا فرح احنا كنا عاملين حسابنا كويس ، ووجودك معايا كان ضمن الخطة من الأول،
يعني استحالة كانت تلمسك طول ما إيتي جمبي ، وبعدين الأوامر كانت بتحتم عليا
أخبي أي حاجة حتى عنك إيتي شخصياً

كتفت ساعديها أمام صدرها مبدية عدم اقتناعها بحججه التي اعتبرتها واهية رغم يقينها
منها، لوت ثغرها للجانب وهي تشيح بوجهها بعيداً عنه لترد بامتعاض:

اه طبعا، ما أنا المغفلة اللي لبست الليلة كلها

زفر بصوت مسموع كتعبير عن استياءه من تفكيرها الضيق، رد بحذرٍ وهو يدور حول
فراشها ليغدو قبالتها:

ما تقوليش كده

لاح في عقلها مشهد الاعتذار الذي أجبرت عليه مع تلك الجاسوسة فاستشاطت
غضباً، لم يسعفها صوتها للهتاف بجدة وهي تقول:

لأ وكمان سمحتولها تبهلني وطلعتوني كدابة

جلس "يزيد" على طرف الفراش بجوارها مقلصاً المسافات بينهما، التقط كفها بيده ثم
رد باستعطاف:

غصب عني والله، صدقيني يا فرح، مكانش ينفع نكشف كل حاجة قصاها، كنا
مضطرين نعمل كده، بس أنا كنت مصدقك من الأول و...

لم تستطع مسامحته ولم تتقبل منه تخليه عنها في وقت كانت تتحرى فيه الصدق منه، وما عقد الأمور بينهما هو تعرضها في الأخير لمحاولة اغتيال، سحب يدها بقوة من كفه، نظر لها بأعين مزعوجة من تصرفها ذلك، تجاهلت تودده اللطيف لها لتقول بجفاء:

- خلاص يا يزيد، مش قادرة أتكلم

تفهم ما تفعله، وتحمل تصرفاتها العصبية بعقلانية مقبولة، ابتسم لها قائلاً:

-أنا مقدر اللي إتني فيه، بس والله ماكونتش هاقبل أبدًا إني أعرضك للخطر!

اقرب منها ليضع يده على وجتها ثم مسح عليها برفق وهو يغازلها:

- ده إتني الحب كله يا فراشتي

انزعجت من لمسه لها فابتعدت بوجهها عنه قائلة باقتضاب:

-يزيد، أنا تعبانة

ورغم نفورها الواضح منه إلا أنه حافظ على هدوء أعصابه معها، أعاد يده إلى جواره مرددًا بنبرة جادة وقد احتدت نظراته نحوها:

-حاضر يا فرح، براحتك

نهض من جوارها ملتفتًا برأسه للخلف ليجد الممرضة تلج للغرفة وهي تقول بنبرة روتينية:

لو سمحت يا فندم، الدكتور هايجي يغير للمدام على الجرح، وأنا لازم أجهز المريضة أشار لها بيده وهو يرد:

-تعال

التفت برأسه نحو "فرح" ليقول بنبرة رسمية:

هاجيلك لما تخلصي

ردت عليه بجفاء قاس:

ماتتعبش نفسك، أنا هاكون نمت

احتقن وجهه من ردها الأخير، والذي أحرجه أمام الممرضة كثيرًا، رمقها بنظرات
امتلات بالعتاب، ثم زم فيه قائلاً:

سبراحتك

تركها مع الممرضة لينصرف وهو مشحون بغضبٍ محدد أراد ألا يحرره أمامها فيفعل ما
قد يندم عليه لاحقًا، راقبته بأنظارٍ لا تحمل إلا الضيق حتى اختفى من أمامها، وضعت
يدها على الجرح المغطى تتحسسه بحذرٍ شديد، رفعت أعينها نحو الممرضة تسألها بتلك
البرة الواضحة في نبرتها:

هو أنا صوتي هايفضل كده كثير؟

أجابتها الأخيرة بابتسامة مصطنعة:

مقدرش أفيدك دلوقتي، الدكتور هيقدر ده بعدين

لم تشعر بالارتياح من ردها الغامض، فهي تخشى من تبعات ما تعرضت له مما قد يؤثر
عليها بصورة أو بأخرى.

.....

تجول معه في الحديقة الملحقة بالمشفى ليستفيض معه في الحديث بعيدًا عن الجميع كي
لا ينفجر بضيقه المحبوس ب صدره، زفر عدة مرات قبل أن يتابع "يزيد" حديثه قائلاً:

فرح مضايقة أوي مني، وأنا محتار معها

رد عليه "آدم" بحمايس يتناقض مع الانزعاج الكبير الظاهر على رفيقه:

-يومين وهاتفك، إنت عارف دماغ الستات، يحبوا يقفوا على راس الحاجة، ماينفعش
تخبي عليهم كلمة

توقف عن السير ليستدير نحوه، ثم صاح مستنكراً تبريره لجفائها وهو يلوح بذراعه في
الهواء:

هو بمزاجي، دي أوامر عليا، هو احنا بنلعب يا آدم
ريت آدم بيده على كتفه مفسراً:

هما مالهومش في الكلام ده، إن شاء الله يكون مين اللي منبه عليك، العقلية واحد
يا باشا!

سأله يزيد بنفاذ صبر:

طب أراضيه ازاى دي؟

غمز له قائلاً بهرح:

خروجة حلوة، كلمتين متنقيين، بوستين جامدين، وهوب الليلة تمشي

حدجه "يزيد" بنظرات محتدة وهو يرد بتجهم:

-والله إنت فايق ورايق

اتسعت ابتسامة رفيقه مكملاً حديثه الواصل:

-أنا بأقولك على التركيبة السحرية اللي تمشي مع أي ست، جربها ومش هاتندم!

فرك "يزيد" مؤخرة عنقه عدة مرات وهو يغمغم مع نفسه بعدم اقتناع:

على الله تجيب بس نتيجة مع فرح!

.....

توالت عليها الزيارات من كل المعارف والأصدقاء والزملاء في الجريدة للاطمئنان عليها، وكذلك أتى لرؤيتها بعض قيادات القوات البحرية للثناء على دورها البطولي وتضحياتها خلال تلك المهمة الخطيرة التي كانت جزءًا هامًا فيها، ابتسمت "فرح" لمدحهم لها وردت بلطافة شاكرة بامتنان مجيئهم إليها، لكن لم يشفع ذلك لزوجها لكي يعود الود بينهما، استمرت في تجاهلها له رافضة منحه الفرصة لإعادة الوفاق بينهما، ورغم ذلك لم يضغط عليها عملاً بنصائح رفيقه لترك الفرصة لها لتصفى من ناحيته. رفضت "فرح" وبشدة حضوره معها حينما حان الموعد النهائي لإزالة الشاش الطبي عن عنقها، كاد أن يتسبب ذلك في حدوث مشاجرة بينهما، لكنها لم تكثر بتبعات قرارها، أرادت أن ترى بمفردها أولاً آثار ما تركته ديمًا عليها، انتظر بالخارج مضطربًا كحل وسطي، بينما ولجت بمفردها إلى الداخل، توترت إلى حد كبير وتضاعفت مخاوفها مما هي مقبلة عليه خاصة بعد أن اعترض الطبيب على رؤيتها للجرح في وقت سبق، استشعرت من تحذيره الصارم بعدم كشفه أو حتى تعريضه للهواء بأنه يخفي عنها شيء ما، راقبت بتخوفٍ إزاحته له حتى بات عنقها مكشوفًا، اقشعر بدنها وارتجفت وهي تشعر بالهواء يضرب جلدها، نهضت من مكانها متوجهة نحو المرأة الطويلة الموضوعة في الجانب لتحقق في تلك الندوب التي حفرت فيه بأعين جاحظة، تحولت نظراتها المرتاعة إلى نظرات مذعورة، بات عنقها بالفعل مشوهًا، حركت يدها المرتجفة نحوه لتتلمسه لكنها لم تستطع، بقيت يدها متصلبة في مكانها عاجزة عن تحريكها، انفصلت لحظيًا عن حولها وهي تتأمل بشاعته، ترققت العبرات سريعًا في مقلتيها تأثرًا بما سيظل معها للأبد، لم تقاوم رغبتها في البكاء، تهدجت أنفاسها صارخة بعدم تصديق:

-دي مش أنا، مش أنا

هتف الطبيب الذي أسرع ليقف خلفها قائلاً:

يا مدام اهدي

ردت صارخة بانفعال وهي ترتجف بقوة:

-لا، أنا ماينفعلش أكون كده!

أشار لها بيده لكي تهدئ قائلاً برجاء:

بالراحة يا مدام فرح، خليني أوضحلك حاجة مهمة

على إثر صراخها الهائج اقتحم "يزيد" غرفة الطبيب متسائلاً بجدة وهو يبحث بعينه عن زوجته:

فرح، حصل ايه؟

استدارت بجسدها كلياً نحوه مشيرة بيدها المرتعشة إلى عنقها وهي تصرخ فيه بهيسترية:

شايف جوالي ايه، بصلي كويس!

جمد "يزيد" أنظاره على ندوب عنقها الواضحة، انعكس تأثير ذلك على نظراته ففسرتها بطريقة خاطئة لتكتمل منظومة معاناتها النفسية، هدرت بعصبية وهي تدنو منه:

قرفان ليه؟ مش إنت اللي عملت فيا كده؟

تألم لرؤيتها على تلك الحالة الهائجة، وما زاد من الطين بلة تحميلها إياه للذنب بالكامل، اقترب منها واضعاً كفيه على ذراعها قائلاً بارتباك:

حببتي، أنا

نفضت يديه عنها متراجعة للخلف وهي تصرخ فيه بكاء:

متقربش مني، مش عاوزة حد يلمسني

أضاف الطبيب قائلاً بجدية محاولاً تهدئتها بعد أن خرجت الأمور منها عن السيطرة
وباتت في حالة عصبية مقلقة:

يا مدام في عمليات تجميل بتتعمل، كل ده ممكن يتغطى و يتعال.....

لم تمهله الفرصة لقول المزيد حيث قاطعته صارخة بجنون وهي تضع قبضتها حول عنقها:
أنا بقيت مشوهة

قامت بخدش ندوبها بأظافرها وكأنها تحاول انتزاع ذلك الجلد متابعة صراخها الهستري:
أنا عاوزة أرجع زي ما كنت

اتجه يزيد نحوها ليمسك بها من راسيها، انتزعها بقوته عن عنقها الذي جرح بشدة مما
فعلته به، أدارها خلف ظهرها ليقيد حركتها وهو يقول:

فرح اهدي، كل حاجة هترجع زي الأول!

انتفض جسدها بقوة وهي تقاتل للتحرر منه، نظرت له بأعين محتقنة مرددة بصراخ:

أنت السبب !!

.....

الفصل الثاني والعشرون

انتظر بالخارج ريثما ينتهي الطبيب من إجراء فحصه عليها خاصة بعد تأزم حالتها النفسية، جن جنونه حينما خرجت عن شعورها واثارت أمامه لتشعره بمدى حماقته وغبائه لتوريطه إياها في مسألة لا تخصها من البداية، ربما إن استمع لنصائح غيره بإقضاء العائلة عن تلك النوعية من المهام لما وصل به الأمر إلى ما هو عليه الآن، ندم "يزيد" لترشيحه لزوجته منذ البداية للقيام بتلك المهمة معتقداً أنها الأكفأ للتغطية دون أن تثير الريبة أو الشبهات، فلو ترك الأمر لمن هم أعلى رتبة وتفكيراً منه ربما لم يكن قد وقع الاختيار عليها، تهدد بإحباط ضارباً بكف يده الحائط وهو يعنف نفسه قائلاً:

إزاي عملت فيها كده؟ إزاي؟!

خرج الطبيب نازعًا عن يده القفاز الطبي فالتفت نحوه وهو يسير في اتجاهه متسائلًا
بتلهف:

ها يا دكتور، "فرح" عاملة إيه دلوقتي؟
أجابه بحذر وهو يرمقه بنظرات شبه غامضة:
مخبيش عليك، حالتها النفسية صعب أوي
ضغط "يزيد" على شفتيه مرددًا بحقي:
بسببي طبعًا

تابع الطبيب حديثه مضيئًا:
للأسف آثار الجروح اللي في رقبتها خلتها تحس إنها هاتكون مشوهة، رغم إن الموضوع
ممكن يتعالج بعمليات تجميل
احتقن وجهه بدمائه المستثارة موجيًا نفسه:

دي غلطتي من الأول
رد الطبيب بجدية وهو يشير بكفه:
ده مش وقت عتاب، المدام محتاجة معاملة من نوع خاص الفترة دي، محتاجة ترجع
ثقتها بنفسها من جديد

انتصب في وقفته هاتفًا دون تفكير:
دلني على المطلوب وأنا هاعمله
رد الطبيب بهدوء موضحًا له مقصده:

-أنصحك بالتواصل مع دكتور نفساني، يعني هو هيفهم حالتها كويس وهيقدر يتعامل معها بخبرة وحرفية

-ماشي

-وأنا عندي أسماء دكاترة مميزين في عمليات التجميل،

-تمام، أطمئن عليها الأول وأظبط معاك كل حاجة

ابتسم الطبيب متابعًا بهدوء:

-وأنا معاك يا سيادة المقدم، هاستأذنك

-اتفضل

قالها "يزيد" وهو يدير رأسه في اتجاه غرفتها، تنفس بعمق قبل أن يزفر بصوت مسموع، حك مؤخرة رأسه وعنقه كمحاولة منه للتنفيس عن انفعالاته المكتومة بداخله، استعد للعودة إلى غرفتها من جديد، ولج بهدوء إلى الداخل ساحبًا المقعد المعدني إلى جوار فراشها، جلس عليه ممرًا أنظاره على وجهها الساكن أمامه، أخفض أعينه ليحدق في جرحها المغطى بالشاش الطبي، كور قبضة يده متألمًا لرؤيتها هكذا، ثم مدها نحوها ليتلمس بحذر وجنتها، مسح عليها برفق وهو يهمس لها:

-كله هيبقى تمام، وهترجي زي الأول وأحسن!

أبعد يده ناحية كفها المسنود إلى جوار جسدها، التقطه بين راحتيه ضاغطًا عليه برفق وهو يتابع حديثه بصوت خفيض:

-أنا مقدرش استغنى عنك يا فراشتي!

ظل مرابطًا لبعض الوقت إلى جوارها يحدثها في أمور عامة آملًا أن تستعيد وعيها في أقرب وقت، نهض "يزيد" من جلسته لينحني على رأسها، مسح على جبينها ثم طبع قبلة صغيرة أعلاه مضيئًا:

-وقريب هتنسي ده كله!

ألقي عليها نظرة وداع أخيرة مطولة قبل أن يتركها وينصرف متعهدًا في نفسه أن يجعل القادم أفضل بالنسبة لها ويعوضها عما فات.

.....

أنهت تصحيح ما وضع أمامها من مذكرات للطلبة قبل أن ترتشف الجزء الأخير المتبقي من كوب الشاي الساخن الموضوع بجوارهم، حكّت "شيء" مقدمة رأسها بإصبعها محدثة نفسها بامتعاض بائن على وجهها العابس:

-بجد أنا مشوقتش واحدة منحوسة كده زينا

التفتت رفيقتها "مريم" نحوها متسائلة باستغراب وقد انعقد ما بين حاجبيها بدرجة ملحوظة:

-إنتي يا بنتي بتكلمي نفسك؟

ردت بتنهيدة مطولة وهي تهز رأسها نافية:

-لا يا "مريم"، بس دماغي ملبوخة حبتين

استشعرت زميلتها وجود موضوع هام يشغل تفكيرها، فحشا فضولها على معرفته، لذلك تابعت مرددة باهتمام

-فضفضي يا حبيبتي، أنا سمعكي!

بدا على وجهها الحيرة وهي تحاول الهروب من إلحاحها الفضولي، لذلك ردت بارتباك قليل:

-مشاكل عادية في البيت، ما إيتي عارفة
مصمست الأخيرة شفيتها مكلمة بتأكد:

هي المشاكل بتخلص، طول ما في عيال لازم تلاقي هم وقرف و....
قاطع ثرثرتهما الروتينية صوتًا مألوفًا تعرفاه ككلاهما جيدًا، التفتت الاثنتان نحوه حينما كرر من جديد:

-مس شياء

اعتلت الدهشة تعبيرات وجه الأخيرة متعجبة من حضوره شخصيًا بعد فترة الغياب المطولة، بدا على ملامحه المجددة الإرهاق والتعب، أفاقت من تحديقها المصدوم فيه مرددة باندھاش:

-أستاذ بركات

هبت من مكانها واقفة لترحب به لكنه باغتها قائلاً بجدية شديدة:

-ينفع أتكلم معاكي كلمتين على انفراد

تخرجت "مريم" من وجودها الغير مرغوب به في غرفة المعلمات، تنحنحت بصوت خفيض متممة بابتسامة مصطنعة:

-أنا هاروح أشوف الإشراف بتاعي وراجعة كمان شوية

أومأت "شيء" برأسها ممتنة تفهمها لرغبته، ابتسمت قائلة بود:

-شكرًا يا "مريم"

أشارت بيدها متابعة بنفس النبرة اللطيفة:

-اتفضل يا أستاذ "بركات"

ولج إلى الداخل ليجلس على أقرب مقعد شاغر، التقط أنفاسه مستطرًا حديثه بهدوء حذر:

-أعذريني إن كنت هاتطفل عليك

ردت مبتسمة:

-أنا فاضية دلوقتي يا أستاذ "بركات"

تردد في كيفية مفتحها فيما جاء إليه، أكمل حديثه قائلاً بحيرة ظاهرة في نبرته:

-أزي أحوالك الأول

نظرت له بتعني متفرسة تعابير الغامضة، فحنما وجوده هنا والآن وراءه سببًا قويًا، ردت عليه بنفس الهدوء دون أن تخفي ابتسامتها عن ثغرها:

-الحمد لله في نعمة

أسند "بركات" مرفقه على الطاولة مضيئًا بجديّة تلاءمت مع نظراته نحوها:

عشان مطولش عليك أنا هاخش في الموضوع على طول

يا ريت

سحب نفسًا عميقًا قبل أن يحرره بعد ثوانٍ ليقول:

-ابني "كريم" الله يرحمه كان كاتب كتابه قبل ما يسافر السعودية على بنت...

ردت مقاطعة جملته قبل أن يكملها:

-ايوه "فرح"، أنا عارفة الحكاية كلها

تهند مضيئاً بارتياح:

حبيب الحمد لله، كده إتي و فرتي عليا كثير

نظرت له بغرابة بسبب عدم قدرتها على سبر أغوار عقله، سألته من جديد بجدية أكبر:

بس برضوه مش فاهمة، إيه علاقتي بالموضوع ده؟

أجابها بتمهلٍ مدروس:

أنا سألت وعرفت حاجة كده وكنت جاي قاصدك في خدمة، بس يا أتمنى ماتكسفينيش

هزت كتفها مؤكدة وهي تعقد كفيها معاً:

لو في استطاعتي أكيد مش هتأخر

هز "بركات" رأسه بإيماءات خفيفة ومتابعة وهو يقول:

وده العشم برضوه

.....

مرت عدة أيام تلت فيها "فرح" الرعاية الطبية من حولها حتى استعادت عافيتها وأفاقت من حالة الهياج العصبي التي سيطرت عليها لتعود إلى اتزانها النفسي الطبيعي، ورغم ذلك وضعت تحت الملاحظة الشديدة بأوامر من طبيبها النفسي المعالج لها، في البداية رفضت التعامل معه معتقدة أنه يصنفها كالمجانين، لكن ليس الأمر هكذا هو يؤهلها نفسياً لتجاوز تلك العقبة وتقبل ما مرت به حتى تتمكن من تخطيه، ظل زوجها يتابع تطورات حالتها دون تدخل مباشر منه حتى سمح له الطبيب بزيارتها، ومع ذلك قام بتأجيل تلك الخطوة لبعض الوقت ليطمئن أولاً على تجاوزها مع غيره قبل أن يحدث

الصدام بينهما من جديد، خشي من ردة فعلها، وربما تدهور حالتها فيضيع ما حققته من تقدم ملحوظ مع الطبيب هباءً، استعان برفيقتها في العمل "إيلين" لتقوم بزيارتها، فجاءت الأخيرة وبصحبتها البعض من زملائها في الجريدة لرؤيتها، أسندت باقة الورد على طرف الفراش مرددة بحماس:

-ألف سلامة عليك

استقبلتهم "فرح" بترحاب ودود، فقد مر وقت ليس بالقليل على رؤية المقربين منها، ردت قائلة بسعادة انعكست في نظراتها:

-ميرسي يا جماعة على تعبك

ردت "إيلين" معاتبة بعبوس زائف:

على إيه يا بنتي، ده إتي بقيتي بطلة قومية، أيقونة لكل اللي في الجرنال اتسعت ابتسامتها قائلة وهي تجوب بأعينها على وجوههم التي تطالعها بنظرات بشوشة:

-شكراً ليكم

أضاف أحدهم قائلاً بجدية امتزجت مع نبرته المتحمسة:

-اجمدي بقي عشان ترجعي الشغل قريب

ردت "فرح" مبتسمة:

-إن شاء الله

تبادلت معهم حواراً شيقاً عرفت فيه آخر المستجدات على الساحة الإخبارية فتضاعفت رغبتها للعودة من جديد للعمل مستنكرة إضاعة المزيد من الوقت ملازمة للفراش، قطع حديثهم المسترسل دقائق "يزيد" على باب الغرفة وهو يطل برأسه قائلاً:

صباح الخير

نظرت له بوجه خالٍ من التعبيرات رغم الحدة التي ظهرت في نظراتها نحوه، ردت عليه "إيلين" ببسمة ودودة وهي تشير بيدها:

-اتفضل يا سيادة المقدم

سار بخطوات ثابتة مقترباً من فراشها مسلطاً أنظاره الحنون عليها، اعتلى ثغره بسمة صافية وهو يسألها:

-أخبارك إيه النهاردة؟

أجابته باقتضاب وهي تشيح بوجهها بعيداً عنه:

-تمام

علقت "إيلين" حقيبتها على كتفها قائلة:

طيب احنا هنستأذن يا فرح ونجيك وقت ثاني

زوت ما بين حاجبها مرددة باستغراب:

-إنتو ملحقنوش، خليكوا شوية

مسحت رفيقتها على كتفها برفق قائلة بنبرة مجاملة:

هنجيك ثاني لما ترجعي بيتك بالسلامة

يُست من إقناعها هي ورفاق العمل بالبقاء لبعض الوقت مرددة باستسلام:

-او كي

اصطحبهم "يزيد" إلى الخارج شاكرًا إياهم على القُدوم ودعم زوجته، ثم عاد إليها ليجلس على طرف الفراش مقلّصًا المسافات بينهم، أبعدت وجهها عن أعينه المحدقة بها ثم كتفت

ساعديها أمام صدرها متعمدة تجاهله، تفرس في تعبيراتها المشدودة بوضوح للحظات
في صمت قبل أن يسألها بلطف قاصداً كسر ذلك الحاجز الجليدي بينهما:

-ازيك يا حبيتي

زمت شفقتها مرددة بعبوس قوي:

-كويسة

لم يتحمل جفائها معه فمد يدها نحو مرفقها ليحله عن الآخر، قاومته لكنها لم تصمد
كثيراً، قبض على كفها بيده مقرباً إياه منه وهو يعتذر منها:

-"فرح"، أنا أسف

لم تجبه واكتفت بمحاولات بائسة لتحرير يدها من قبضته المحكمة على أصابعها، نهض
ليقترب أكثر منها متعمداً الالتصاق بها، حاولت الابتعاد عنه لكنه لم يمهلهما الفرصة،
حاوطها من خصرها فشعر بتلك الرعشة الخفيفة تجتاحها، ابتسم لتأثرها به، أبعد
"يزيد" بيده تلك الخصلات التي تجببه عن رؤية وجهها هامساً لها:

-أنا مقدرش أبعد عنك يا فراشتي

نفخت بصوت مسموع وهي ترد بتجهم:

-وأنا تعبانة وعاوزة ارتاح

رد بجدية مؤكداً رفضه لنبذها الغير مبرر له:

-مش هاتعرفي تهربي مني

أخفض أعينه ليحرق في ندوبها المغطاة بالشاش الطبي، انقبض صدره متألماً لرؤيته
لذلك، فأكل بحذر:

-أنا خدت عنوان أشطر دكتور تجميل في مصر كلها عشان يعالجك

ذكرتها كلماته بما مرت به من محاولة الاغتيال التي كادت تؤدي بحياتها وكيف وقف في صف تلك الوضيعة القاتلة، نفضت تلك الذكرى الأليمة عن عقلها متسائلة بنفاذ صبر وهي تدير رأسها في اتجاهه:

-يزيد، إنت عاوز ايه؟

طالعها مطولاً بنظراته العاشقة لها، كم ودَّ أن يعود بعقارب الساعة للوراء ليفرض من البداية توريطها في أمر يفوق قدرتها فقط من أجل سلامتها، تنهد بعمق ثم مد يده ليتلمس وجنتها، أبعدت وجهها عن أصابعه فانزعج من نفورها منه، رد بجدة طفيفة مستنكراً قسوتها معه:

صدقيني يا فرح أنا مكوتنش أعرف إن كل ده هايحصل
انفعلت قاتلة وهي تتملص من حصاره:

-وأهو حصل

ثم وضعت يدها على الشاش الطبي لتنزعه بعصبية وهي تتابع بنبرتها المتشنجة:
-ودي النتيجة، شايفها؟

برزت ندوبها من أسفله أمام أعينه، احتدت نظراته واحتقن وجهه مما رآه، قبض على أصابع يدها ليبعدها عنهم قائلاً:

هترجعي زي الأول وأحسن كمان

تجرت الدمعات في عينيها رغم تلاؤهما بقوة، لم ترغب في البكاء أمامه والظهور بالضعف من جديد لتحصل على شفقتة، تناست حبه الصدوق لها معتقدة في نفسها أن ما يفعله معها بدافع الشعور بالذنب وتأنيب الضمير، وصله إحساسها نحوه، ولكنه لم ييأس من المحاولة بجدية مرة أخرى، هي تستحق بذل المزيد من الجهد والعناء

لاستعادة ثقته، وضع إصبعيه أسفل طرف ذقنها ليدير وجهها برفق نحوه، رمقها بنظرات تذيب بجانها الزائد أقى الثلوج، شدد من ذراعه المحاوط لخصرها ليضمها إليه أكثر، شهقت بتوتر مما يفعله، واستندت بكفيها على صدره لتبعده عنها، قرب رأسه منها لتشعر بأنفاسه الحارة وهو يقول بصوت خفيض:

حبيبتي، أنا عارف إن احنا مرينا بفترة صعبة وأنا على أد ما بأقدر بأحاول أخرجك من ده كله، بس غصب عني، وأنا قدامك أهو بأوعدك من تاني إن اللي جاي هايكون أحسن

قاومت حصاره قائلة بجمود:

-أنا عاوزة أخرج من هنا

نظر لها متعجبًا ذلك البرود الذي يعتريها حاليًا، لم يرغب في الضغط عليها أكثر من ذلك، فتنهد قائلاً باستياء وهو يحركها:

-تمام، الدكتور يدي الأوكيه وعلى طول هاخرجك ونرجع بيتنا

نهض من جوارها واضعًا يديه في جيبي بنطاله، رمقته بنظرات قاسية وهي تصح له مقصده:

-لا، أنا هارجع على بيتي

اغتاظ "يزيد" من تكرارها لتلك الجملة المستفزة للأعصاب، والتي دومًا تشعره بعدم اكترائها بزيجتها، وكأن الزواج لعبة لا قدسية له، ضبط انفعالاته بصعوبة كي لا ينفجر فيها فيفسد كل روابط الود واللفظ، امتنع وجهه وهو يقول بجدية صارمة:

-"فرح"، إنتي مش هتخرجي من هنا إلا على بيتك، اللي هو عندي، وده آخر الكلام!

اعتضت قائلة بإصرار:

لأ، أنا.....

قاطعها بقوة تعكس شخصيته المتعصبة ومشيرًا بسبابته نحوها:

مش هاقبل نقاش في حاجة زي دي، انسي!

احتقنت نظراتها نحوه فواصل حديثه بنفس النبرة الجادة وقد برزت عروقه من جانب عنقه:

مش كنتي عاوزة ترتاحي، نامي يا "فرح"!

دنا منها متابعا بتحذير:

ويا ريت تستعيزي بالله من الشيطان اللي راكب دماغك ده

كانت على وشك فتح فمها لترد لكنها انتفضت في جلستها الغير مسترخية حينما رآته يقبض على فكها، اتسعت حدقتها بتوتر متوقعة لكمة شرسة منه موجهة لها، وضعت يديها على ذراعه القوي آملة أن تتمكن من إزاحته، ارتفع حاجباها مع اقترابه منها، خابت توقعاتها باحتمالية نشوب شجار بينهما، بل وصدمت أكثر حينما أحنى رأسه عليها ليقبل شفيتها مانحا إياها عاطفة قوية اختزنها بداخله لفترة ليست بالقليلة، انقطعت أنفاسها للحظات مستشعرة ما قدمه لها باستفاضة حفزت حواسها وأججت مشاعرها، ابتعد عنها مبتسما بغرور واثق، لهثت وهي تطالعه بتلك الأعين المدهوشة، غمز له بطرف عينه وهو يربت على وجنتها برفق، تراجع خطوة للخلف، ثم لوح لها مودعا إياها كما لو كان يودع أحد قادته العسكريين قائلا بثقة أريكتها:

سلام يا مدام "يزيد جودة"

اتسعت ابتسامته أكثر وهو يوليها ظهره ليسرع بعدها في خطاه إلى خارج الغرفة، لم تبعد أعينها المصدومة عنه وهي تراقبه مرددة لنفسها بعدم تصديق:

هو كده طبيعي!؟

.....

الفصل الثالث والعشرون

وعلى عكس ما طلبته منه، فضلت البقاء بالمشفى لبضعة أيام مدعية إرهابها، لم يعترض عليها "يزيد" رغم عدم حاجتها للتواجد أكثر من هذا، لكن ربما في ذلك فرصة طيبة لتصرف عن ذهنها أي أفكار خرقاء، عاد إلى غرفتها ليجدها غافلة، دنا من فراشها ليلقي عليها نظرة طويلة متأملة، مسح على وجتها بنعومة ورفق هامسًا لها بعتاب:

-بلاش تتعيني معاكي وتضيعي كل حاجة!

حرك إيهامه نحو شفيتها يتلمسها وهو يضيف:

-أنا بأحبك وإنتي كمان بتحبيني، بلاش تنسي ده!

رمقها بنظرة أخرى مودعة قبل أن يتركها وينصرف، فتحت "فرح" جفניה دون أن تحرك ساكنًا رافضة الانسياق وراء مشاعره الحميمة التي تذيب أقوى الحصون، انتظرت لبعض الوقت حتى نهضت عن الفراش لتتوجه بعدها إلى الطبيب المتابع لها لتطلب منه تصريحًا بالذهاب، ورغم تعجبه من طلبها المناقض لما رغبت فيه مسبقًا إلا أنه لم يعترض، شعرت بالارتياح لقرب عودتها إلى منزلها القديم، أخفت عن "يزيد" موعد خروجها عمدًا لتتمكن من الذهاب دون أن يعوق طريقها أو يمنعها، كانت بحاجة للتفكير فيما ستفعله لاحقًا بعد ما مرت به ودون وجود أي ضغوطات خارجية، وربما في ابتعادها فرصة مثالية لرؤية الأمور من منظور مختلف، اهتز يقينها بأن زيجتهما قائمة على الحب ولا شيء غيره، استعادت في ذاكرتها مواقفها مؤخرًا، وفي أغلبها كانت تنشب مصادمات حادة بينهما تنتهي باستدراجها إلى أحضانه ليحصل على متعة جسدية معها، ربما كانت تستحقها لكنها بغضت أن يكون تفكيره نحوها منحصراً في تلك المسألة فقط، أغضبته تلك الفكرة كثيرًا وعززت رغبتها في الابتعاد عنه كي لا تكون تحت تأثيره.

لفت "فرح" حول عنقها وشاحًا حريريًا لتغطي به ذلك الشاش الطبي وكي لا تلفت الأنظار إليه، جمعت ما تبقى من ثيابها الموضوعة بالخزانة الصغيرة الملحقة بغرفتها في حقيبتها لتنتهي بعد ذلك من غلقها، حملتها بيدها متجهة نحو باب الغرفة لتجده مرابطًا بالخارج، لم يقاطع خلوتها واكتفى بانتظارها بالخارج، وما إن رأيته حتى شهقت مصدومة، لم تأت الرياح معها كما تشتهي السفن، وباءت محاولاتها بالتملص منه بالفشل الذريع، ارتسمت علامات الاندهاش على تعبيراتها وهي تسأله بحدة:

-إنت بتعمل إيه هنا؟

أجابها ببرود يليق به وهو يعتدل في وقفته:

مستنيكي

سألته بنفس النبرة المصدومة:

-إنت مامشتش؟

-لا، كنت شاكك إنك ناوية على حاجة!

رمشت بعينها بتوتر وحاولت إخفاء ارتباكها أمامه وهي ترد محتجة:

-أنا أقدر أعمل آ.....

قاطعها وهو ينحني قليلاً نحوها ليجذب من يدها حقيبتها قائلاً بصرامة:

-يالاً بينا، بيتك مستنيكي

انتنفضت من جذبه لحقيبتها عنوة منها، عجزت عن منعه فاستشاطت نظراتها غضباً من تحكمه بها واتخاذها لقرارات فردية بالنيابة عنها، هتفت معترضة بشراسة:

-أنا مش هاروح معاك في حته، هو أنا ملياش رأي؟!

تحرك "يزيد" خطوة نحوها لتتلاشى المسافات تقريباً إلا من بضعة سنتيمترات معدودة على أصابع اليد، توترت من اقترابه المفاجئ منها وتراجعت عفويًا للخلف معتقدة أن لديها فرصة ثمينة للهرب منه قبل أن يحاصرها، تبخر ذلك الأمل البائس حينما وجدت ظهرها يلتصق بالحائط، تضاعف ارتباكها كثيراً، والتفت برأسه نحوه تنظر له بأعين قلقة، رأت في حدقتيه نظرات متحدية ومخيفة في آن واحد، ازدردت ريقها تحذره بقوة زائفة رغم اهتزاز نبرتها بصورة ملحوظة متوهمة في نفسها أنها لديها شجاعة لحظية لمواجهته:

أنا عاززة أكون لوح....

ابتلعت باقي جملتها في جوفها شاهقة بخوفٍ حينما رآته يرفع ذراعه الآخر المتحرر للأعلى
ليسنده على الحائط ليزيد من حصاره لها، مال برأسه نحوها لتشعر بأنفاسه تضرب
وجنتها، حدقت مباشرة في عينيه المقتربتين منها بصورة مهلكة، رآته وهو يشير لها
بجانبه سائلاً إياها بهدوءٍ بارد يحمل الثقة وقد اشتدت تعاير وجهه صلابة:

تحبي تمشي على رجلك معايا ولا أشيلك على كتفي؟

أكتسى وجهها بجمرة جليلة فتابع دون أكثر:

مش هاتفرق كثير بالنسبالي!

اتسعت عيناها مصدومة من جرأته الوقحة والتي ربما تسبب لها الإحراج أمام ذلك
التواجد الغفير من الأطباء والمرضى والممرضين، زادت حمرة بشرتها مع نظراته الغير
مريحة بالمرّة، استأنف حديثه مهدداً:

لحد دلوقت أنا بتكلم بالعقل، لكن إنتي عرفاني كويس، لما بتطلع حاجة في دماغي
بأعملها، فبلاش تختبري صبري

تحدثه بصوت خفيض متشنج:

إنت متقدرش تعمل

أوقفها عن الاسترسال في حديثها مقاطعاً بتهديد مخيف دون أن يرف له جفن:

تحبي تشوفي؟

شعرت بجفاف كبير يحتاج حلقتها وهي تقرأ ما تخفيه أعينه من أمور تفهمها جيداً، حرك
"يزيد" يده ليلمس بأنامله جانب وجهها متابِعاً بهمسٍ خطير:

إنتي مرات المقدم "يزيد جودة"، وأنا مش أي حد، ماتنسيش ده يا... مدام!

ارتجفت من لمساته الحذرة وشعرت بتلك الرعشة الرهيبة تتسلل إلى خلاياها، استجمعت شجاعتها لتبدو صلبة أمامه، وقوية الشكيمة، ضغطت على شفثيها بقوة كاتمة في نفسها رغبته في الثورة أمام وجهه وحتى دفعه لتفر من أمامه، اضطرت أن ترضخ له دون أن تجرؤ حتى على التفوه بكلمة حتى لا ينفذ تهديده، فقد أوحيت نظراته نحوها بجدية ما ينتوي فعله، التوى ثغر "يزيد" بابتسامة مغتررة متأكدًا من نجاحه في فرض سطوته عليها، أخفض ذراعه منتظرًا تأبطها في يده، جمدت أنظارها على يده الممدودة لها، هتف لها ليخرجها من تأملها الشارد فيه:

يا لا ولا عندك رأي ثاني؟

لم تستطع الرفض ووضعتها في راحته مجبرة لتجد أصابعه تقبض بقوة عليها وكأنه تصرخ ضمنى منه باستبعاد ما قد يفرق بينهما، سار الاثنان سويًا إلى خارج المشفى ليجدا "آدم" في انتظارهما وبصحبه زوجته، رmqتهما "شيء" بنظرات متفرسة، لكن ما داعب فضولها هي تلك الحالة الواجمة المسيطرة على وجه "فرح"، فقد بدت أكثر انزعاجًا وضيقًا، حتى في مشيتها إلى جوار "يزيد"، هتفت بنبرة عالية وهي تلوح بيدها:

حمدلله على السلامة، احنا مستنيكم من بدري

رد "يزيد" ممتنًا وهو يشدد من قبضته المسكة على يد زوجته قائلاً:

تسلموا على تعبكم، معلش أخرناكم

ابتسم "آدم" قائلاً بلطف:

ولا يهمك

اقترب أكثر منه متابعًا وهو يمد ذراعه ليلتقط منه الحقيبة:

عنك، أنا هاحطها في الشنطة

تسلم

قالها "يزيد" وهو يستدير برأسه نحو فرح ليكمل بصيغة آمرة:

-اركبي يا "فرح"

رمقته بنظرات حائرة لم تجاهد حتى في إخفائها، ظل العبوس متشكلاً على ملامحها وهي تستقر في المقعد الخلفي إلى جوار "شيء" التي لم تتوقف عن الثرثرة المتحمسة وعما قد تكون افتقدته أثناء رقتها بالمشفى، لم تبال "فرح" بحديثها الفراغ فقد كان بالها مشغولاً بالتفكير فيما يمكن أن يقدم عليه "يزيد" إن استمرت هي معه على حالة الرفض.

.....

لاحقاً حينما وصلت السيارة إلى البناية المتواجد بها منزله أصرت "فرح" على صعود "آدم" وزوجته للأعلى متعلقة برغبتها في القيام بواجب الضيافة معهما لتمهل نفسها الفرصة للاستعداد ذهنياً وبدنياً للبقاء بمفردها معه بعد أن رسخت في نفسها رغبة قوية في الانفصال عنه، وافقها "يزيد" الرأي قائلاً:

-ما يصحش تيجوا لحد هنا وما تطلعوش

رد "آدم" مبتسماً:

-يا باشا نخليها وقت ثاني، إنتو محتاجين ترتاحوا

أضافت "شيء" هي الأخرى بحماس ظاهر في نبرتها وهي تناول "فرح" علبة مغلفة بغطاء بلاستيكي:

-شدة وتزول بأمر الله، أنا قولت بمناسبة رجوعكم البيت أعملكم حاجة حلوة كده يا رب تعجبكم

رد عليها "آدم" مادحاً:

طبعًا الشيف "شيماء" أجدع من العسكري اللي ماسك الميس، مع إنه ساعات
بيفلت منها حاجات بس

رفعت حاجبها محذرة وقد امتقع وجهها من طريقته الساخرة منها:
- احنا هنهزر؟

تراجع سريعًا عن مزاحه معها قبل أن توبخه مرددًا بتخوفٍ مصطنع:
- لا يا فندم، هو أنا أقدر!
رد "يزيد" بامتنان:

- متشكرين أوي يا جماعة، نردهالكم في الأفراح
هز "آدم" رأسه قائلاً:
- ياذن الله و....

قاطع حديثها صوت رنين هاتف "يزيد" المحمول، دس الأخير يده في جيبه قائلاً بجدية:
- ثواني أرد على التليفون

ضجرت "فرح" من بقائها هكذا بالسيارة، لو كان الأمر بيدها لما عادت إلى منزله حتى
ترتب أمور حياتها وتستقر على رأي أخير حاسم، للحظة أربكتها فكرة تواجدهما معًا
بمفردهما ليحاصرها من جديد بطريقته الماكرة ويسحبها إلى بحور عشقه فتستسلم له
وتخضع لرغباته الوقتية، فكرت في فكرة متهورة، ربما ستمنحها الفرصة للهروب منه دون
أن يتوقع ذلك منها، ترجلت من السيارة متتهدة بإرهاق زائف، راقبته وهو يتحدث
قائلاً:

- ازيك يا مرات عمي، أنا الحمد لله بخير، الجماعة عاملين ايه؟

تلفتت حولها لتدرس المكان بنظرات شمولية خاطفة لتحدد وجهتها، انتهت لصوته الهاتف بحمايس:

سجد، ألف مبروك، أكيد هاحاول أرتب أموري وأجيلكم مع فرح مراتي
انزعجت أكثر واحتدت نظراتها وهي تراه يتخذ قرارًا ما أولاً دون الرجوع إليها أو حتى
استشارتها، شحنت قواها الغاضبة بداخلها بال طاقة والقوة لتنفذ ما عقدت العزم
على فعله، وعند اللحظة المناسبة، تراجعت "فرح" خطوة للخلف مبتعدة عن السيارة
لتتمكن من الركض على الرصيف، تفاجأ "آدم" وهو يطالع المرأة الأمامية للسيارة من
ركضها، فتساءل مندهشًا وهو يزوي ما بين حاجبيه مدققًا النظر في انعكاس صورتها:
هي "فرح" بتجري ليه؟

هتفت "شيء" هي الأخرى مذهولة من تصرفها المريب:
-"فرح"!

تصلبت حواس "يزيد" على الفور، وشخصت أنظاره وهو يدير رأسه في وجه رفيقه
ليحقق فيه مصدومًا مذعورًا، لم يستغرقه الأمر أقل من ثانية ليستوعب ما فعلته،
ترجل على الفور من السيارة ليركض خلفها منهيًا المكالمة فجأة وهو يقول:
ياذن الله، سلام دلوقتي!

صاح بعدها بصوتٍ جهوري وهو يوجه أنظاره نحوها:
-"فرح"

توقف عن الركض ملتفتًا برأسه نحو سيارة رفيقه ليأمره بقوة:
لف بالعربية وتعالى ورايا يا "آدم"

لم يكن أمام الأخير بداً من الاعتراض أو حتى التساؤل عما يحدث بينهما، انصاع على الفور لأمره الصارم وأدار محرك السيارة ليلحق به.

.....

على الجانب الآخر، نجحت "فرح" في الركض بأقصى سرعتها مستغلة ارتدادها لحذاءها الرياضي الذي أفادها كثيراً في هذا الموقف، عبرت إلى الطريق المقابل غير عابئة بالسيارات التي تقطعه بسرعات متفاوتة، كانت أصوات الأبواق المتذمرة والأصوات المحتجة على طيشها والمختلطة ببعض السباب تصدح من حولها، لم تلق لهم بالاً واستمرت في ركضها، تخطت على قدر استطاعتها ما اعترض طريقها من عربات طعام متجولة، وكذلك المارة، وبعض المنتجات المعروضة على الأرصفة، لهتت بشدة فتوقفت للحظات لتلتقط أنفاسها، استندت بيدها على أقرب لوحة للإعلانات متلفتة حولها، رأتها من على بعد فشهمت مذعورة، أكملت ركضها الهارب منه وهي تحفز نفسها على المواصلة وعدم التراخي، شعرت بالام تجتاح قدميها وتبطئ من حركتها، هي لم تمارس العدو منذ فترة فسبب ذلك لها أوجاعاً سريعة، أتاها صوته الغاضب من خلفها يصرخ فيها:

- "فرح"!

ارتعدت أطرافها من اقترابه المحتوم، بالطبع لم يحتاج لبذل جهد مضاعف للحاق بها، فشخص عسكري مثله دوماً يمارس الرياضة، تعجب المارة من حالة الفر الدائرة نصب أعينهم ولم يتمكنوا من تفسيرها، اعتقد بعضهم أن هناك فيلماً يتم تصويره في الأجواء، وأن ما يدور هو مشهد مقتطع من ضمن الأحداث الخاصة به، لذلك لم يتدخلوا واكتفوا بالمشاهدة، بحثت "فرح" بعينها بهلع وهي تدير رأسها نحو الجانب عن مخرج لها، تحركت نحو الناصية الجانبية، وكان ذلك خطئها، تعثرت قدمها ولفت ساقها حول

الأخرى، انكفأت على وجهها متأوهة بصراخ متألم لتمنح "يزيد" ثوانٍ زائدة ليقترّب منها، عاودت النهوض مستعيدة طاقتها المستنفذة لتبدأ الركض من جديد، لكن تلك المرة كان زوجها قد بلغها مستغلاً خلو الطريق من معظم المارة، صرخ بانفعال:

-استني يا "فرح"!

اخترق صوته المتعصب آذانها فصرخت عفويًا وهي تجاهد للفرار منه قبل أن تطالها يده، رغمًا عنها تباطأت خطواتها بسبب الألم الذي يضرب قدميها، وكالعادة وصل إليها ملقيًا بثقل جسده المندفع نحوها عليها وهو يمد ذراعه في اتجاهها ليتمكن من طرحها أرضًا، كانت الصدمة قوية على كلاهما، لكنه تلقى الجزء الأكبر منها، صرخت "فرح" بألم حقيقي، اعتدل "يزيد" في رقدته ليقول لها بتعنيف:

-إنتي اتهبلي يا "فرح"؟ إيه أمور الجنان بتاعتك دي

ركلته في معدته مستخدمة ركبته ليتفاجأ من ردة فعلها، صاحت مستنجدة بمن حولها وهي تدفعه بذراعيها:

حد يلحقني!

اندهش من تصرفها، وأسرع بوضع يده على فمها يكتمها وهو يقول بغضب:

-إنتي بتعملي إيه؟

تلوت بكامل جسدها محاولة إزاحته بعيدًا عنها، لكنه كان كالجبل المرابط عليها، فاستهلك ما تبقى من قوتها، احتقنت نظرات "يزيد" على الأخير متابعًا بوعيد غاضب:

فكرك جنانك ده هايمعني أرجعك معايا؟ ماشي!

اعتدل في وقفته جاذبًا إياها من ذراعها الذي قبض عليه دون أن يحزر فهمًا، لفه حول خاصرتها ليتمكن من رفعها عن الأرضية الصلبة، التفت برأسه في كافة الاتجاهات باحثًا

عن سيارة "آدم"، لمحهُ الأخير من على بعد فاتجه إليه مستديرًا بحرفية عالية بها ليصفها أمامه، ترحل سريعًا من السيارة قائلًا بتوجس:

-اعقل يا "يزيد"، مافيش داعي للعصبية، أكيد هي...

قاطعه رفيقه بغلظة:

-ماتبررش حاجة

ضغط "آدم" على شفثيه ممرًا أنظاره عليها ببحر واضح، في حين نظرت لها "شيء" بذهول وهي تطل برأسها من النافذة، هتفت متسائلة بنبرة مصدومة ظلت مسيطرة عليها:

-عملتي كده ليه بس يا "فرح"؟

صاح بها "يزيد" بصوت أجش منفعل:

-اركبي جنب جوزك

أومأت برأسها معلنة عن امتثالها له، فأبى جدال معه في تلك اللحظة قد يؤدي لما لا يُحمد عقباه، ترحلت من السيارة وهي تنظر بأسف إلى "فرح" التي كانت تتشجع بجسدها وهي تقاوم "يزيد"، أحكم الأخير قبضته كليًا عليها، فتح الباب على مصراعيه ليتمكن من دفعها إلى داخل المقعد الخلفي بعصبية، صدر منها أنينًا مكتومًا، أبعد يده عن فمها لتواصل صراخها المهتاج، لم يهتم بلفتها للأنظار من حولهم، اندفع ورائها مقيدًا رسخها بقبضته، وحاوط بالأخرى عنقها ليحكم فمها من جديد.

أشار "آدم" إلى زوجته لتركب إلى جواره في المقعد الأمامي، ثم تحرك بالسيارة وسط استغراب المتواجدين بالمنطقة هامسًا لنفسه:

-زمان الناس مفكرانا عصبجية وخطافين حريم!

شعرت "فرح" بذراعي "يزيد" تعتصرها وهي واقعة تحت قوته الجسائية، استمعت إلى همسه لها:

حسابنا في البيت!

تذمرت من تهديده الصريح مدعية شجاعته وهي مستمرة في التلوي بجسدها، تابع هامسًا وهو يكر على أسنانه بغيط:

-بقي بتهري مني أنا!

استشعرت من نبرته المكتومة تلك توبيخًا حادًا منه إن لم يكن عقابًا عنيقًا، عاودت الكرة من جديد لتتخلص منه، هزها بقوة وهو يقول بصوته الخفيض:

-متحاوليش!

خبت مقاومتها اليائسة مع استمراره في تشديد قبضته عليها، حركت عينيها محاولة رؤية أين هم تحديدًا، لم تكن قد قطعت شوطًا بعيدًا عن البناية، فعاد بهم "آدم" إليها في دقائق معدودة، ترجل من السيارة أولاً ليحدث رفيقه بتحذير:

عشان خاطري أنا بلاش تضغط عليها و...

قاطعته زوجته مضيفة بتوسلٍ راج لتدعم موقفه:

-أكيد فرح مكاتش تقصد، دي وزه شيطان

وكانها يتحدثان لشخصٍ أت من عالم آخر، لم يصغ لهما وانشغل بسحب الوشاح من حول عنق "فرح" ليقيد معصمها به، جرها إلى خارج السيارة قابضًا على كتفها بذراع، وبالأخر مكهم لفمها، توجست "شيء" خيفة من طريقته الخشنة في التعامل مع زوجته، سلطت أنظارها عليه وهو يقول بقسوة:

متشكر لحد كده وكتر خيركم

اعترض "آدم" طريقه مردداً بارتباك:

يا يزيد استنى بس

جمد أعينه الملتببة عليه وهو يرد بنبرة أخافته:

ما تكلمش معايا في حاجة، سيب شنطة فرح معاك، هابقي أخذها بعدين

لم يجرؤ على إضافة المزيد، وقف في مكانه يطالعه وهو يجر "فرح" معه نحو الداخل،
لكزته "شيء" في كتفه قائلة بحنق:

إنت هاتسيه كده؟ جاز يتجن عليها ولا يموتها

رد باستياء وهو يلوح بيده:

-يعني عاوزاني أعمله ايه؟

صاحت مستنكرة بنبرة منفعة وقد تصلبت تعابير وجهها:

-تصرف، امنعه، هو احنا هانسيب الغلبانة دي معاه، جاز يتهور عليها ولا

قاطعها بامتعاض:

هو حر مع مراته

اغاضت من تلك الكلمة التي تبرر تصرفات الرجال العنيف مع زوجاتهم متحججين
بحقهم في تأديبهن إن ارتكبت خطأ ما، هدرت به بعصبية مبررة:

- "آدم"

سحبها من ذراعها نحو السيارة قائلاً بفتور:

ياللا بينا، وربنا يستر!

رفعت حاجبها للأعلى صارخة بضيق كبير:

-إنت برضوه هتمشي؟

هز رأسه بإيماءة صريحة وهو يرد بعبوس:

-أيوه

حركت "شيء" شفيتها لتتطرق لكنه ألجمها محذراً ومشيراً بسبابته:

-ماتقوليش حاجة، ماشي!

.....

لم يكن السير بالنسبة لها خياراً متاحاً فقد وصل بها إلى الطابق المتواجد به منزله محمولة على كتفه، تذرمت "فرح" من وقاحته ومن نظرات الجيران لطريقته البربرية في اقتيادها نحوه، ركلت بساقها في الهواء صائحة باحتجاج:

-نزلي بقي، فرجت الناس علينا!

دس المفتاح في القفل الخاص به متجاهلاً صياحها ليلج بها إلى الداخل، أوصده بإحكام خلفه ثم أنزلها عن كتفه لتقف على ساقها، تراجعت للخلف مبتعدة عنه كردة فعل طبيعية وهي ترمقه بنظرات تحمل مزيجاً من الخوف والغضب، ألقى بالمفاتيح على الطاولة كإشارة صريحة لتحديه لها بالاقتراب منهم وأخذهم، تعلق أنظارها بهم لكنها عادت التحديق في وجهه الصارم، ابتلعت ريقها هاتفة بتشنج:

-قولتلك مش عاوزة أرجع معاك!

اختنق صوتها واختلط مع عبارتها التي انهمرت دون سابق إنذار من طرفها، تابعت مضيفة:

ليه ماسبتنيش أروح بيتي؟ أنا مخنوقة من كل حاجة، مش قادرة خلاص تعبت من اللي أنا فيه!

تحرك صوبها دون أن ينبس بكلمة مما زاد من رجفتها، رأته وهو يمد يده نحوها فتوقعت أن يصفعها في لحظة مباغته كعقاب لها، أغمضت عينها بقوة لكنها شهقت حينما شعرت بقبضته تمسك برسغها المقيدتين وتجذبها منها نحوه، فتحت عينها لتنظر له من بين عبراتها، أمسك بفكها بقبضته مرددًا بعتاب:

ليه بتعذبينا احنا الاتنين يا فرح؟

ظلت دمعاتها تنساب بغزارة على وجنتيها لتبلل كفه، تهدد قائلاً بإحباط:

-اللي حصل كان مش بإيدي، وقولتلك إدينا فرصة نصلح اللي فات

أبعد يده ليحاوطها بذراعه ويضمها إليه، مسح على ظهرها برفق مطلقاً تهيدة مليئة بالكثير من صدره وهو يقول لها بصدق:

-أنا بأحبك يا "فرح"

دفنت رأسها في صدره تبكي بحرقة، هي في حالة تخبط تدفعها للتفكير بصورة مشوشة وبجنون في بعض الأحيان، انقبض قلبها بقوة وارتعشت أوصالها بتوتر رهيب حينما سمعته يقول لها بنبرة ذات مغزى:

-بس اللي عملتيه ده مش هايعدي على خير !!

.....

الفصل الرابع والعشرون (الجزء الأول)

في تلك المواقف تحديدًا، ادعاء الإغماء هو الأسلم لتنجو بنفسها من ردة فعله القاسية، نظرت "فرح" إلى "يزيد" الذي كان يرمقها بنظرات غامضة أجفلت بدنها مستشعرة خطورة مهلكة من ناحيته نحوها، عمدت إلى إجبار جسدها على التراخي والتثاقل لتبدو كما لو كانت على وشك فقدان وعيها، ترنحت بقوة وأغمضت عينيها بقوة، تمت في نفسها أن تنطلي عليه الخدعة ويصدق ذلك الأمر، وحدث ما تمنته، انتفض "يزيد" فزعًا في مكانه يسندها وهو يهتف بها بخوف:

- "فرح"! مالك يا حبيبتى؟ حصلك إيه بس!

وضع يده على وجنتها يربت عليها برفق هاتقًا بها:

مش هاعملك حاجة والله، بس ردي عليا!

قبض على فكها وهزه بقوة أكبر صارخًا بها بتوتر كبير:

- "فرح"، سمعاني!

جاهدت لتبدو مقنعة ولم تصدر صوتًا أو تظهر أي استجابة وهو يهز جسدها بالكامل عليها تتجاوب معه، جزع لسكونها المفاجئ، خشي من تدهور حالتها فانحنى ليحملها بين ذراعيه متجهًا بها إلى غرفة نومها بخطوات مهرولة، أسندها برفق على الفراش ثم حل وثاق معصمها، واندفع نحو التسيريحة ليبحث عن عطر ما يستخدمه في إفاقتها وهو يبرطم بكلمات غير مفهومة لكنها تضمنت بعض السباب، حبست "فرح" أنفاسها مترقبة خطواته التالية، لم تتبين ما يفعله بسبب إغماضها لعينيها، لكن حثها فضولها على اختلاس النظرات نحوه، رآته بنصف عين وهو يبعثر في محتويات التسيريحة، عاودت إغلاق جفنها قبل أن يراها مواصلة ادعاءها الزائف، جلس "يزيد" على طرف الفراش ونثر بعض العطر على راحة يده، ثم مرر ذراعه الآخر من خلف عنقها ليرفع رأسها إليه، قرب كفه من أنفها لتزكمه الرائحة القوية فتحت حواسها على الاستجابة، هتف قائلاً بقلق كبير:

حبيبتي، فوقي الله يكرمك، أنا بأهزر معاك

لم يجد منها أي ردة فعل فتضاعفت مخاوفه نحوها، أسند رأسها برفق على الوسادة لينهض بعدها من جوارها وهو يفكر في كيفية التصرف في موقف كهذا، وضع يديه على رأسه ضاغطًا عليها بقوة، بدا عاجزًا وهو يدور في الغرفة ذهابًا وإيابًا محاولًا ترتيب أفكاره، سلط أعينه نحوها يطالعها بنظراته المتوجسة لكنه لمح شيئًا ما أثار ريبته، توقف عن الحركة بعد أن اقترب منها وجمد أنظاره عليها للحظات يتفرس تعابير وجهها بدقة، لاحظ حركة جفنها العصبية وكذلك تشنج قليل في زاوية فمها، استشعر وجود خطب ما بها، فإن كانت فاقدة للوعي لم تكن لتضغط على شفيتها بتلك الصورة العصبية، كان سيدو على تعابيرها الارتخاء، خمن الأمر سريعًا، هي تلاعبه على

طريقتها، أرادت أن تفلت من عقابه الزائف لها بإقلاقه أكثر عليها، عبست ملامح وجهه لاستغلالها له، فكر بتسلية ومكر في الاستفادة من ذلك الموقف لصالحه، فهي تستحق أن يلاعبها هو الآخر بتكنيكيات محترفة، راودته أفكارًا تمنح بين اللهو والجموح، فأخفى بصعوبة تلك الابتسامة اللاهية التي تشكلت على ثغره.

جلس "يزيد" على طرف الفراش مدعيًا ضيقه من عدم تمكنه من التعامل مع حالته المريية، زفر مرددًا بامتعاض:

-مش عارف اللي حصلك ده من إيه

تهد مجددًا بصوت مسموع وهو يتابع حديثه:

حبيب أغيرلك هدموك الأول جايز تكون كاتمة على نفسك!

استمعت إلى كلماته بأذان صاغية وهي تبذل أقصى طاقاتها لتظل ساكنة، ارتجفت مع شعورها بلمس يده على بشرتها، أحست بأنامله تتحرك هبوطًا نحو عنقها بطريقة تغري الحواس فانتفض من نومتها المصطنعة لتتكشف على نفسها وهي تزحف بعيدًا عنه، هتفت بتوتر بعد أن فهمت مقصده العابث:

-متقربش مني

نهض من مكانه لكشف ساعديه أمام صدره، رمقها بنظرات مطولة غامضة وهو يسألها بجمود مقلق:

-يعني مش مغمي عليكى أهو؟

ضمت ركبتيها إلى صدرها ثم ردت مبررة تصرفها وهي تنظر له بنظرات مفزوعة:

-لا، أنا عملت كده عشان ماتمدش إيدك عليا وتضربني!

قست تعبيراته على الأخير مصدومًا مما تفوهت به، لم يتخيل أن تتصوره هكذا، هتف
غير مصدق وقد انزوى ما بين حاجبيه على الأخير
-أضربك؟

هز رأسها بإيماءة صريحة وهي تجيبه:

-أيوه، أنا مش هاستحمل إهانة منك، كفاية الي حصلي منك لحد دلوقتي
وضعت يدها عفويًا على عنقها المغطى بالشاش تتلمسه بجذر، احتدت نظراته
وتشنجت تعبيرات وجهه، كور "يزيد" قبضته ضاغطًا على أصابعه بكل قوة، بدت
وسيلته المتاحة حاليًا للتنفيس عن ضيقه الزائد بداخله، هي تظن فيه شخصًا همجيًا
يهوى الاعتداء على النساء ليثبت رجولة زائفة، هو لم يكن أبدًا بمثل تلك التصرفات
المشينة، حتى مع طليقته السابقة لم يتناول عليها إلا مرة واحدة حينما أهانته وكان
بالصفع، لم يتجاوز الأمر ذلك ولم يصل أبدًا إلى الضرب الوحشي أو العنيف، تنفس
بعمق لعدة مرات بعد أن ساد صمتًا حذرًا بينهما، ف "فرح" ظلت تنظر إليه بتوجس
تفكر فيما سيفعله معها، دار في خلدها الكثير من الهواجس تنتهي جميعها بالقتل، جمد
أنظاره عليها وهو يشير بسبابته متابعًا بهدوء رغم حدة نبرته:

-ماشى، مانكرش إني عصبي شوية

استنكرت جملته فهمست بارتباك لتصيح له مفهوم الانفعال لديه وهي ترمش بعينها:

-شوية بس؟

ضغط على شفثيه قائلًا بامتعاض:

-شويتين

نظرت له بجدة وهو يبرر أغلب تصرفاته في إدارة مواقفها معًا بأنها تعود إلى عصبية طفيفة تظهر على السطح في وقتٍ خاطئ، هتفت مستنكرة وهي تعتدل في جلستها:
-لا كثير أوي، إنت مش بتشوف نفسك بتبقى عامل ازاي، كله عافية وبالذراع سحب نفسًا مطولاً لفظه على مهل وهو يقول:

طيب معاكي حق في ده!

جلس على طرف الفراش متابعًا:

-جائز طبيعة شغلي ماثرة عليا، بس موصلش بيا الحال أضرب واحدة!
ثبتت أعينها المتوترة عليه، التقت بحدقتيه اللاتين تبثان أشواقًا وحبًا شغوفًا وهو يضيف:

-وخصوصًا لو مراتي وبأحبها!

ارتبكت من كلماته التي تتغلغل في أعماقها وتصيب حواسها بالانهيار، هي فقط بحاجة للتركيز على ما ستفعله لاحقًا، بحاجة لاستعادة ثقته من جديد، بحاجة لإعادة بناء نفسها والخروج من بوتقة الأحزان التي تجذبها دومًا إلى أعماقها فتظل حبيسة ذكرياتها الموجعة، لمعت عيناها بعبرات قوية، مسحهم قبل أن يتكاثروا في مقلتيها لتقول بنبرة مختنقة:

-يزيد أنا تعبانة من جوايا، محدش قادر يفهمني ولا يحس باللي فيا، أنا عاوزة أكون لوحدي، محدش يضغط عليا ولا يقولي أعمل ايه ومعملش إيه
أزعجه أن تفكر في ذلك فقط، ألا تمنحه الفرصة ليكون إلى جوارها يدعمها، رد باستنكار شديد:

-بس إنتي مش عايشة لوحديك، ليكي بيت وزوج!

نكست رأسها باستياء جلي، لن يفهم أبدًا ما تريده، لكن تصلب جسدها حينما أكمل
بابتسامة صغيرة:

-وجايز ربنا يكرمنا بطفل يملئ حياتنا و....

قاطعته مرددة بنبرة مصدومة وقد اتسعت حدقتها برعب:

طفل! ودلوقتي؟!!

أوماً برأسه مؤكداً:

طبعًا، مش احنا متجوزين

ردت باحتجاج جلي أصاب في نفسه الريبة:

-بس أنا مش مستعدية للموضوع ده خالص!

شعر باقتباضة عنيفة تعصر قلبه بقوة، فكلماتها -رغم عفويتها وتردها المبرر- ذكرت به
"هايدي" ورفضها التام للحمل والإنجاب، تزام في عقله ذكريات متداخلة من تلك
المشادات الحامية التي نشبت بينهما فأنهت زيجتهما بنهاية مأساوية، سيطر على أعصابه
بمجهود مضاعف كي لا يظهر تأثيره بما قالت، رد باقتضاب وقد أظلمت نظراته:

-مش هانكلم فيه!

لم تشعر بما يختلج صدره الآن من مشاعر موجعة، ردت بتوسلي:

-يزيد افهمني، بلاش تضغط عليا!

رفع وجهه لينظر نحوها بجمود جليدي مقلق، ابتلعت ريقها متابعة:

-أديني وقتي ومساحة أحس فيها إني مش مضغوطة من حد، أو إني بأتوجه لحاجة
معينة

سألها مستنكراً إصرارها على الابتعاد عنه:

حتى أنا؟

هزت رأسها بإيماءة خفيفة مترددة وهي تجيبه:

-أيوه، حتى إنت كمان!

قست نظراته على الأخير من جملتها الصادمة، وما زاد الطين بلة عندما همست بتوتر:

-أنا ساعات بأخاف منك!

هدر منفعلًا:

تخافي مني؟

بدا كما لو كان يكتشفها لأول مرة، يتعرف عليها من جديد، ربما تلك هي المصارحة الأولى الحقيقية بينهما بعيدًا عن تأثيرات الحب والمشاعر والعاطفة، تهتدت مكلمة حديثها بنبرة مهتزة:

-أيوه، إنت بتحسسنني إني لو غلطت هت...

بترت عبارتها بخوف واضح عليها، نظر لها دون أن يطرف وهو يأمرها:

قولي

انفجرت فيه صارخة من أسلوبه الأمر الذي يشعرها في أغلب الأحيان كما لو كانت أحد جنوده المجبرين على الانصياع لأوامره الصارمة وإلا تلقوا جزاءً وخيمًا:

-هتوتني، هتنتقم مني، هتجبسنني، معرفش هاتعمل ايه بالضبط!

تأملها مدهوشًا انفعالها، كان على وشك الاقتراب منها لتهديتها لكنها أوقفته بإشارة من كف يدها قائلة:

متقربش!

تضاعفت رجفتها وهي تملّي عليها ما قد يذيقها إياه من ألوان العذاب إن خالفته، فغر شفتاه مدهوشًا مما تقول، لم يكن ليجرؤ على فعل أيّا من ذلك، اعتصر الألم قلبه وهو يقول بأسف:

- "فرح" أنا مقدرش أعمل كده، مين خلاكي تفكري في ده؟

بكت دون الحاجة للتبرير، كانت تحتاج لذلك لتشعر بالارتياح وبأنها أخرجت من صدرها ثقلًا يجثو عليه ويصيبها بالتعب، امتص غضبها قائلًا برومانسية عاشقة:

- أنا بأغير عليك وبأحبك، مش إتي بتحبيني ولا خلاص الحب ده انتهى وكان وهم؟
عاد من جديد لتلك النبذة التي تشعها بتأنيب الضمير والضييق، هي تبادل مشاعر الحب لكنها بحاجة لفسحة من الوقت لتقرر بنفسها ماذا تريد، توصلته ألا يضغط عليها فهمست له برجاء:

- يزيد، من فضلك

سيطر عليه الإحباط من صدها له، فرك وجهه بيده مرددًا بتجهم:

حبيب، هاعملك اللي إتي عاوزاه، وهاسيبك على راحتك

لم تصدق أذنيها فنظرت له بأعينها الباكية وهي تسأله:

بجد؟

تفاجأ من تلك الحماسة العجيبة التي انعكست على تعبيراتها الحزينة، هي حقًا في أمس الحاجة لذلك، التوى ثغره بابتسامة باهتة وهو يضيف مؤكدًا:

-ايوه، حتى ممكن نستغل دُخلة بنت عمي وتغيري جو

زوت ما بين حاجبها مرددة بحيرة وهي تكفكف عبراتها:

مش فهماك

تابع موضحًا:

مرات عمي الكبير اتصلت بيا ساعة ما كنتي بتحاولي تهري مني تعزمنا على دخلة
بنتها

نظرت له بحيرة جلية وهي تسأله مستفهمة:

حطب وأنا مالي؟

رد مبتسمًا:

مش إتي مراقي ولازم تعرفي كل جديد، أظن ده الطبيعي

أومات برأسها قائلة بابتسامة صغيرة مصطنعة:

أها، مبروك

الله يبارك فيكي

تابع متسائلة بفضول:

بس ده علاقته إيه بيا؟

أجابها بزفير مطول:

على حسب عوايدنا مش هالينفع نبارك من بعيد لبعيد

-يعني إيه؟

أقصد يعني لازم هنسافر يومين الصعيد

ارتفع حاجباها للأعلى مرددة بصدمة:

الصعيد؟!

هز رأسه بالإيجاب وهو يقول:

-ايوه، فرصة تشوفي مكان جديد وتبعدي عن كل اللي هنا

عبست قسماتها متممة بحذر:

-بس أنا مش عاوزة أسافر

حبست أنفاسها مترقبة ردة فعله، نظر لها "يزيد" بوجه خالي من التعبيرات متسائلاً
بامتعاض:

-ليه طيب؟

-مش حابة أخلط بحد ولا.....

قاطعها بهدوء جاد وهو يشير بيده:

-بصي يا "فرح"، عشان مانضيعش وقت كثير في رغي على الفاضي احنا هنسافر،
وده إجباري مش اختياري!

اغتاضت من استمراره في امتهان ذلك الأسلوب التسلطي معها، صاحت بجدة:

-برضوه بتاخذ قرار من غير ما تخليني.....

قاطعها مجدداً بجدية أشد:

-ده أحسن لينا

ردت مصححة:

-ليك إنت مش أنا

بدت من تعبيراتها المزعوجة أنها رافضة للأمر، عمد سريعاً لتغيير أسلوبه للين، ابتسم

لها بصفاء وهو يقول مازحاً:

- "فروحة" يا حبيتي، أنا هاسييك المساحة اللي إتني عاوزاها هناك، إن شاء الله
ترحمي في البلد كلها

لوت ثغرها مرددة بتهكم:

بس ده معناه إني هافضل تحت عينك

حافظ على ابتسامته وهو يقول:

مش أوي يعني!

جلس على طرف الفراش متابعًا بحماسة شديدة:

- بأقولك ايه سييك من رغي الستات الفاضي ده ووجع الدماغ، واعمليتنا أكل بإيدك،
نفسى أدوق طعمه منك

عقدت ساعديها معًا وهي ترد بعبوس:

ما بعرفش أطبخ

لوح لها بيده قائلاً بنبرة غير مبالية:

يا ستي عكي أي حاجة، أنا راضي

استشعرت سخرية واضحة في نبرته فصاحت تعنفه:

- بتتريق؟

غمز لها مؤكداً بمزاح:

هو أنا بتاع كده، وبعدين هو حد يكره إنه ياكل من إيد مراته، إلا إن كانت هتسممه!

التوى ثغرها بابتسامة متحدية وهي ترد:

- ماشي، بس مترجعش تقول بطني وجعتني

هتف مهلاً لتجاوبها معه:

-وماله، هندية أنتينال!

.....

وقفت "فرح" حائرة في منتصف المطبخ تفكر فيما ستعده له، لم يعطها أي خيارات محددة بل ترك لها الحرية لتقرر ما تشاء، اتجهت إلى البلكونة الجانبية الصغيرة -والمعزولة عن باقي المنزل باب خشبي سميك - حيث اعتاد وضع ثمار البطاطس الجافة والبصل به، بالإضافة إلى بعض الأشياء القديمة والغير مستخدمة، أنارت المصباح لتتمكن من رؤية المحتويات بالداخل، سعلت قليلاً بفعل الأتربة العالقة، ألقت نظرة خاطفة سريعة على المناور الجانبية موزعة أنظارها بين النوافذ الصغيرة التي تطل على بلكوتها، أخفضت أعينها لتبحث عن ثمار البطاطس، التقطت واحدة بيدها وضعتها في الوعاء الذي بجوزتها، سحبت أخرى لكنها بدت غريبة من الجانب، قربتها من أعينها لتفحصها باهتمام، تساءلت مع نفسها بحيرة:

هي مالها عاملة كده ليه؟

لم تلق لها بالاً وتابعت بعدم اكتراث:

هابقى أشطفها كويس

سحبت ثالثة وكانت أكثر غرابة، حاولت ألا تفكر في شيء مريب، بل ربما قد يكون مرقاً إن صدق حدسها وكان كما ظنت، جمعت سريعاً ما كانت تريده وخرجت من البلكونة وأطرافها ترتجف نسبياً، ارتدت قفازاً بلاستيكيًا وهي تغسل الثمار وتقطعها، لم تشعر بـ "يزيد" وهو يراقبها من الخارج متأملاً إياها بشغف، كانت منهكة فيما تقول به فلم ترى نظراته المتلهفة لضمها إليها بذراعيه والارتشاف من نهر حبها لتشعر بعمق

مشاعره نحوها، تحرك بحرص شديد ليدنو منها، ثم لف ذراعيه حول خصرها ليطوقها
من الخلف، شهقت مفزوعة من حضنه المفاجئ، عنفته بجدية:
-ماينفعش كده

تراجع عنها قليلاً كي لا يفسد الأمر، اشرب بعنقه ليفحص ما تصنعه متسائلاً:
ها طابخة إيه؟

ردت بجدة أكبر وهي تدير جسدها في اتجاهه:

-يزيد لو سمحت، أنا كده مش عارفة أركز!

غمز لها قائلاً بهمس عابث:

حطب بلاها طبيخ وتقضيها

قاطعته بصرامة بعد أن فهمت سريعاً المغزى من حديثه الغامض:

-بقي ده كلامك إنك هاتسيللي مساحة من الخصوصية و....

اقتطع حديثها قائلاً بعبوس زائف وهو يشير بيده:

ما أنا بعيد عنك أهو ٢ سم

تحولت تعبيرات وجهها للصرامة، لوحت بيدها الممسكة بسكين الطهي قائلة بتهديد
شبه علني:

-يزيد

نظر إلى ما في يدها مردداً بتوجس:

-احنا فينا من سكاكين، أنا بأقول الطيب أحسن

لم تستطع إخفاء تلك الابتسامة العذبة التي تسلفت إلى شفيتها لتجبرهما على التقوس، ودعها مؤدياً التحية العسكرية بدون أن يضيف كلمة أخرى، أولاها ظهره ملتقطاً لإحدى ثمار التفاح من البراد ليتناولها بالخارج وهو يمني نفسه بوجبة دسمة ستملاً معدته، مر بعض الوقت حتى انتهت "فرح" كلياً من إعداد كل شيء، هتفت بنبرة عالية وهي ترص آخر صحن على الطاولة:

-الأكل جاهز

أتى "يزيد" على إثر صوتها إلى غرفة الطعام قائلاً بهرج:
أخيراً

ابتسم لها قائلاً بامتنان:

تسلم إيدك، الأكل ريحته حلوة

ميرسي

جاءه بأعينه على أوعية الطعام الشهية وهو يسحب المقعد للخلف ليجلس عليه، بدأ في دس لقيمات مختلفة من صينية البطاطس بالفرن في جوفه، نظرت "فرح" إلى تعابير وجهه لتتأمل رده فعله وهي تسأله باهتمام:

ها عجبك البطاطس؟

ابتلع ما في جوفه قائلاً:

هو طعمه غريب شوية بس شغال

اتسعت ابتسامتها وهي ترد بارتياح:

حطب الحمد لله

انتظرت حتى فرغ من صحنه حتى تطلب منه بخرج:

أنا كنت عازرة منك خدمة عشان أنا قرفانة

نظر لها مليًا وهو يسألها باهتمام:

خير

أشارت بإصبعها للخلف لتجيبه بتأفف معكوس على تعابيرها:

سبت الخضار اللي في المطبخ عاوز يتنضف

قطب جبينها باستغراب أكبر وهو يسألها:

ليه، فيه حاجة؟

معرفش، بس البصل والحاجات التانية شكلها مقروم كده ومش مريحني!

نهض من مكانه مرددًا بتوجس:

أوعي يكون عندنا فيران

هزت كتفها قائلة:

جايز

أسرع "يزيد" في خطاه متجهًا نحو البلكونة الصغيرة الملحقة بالمطبخ، بينما انتظرت "فرح" على أعتابه، شبت بقدميها محاولة رؤية ما يفعله لكنها لم تر شيئًا، فقط أصوات جر وسحب بالداخل، لحظات وعاد إليها ممسكًا ببعض الحبات المتأكلة، رفعها أمام عينيها متسائلًا:

إنتي طبختي من البطاطس دي؟

هزت رأسها بالإيجاب وهي ترد:

هـ

هزها بانزعاج واضح عليه معيدًا سؤالها:

-الي أكلها الفار؟

أومأت مؤكدة:

-ايوه

شحب وجهها متابعًا:

-وأنا كلتها

زمت شفيتها هامسة بتردد:

-أكيد يعني!

صاح بها مصدومًا:

جالك قلب؟

وضعت "فرح" يدها على كتفه تربت عليه، ثم قالت بارتباك:

-إنت قولتلي عكي أي حاجة

-بس ده مش معناه أكل مع الفار

رمشت بعينها، ثم ضغطت على شفيتها بقوة لإخفاء ضحكتها من ردة فعله، سحبت نفسًا عميقًا لتضبط به نفسها وهي تسأله:

-مش إنت كويس، مجرالکش حاجة، يعني بطنك مش بتوجعك؟

خرج من المطبخ يغغم بضيق مبرر:

-أنا مش فاهم دماغك فيها ايه، لاقتي البطاطس شكلها عجيب تطبخيلي منها، لأ وأنا

زي الجاموسة كلتها كلها

تبعته إلى الخارج قائلة بنفس الحدة

على فكرة محصلش حاجة لكل ده، اعتبره زي "راتيتولي"

توقفت عن السير فجأة ليستدير نحوها وهو يقول بغضبٍ ظاهر في نبرته ونظراته:

نعم ياختي

تنحنحت هامسة بتردد:

قصدي الفار الطباخ، إنت مش عارفه

محصيلش الشرف

ده بقي مشهور، و كان ييطبخ الأكل للناس ويأكلوه وهما مبسوطين أوي، ومحدث

اشتكى وفي الآخر فتح مطعم لوحده

رد بهكم:

ده على أساس إن أنا من بقية عيلته؟!

هزت كتفها في عدم مبالاة مما استفزه أكثر، صاح بها منفعلًا:

- "فرح"

ردت ببرود:

خلاص بقي يا "زوزي"، ده فار، مش حاجة يعني

ماشى هاتشوفي!

توجست خيفة من جملته الغامضة تلك فسألته بقلق وهي تراه يندفع عائداً نحو المطبخ:

هاتعمل ايه يا "يزيد"؟

التفت ناحيتها قائلاً بوعيد:

هاجييهولك، مش الطباخ بتاعك

شخصت أبصارها مذعورة مما ينتوي فعله، لم تنتظر لترى إن كان سينفذ تهديده أم لا، صرخت بهلع وهي تركض في اتجاه غرفة النوم:

-لا، مش عاوزاه !!

.....

الفصل الرابع والعشرون (الجزء الثاني)

اغتاظ من فعلتها السخيفة التي ربما كانت ستؤذيه بطريقة أو بأخرى رغم كونها عفوية إلا أنه أراد إخافتها قليلاً حتى وإن كان فقط يمازحها ويقضي وقتاً طيباً معها، وقف "يزيد" أمام باب الغرفة يدقه وهو يقول بهدوء مريب:

-افتحي يا "فرح" مش هاعملك حاجة

استندت يديها على الباب معتقدة أنها بذلك تشدد من غلقه بتدعيمه بثقل جسدها، هدرت برفض قوي:

-لا إنت معاك الفار!

رد نافيًا:

-والله العظيم أبدًا، أنا رميت السبت باللي فيه

صاحت به رافضة تصديقه:

-دي اشتغالة منك، ووقت ما أفتح هلاقيه في وشي

لم تكن لتقتنع أبدًا بسهولة أنه لا يريد إيذاؤها، فرك طرف ذقنه قائلاً بنبرة مستنكرة:

-مش للدرجادي يعني

سعل بصوت خفيض قبل أن يكمل مازحًا:

يا شيخة ده أنا اللي كلت معاه مش إيتي

ردت عليه بقلبي واضح في نبرتها:

-ماهو عشان كده هاتكون عاوز تنتقم مني

ابتسم مضيئًا وهو يومئ برأسه:

-لأ خلاص، المسامح كريم

ردت عليه بتوجيس:

طب إحلف

حك مؤخرة رأسه بيده وهو يقاوم تلك الابتسامة العابثة التي تظهر على محياه ليضيف

باقتضاب وبصوت خفيض:

-والله

لم تقتنع بنبرته الخافتة، استشعرت عدم جديته فهتفت بإصرار:

-لأ، احلف مجد

استنكر عدم تصديقها إياه، عبست ملامحه مرددًا:

هو ده كان بهزار؟

تابعت موضحة:

-يعني قول والله العظيم مش معاك أي فيران

رد بنفاد صبرٍ وهو يدق الباب بقوة جعلته يهتز:

يا بنتي مش بأكدب، افتحي بقى خليني أنام

هللت قائلة بعناد مستفز:

-لا، نام برا

اغتاظ من تجاهلها المتعمد له، حاول تحريك المقبض عله يتمكن من فتحه قائلاً:

-وده ينفع؟

قبضت بيديها على المقبض لتمنعه من تحريكه وهي ترد معاندة إياه:

-لا مش هافتح

فكر للحظة أن يلاعبها قليلاً، إذ ربما تنطلي عليها خدعته، انحنى "يزيد" للأمام واضعاً يده أسفل معدته وهو يتأوه متألماً:

-آه... ايه المغص ده!

لم تتجاوب في البداية معه، ولكن حينما تكرر الأمر بصراخ مكتوب هتفت متسائلة بقلبي:

مالك يا "يزيد"؟

تراجع مبتعداً عن الباب لتستمع إلى وقع أقدامه وهو ينصرف فيزداد توجسها عليه، أجابها بعد ذلك بأنيين:

-مش عارف مالي يا "فرح"

سألته بخوفٍ استشفه من نبرتها رغم عدم رؤيته لتعابير وجهها المذعورة:

-حصلك حاجة؟

أجابها بنبرة موجوعة:

-بطني، آه

سألته بتلهف:

- "يزيد"، اوعى يكون جالك تسمم؟

ارتفعت نبرته الصارخة بعد أن تأكد من تصديقها لإياه:

-الظاهر الفار، آه... هاموت

لم تستطع تجاهله أكثر من ذلك، سمع صوت المفتاح وهو يدار في قفله لينفتح الباب وتخرج منه راكضة نحوه، كان قد استقر على الأرضية جاثيًا على ركبتيه ومنكسًا رأسه على صدره ل يبدو مقنعا في تمثيله، جلست "فرح" إلى جواره تربت على ظهره وهي تسأله بخوفٍ حقيقي:

- "يزيد"، إنت كويس؟

اقشعر بدنه من لمساتها الحانية عليه واشتعلت حواسه بمشاعره التي يكنها لها، أمسك بها من رسخها قابضًا عليه فشهقت مصدومة، رفع وجهه إليها يطالع عينيها اللاتين ترمشان بتوتر بنظرات معاتبة، رفع حاجبه مرددًا بنبرة غير مريحة:

-بقي أنا تخليني أكل مكان الفار؟!

ارتعدت من طريقة إمساكه به، ابتلعت ريقها وحاولت أن تبدو قوية وهي تعنفه بتجهم مصطنع لكن خرجت نبرتها مرتعشة:

-بتضحك عليا

جذبها بسهولة إليه لتسقط في أحضانه، استندت بكفها المحرر على صدره محاولة النهوض والابتعاد عنه لكنه قيد حركتها بقبضتيه لتصبح محاصرة كلياً منه، جمد أنظاره المتسلية عليها قائلاً بعبث:

على آخر الزمن إتي تحوري عليا

توترت منه وهي تبرر موقفها:

مش قصدي!

تابع مضيئاً باستنكار جلي دون أن ترف عيناه:

سيادة المقدم يزيد جودة بجلاله قدره يأكل بواقي الزفت ده

ردت عليه بارتباك وهي تتلوى برسغيها لتخلصها من يديه المحكمتين حولهما:

ما أنا قورت حوالين بؤه يعني

اغتاظ من عدم اعترافها بخطئها فهتف بها وهو يكرز على أسنانه:

كده أنا أطمئن، صح؟

توسلته برجاء:

اسمعي بس، أنا....

قاطعها مقلداً إياها في نبرتها ومقوساً فمه ليبدو مضحكاً:

وعمالة بس تقولي اديني مساحتي، حريتي معرفش إيه، أنا تعبت، وكلام كبير كده

رمشت بعينيها مستشعرة وجود تبعات خطيرة لاحقة بسبب طريقته المريبة تلك،

رمقها بنظرات أكثر غموضاً وهو يضيف:

وأول ماشيتي نفسك طلعتهم عليا وأكلت مكان الفار!

لم تعرف بماذا تجيبه، خاصة أنها تقاوم رغبتها في الضحك ساخرة على تعبيرات وجهه الناقمة بطريقة تثير الرغبة في فعل ذلك، همست له من بين شفثتها:

هي جت كده والله!

نهض من رقدته جاذباً إياها معه دون أن يحررها وهو يكمل بوعيدٍ لا يبشر إلا بكل خير:

-تعملي مغنى عليكي، شهيدة الغرام، مش هاصدق أي حاجة!

كانت مقاومتها معدومة بالنسبة لقوته الجسمانية، استجذته بارتباك مضاعف:

- "يزيد"

أوقفها قبالتها على قدميها قائلاً بغموض يحمل في طياته العبث:

هما كانوا يقولوا ايه في الأفلام، أيوه الليلة يا عمدة!

سألته بصوت شبه لاهث:

ليلة إيه؟

أحنى جسده للأمام ليتمكن من رفعها، ثم ألقاها على كتفه قائلاً بلهوٍ خطير:

هتعرفي دلوقتي يا... "حفيظة"!

ركلت بقدميها في الهواء تتوسله أن يتوقف عما ينتوي فعله، ولج بها إلى داخل غرفة النوم ثم ألقاها على الفراش ليبدأ في دغدغتها في أجزاء متفرقة من جسدها لتعلو ضحكاتها وتجلجل في أركان الغرفة متناسياً كلاهما ولو لحظات تلك الأحزان التي عكرت الصفو بينهما لليالٍ طوال، لم يفعل "يزيد" أكثر من ذلك، أراد فقط أن يسمع ضحكاتها، أن يرى وجهها مشرقاً بابتساماتها الساحرة، أن تلمع حدقتها بوميض متلألأ، استمر كلاهما على تلك الحالة لبعض الوقت حتى خبت قواها وتعبت من كثرة الضحك، تمدد

الاثنان على الفراش ليحدقا في سقفية الغرفة، مال "يزيد" برأسه للجانب ليطالعهما بنظراتٍ شغوفة، همس لها بحب لم ينبع إلا من فؤاده:

-بأحبك

أدارت رأسها في اتجاهه لتأمل عينيه بوله العاشقين، تهتت هامسة بجرارة:

-وأنا كمان

تقلبت على جانبها لتتعلق أنظارهما ببعضهما البعض، وضع "يزيد" يده على بشرة وجتها يتلمسها برفق، وباليد الأخرى جذبها إلى أحضانه لتشعر بدقات قلبه التي تنطق باسمها هي فقط، حاوطته هي الأخرى بذراعها ليصبح صدر زوجها المأوى لها في نهاية المطاف.

.....

عاد "يزيد" إلى وحدته العسكرية مضطراً لكنه أخذ العهد من زوجته على بقائها في منزله طوال فترة غيابه، وافقت برحابة صدر مستغلة تلك الفرصة في التفكير في خطواتها التالية، لم تنقطع زيارات "شيء" وصغيرتها "سلمى" عنها، وفي بعض الأحيان كانت تبيت معها ليلاً لكي لا تكون بمفردها فتدور برأسها الهواجس، كذلك كانت تعمل كحلقة الوصل - في الخفاء - بينها وبين زوجها القلق دوماً عليها لتنقل أخبارها إليه أولاً بأول ويطمئن عن طريقها على أحوالها دون أن تشعر أنها محاصرة منه، كذلك التقت بها "إيلين" وطفلتها "مارسيل" ليتناول الجميع الغذاء سوياً مختبرة من جديد مهاراتها في طهي الطعام لتتأكد من تحسينها لأجله، وتلك المرة حرصت على عدم وجود أي فئران قد سبقتها أولاً في تذوق ما ستعده.

انتهت "شيء" من تنظيف الصحون المتسخة لتقول بإعجاب وهي توجه حديثها إلى رفيقة "فرح" التي اقترحت شيئاً مفيداً:

عندك حق يا "إيلين"، دي فرصة فعلاً يا "فرح" عشان تكتبي عن الصعيد والحياة هناك

وافقتها "فرح" هي الأخرى الرأي مرددة بامتنان وهي تعيد رص ما فرغت من تنظيفه في الخزانة:

-ماهو أنا مش هاعرف أدخل من الزيارة دي، فممكن أشغل وقتي بده أضافت "إيلين" بجدية:

-ويكده مستر "عبد السلام" مضايقش من غيابك عن الجرنال ضحكت "فرح" متابعة بمزاح متهم:

-شكله هايرفدني في الآخر، الكام شهر الي فاتوا دول مكانوش ظابطين خالص معايا ربتت "إيلين" على كتفها قائلة بود:

-معلش يا بنتي، الظروف بقي، هو حد كان عارف إيه الي هايجصل أومأت برأسها متفهمة، ثم حركت رأسها في اتجاه "شيء" التي سألتها باهتمام: -صحيح، ناويتي علي إيه في موضوع عملية التجميل؟ أجابتها بعد تهيدة طويلة:

-حددنا ميعاد مع الدكتور آخر الشهر وربنا يسهل ابتسمت لها "شيء" مرددة بحمايس:

-إن شاء الله يا حبيبتى ترجعي زي الأول وأحسن أضافت "إيلين" هي الأخرى بجدية:

-أيوه الطب أتقدم كثير الأيام دي، وخصوصاً جراحات التجميل!

مالت نبرتها إلى المزاح وهو تكمّل مبتسمة:

إنتي مش شايفة اللي عمالين يشفطوا وينفخوا لحد ما هيفرقعوا

ردت عليها "شيء" بمرح:

غش تجاري يا "فرح"، احنا الأصل!

غمزت لها "إيلين" مضيئة بابتسامة ودودة:

طبعا، ومين يشهد للعروسة

تعالّت ضحكاتهن في المطبخ وهن يثرثن بأريحية زائدة حتى حان موعد انصراف "إيلين"، وبصعوبة بالغة تمكنت من إقناع ابنتها بترك "سلمى" وتوديعها على وعد بمقابلتها مرة أخرى، تمكنت "شيء" بسهولة من تدثير ابنتها في الفراش بعد أن مرحت طول اليوم مع صديقة جديدة تكبرها قليلاً، استغلت بعد ذلك الفرصة لتفتّح "فرح" في موضوع هام قد أجلته مضطرة، جلست إلى جوارها على الأريكة بالصالة مستطردة حديثها:

- "فروحة" عاوزة أحكيك عن حاجة كده

قطبت "فرح" جبينها متسائلة باهتمام وقد بدا على تعبيراتها الجدية:

خير يا "شيمو"؟

أجابتها بترددٍ طفيف:

فكرة الأستاذ "بركات"، أبو كريم.. جوزك الأولاني

حل الوجوم على قسماتها وردت بانزعاج مقتضب:

ماله؟

ردت مجيبةً بحذر:

-جالي المدرسة وكان قاصدني في خدمة

تجهمت "فرح" للغاية بسبب تلاحق ذكرياتها في عقلها مع تلك العائلة التي أهاتها واستغفلتها واستغفلتها دون أكثر من لمشاعرها ناهيك عن الإساءة الزائدة عن الحد معها والانتهاكات الباطلة التي نالت منها بسببهم، امتعض وجهها بشدة وهي ترد بغضبٍ مبرر:
-أنا معدتش ليا لي علاقة بيه ولا بأي حد من عيلته، كفاية البهيلة والكذب و...

تفهمت "شيء" ردة فعلها فقاطعتها معللة:

-أنا فاهمة ده كله، بس هو استرجاني عشان أكلمك

صمتت "فرح" عن الكلام لتزفر بصوت مسموع، شعرت بمرارة تجتاح عقلها لمجرد استعادتها للقليل مما عاشته واختبرته؛ الخداع والكذب والإهانة هي أبرز ما مرت به معهم، طال صمتها فتوجست "شيء" من ردة فعلها المجهولة، حاولت أن تخفف من حدة الأمر فأردفت قائلة بارتباك:

-بصي هو براحتك طبعًا توافقي أو ترفضني، بس أنا هابلغك باللي طلبه مني

استاءت الأخيرة مما تلقيه على سمعها فهتفت متسائلة بنفاذ صبر:

-عاوز إيه؟

أجابتها بترث وهي تراقب ردة فعلها:

-كان عاوز يقابلك يكلمك ولو لخمس دقائق، وعشمان إنك توافقي على طلبه ده

ليه؟

-معرفش، بس أنا وعدته إني هاعرفك

جمدت "فرح" أعينها المحتقنة غضباً على وجهها قائلة بنبرة شبه مختنقة:

- "شيء"، اللي عملوه فيا مش قليل!

وضعت الأخيرة يدها على كفها تضغط عليه برفق وهي تتوسلها بابتسامة باهتة:

- اسمع، جاز يكون فعلاً عنده حاجة مهمة، إنتي مش هاتخسري حاجة

سحبت يدها من أسفل قبضتها لتتطلع أمامها بقسوة، لم تتمكن من إخفاء ذلك الألم الذي
نفص عليها سكينتها الحالية، عبست بوجهها رافضة بجدية:

- مافيش داعي، كمان "يزيد" لو عرف إني قابلت حد من العيلة دي هيضابق، وأنا
مش عاوزة مشاكل، كفاية وضعنا!

هزت "شيء" رأسها مدعمة رأبها وهي ترد:

عندك حق، بناقص منه الموضوع ده!

استمرت كلتاهما في التحديق في شاشة التلفاز للحظات قبل أن يقطع متابعتها للفيلم
المعروض عليه اتصالاً هاتفياً بـ "شيء"، نهضت لتتمكن من الرد عليه دون أن تثير
انزعاج "فرح" التي شردت تفكر في ماضيها بكل ما فيه، أخرجها منه صوت "شيء"
القائل بلطف:

- بأقولك ايه، عاوزاكي في خدمة كده لأختك حبيبتك، بس أمانة عليك ما تكسفيني

خشيت أن تعيد عليها ذلك الطلب المزعج من جديد، فهي لن تتراجع عن الرفض،
زمت شفيتها متسائلة على مضض وهي مسلطة أعينها عليها:

ها، إيه تاني؟

جلست من جديد إلى جوارها تثني ركبتيها أسفل جسدها لتسترسل في حديثها قائلة:

-بصي يا ستي احنا في المدرسة عاملين فان داي للأطفال، والمصور اللي اتفقنا معاه
اعتذر، وبصراحة مش لاقين حد نثق فيه ويكون بروفيشنال يغطي الحفلة دي،
وخصوصًا إنها بكرة الصبح، يعني مافيش وقت ندور على حد يلحقنا، ده غير إن
أغلب المصورين بيكونوا نايمين أو بيعتدروا عشان عاوزين فلوس أكثر و...
قاطعتها دون تفكير مطول:

-معنديش مانع

اتسعت عينها غير مصدقة وهي تردد بصدمة بائلة في نبرتها:
بجد؟

ردت عليها "فرح" ببسمة ودودة تعكس نواياها الصافية وقلبها الرقيق:

-أيوه، إتي عارفة أنا بأعشق التصوير أد ايه

على الفور احتضنتها "شيماء" بذراعها قائلة بامتنان كبير:

-ربنا يخليكي يا "فرووح"، مش عارفة أقولك إيه والله

تراجعت عنها ترمقها بنظراتها الصافية وهي تقول:

-ولا حاجة، احنا إخوات !!

.....

الفصل الخامس والعشرون

تعالت البالونات الهوائية - بمختلف أشكالها وألوانها - في السماء بعد انطلاق الحفل الترفيهي الخاص بالمدرسة ليتسابق الطلاب بعدها في الاستمتاع بذلك اليوم المختلف عن طبيعة الأيام الدراسية، وقفت "فرح" بينهم تلتقط لهم صورًا عديدة تعبر عن ضحكاتهم البريئة والممزوجة بسعادة غامرة، شكرتها "شيء" على معروفها الكبير معها، وتركها تفعل ما تجيده دون مقاطعة منها، تراجعت لتقف في الخلفية لتتابع إشرافها على حركة الطلاب، أدارت رأسها للجانب لتتفاجأ بمن لم تتوقف مجيئه، تجهمت تعبيراتها بقلق حينما رأت الأستاذ "بركات" من ضمن المتواجدين، عفوياً تحركت عينها نحو "فرح" التي كانت منهمكة في عملها، توترت أنفاسها واربتك تفكيرها، خشيت أن تظن فيها الظنون وتعتقد أنها دبرت لها ذلك، لهذا أسرع في خطاها ناحيته لتقول بامتعاض:

-أستاذ بركات حضرتك جاي هنا النهاردة؟

تعجب الأخير من سؤالها الغير منطقي، أجابها باندھاش واضح عليه:

عندي متابعة مع مدرسين ال

قاطعته دون تفكير وهي تشير بيدها:

بس.. حضرتك شايف النهاردة يوم فان داي للطلبة و...

رد مقاطعاً بضيق:

ما هو ...

وقعت أعينه مصادفة على "فرح" التي كانت قريبة منه، شحب وجهه مردداً بصدمة:

مش هي دي

وقع قلبها في قدميها خوفاً من تبعات ذلك اللقاء الغير متوقع، سدت الطريق بجسدها

قائلة برجاء كبير:

-أستاذ "بركات" من فضلك، أنا مش عاوزة مشاكل، "فرح" رفضت تقابلك وكده

إنت بتخرجني!

رد بصوته الخشن وقد توهجت عيناه بإصرار ملبد للأبدان:

-أنا مش عاوز إلا ٥ دقائق بس معاها

يئست من محاولة إقناعه بتحكيم العقل، فأضافت بتوسلٍ عله يصغي لرجائها

-أرجوك يا أستاذ "بركات"، إنت كده هاتعملي مشاكل، من فضلك

هز رأسه قائلاً بأسف:

سامحيني يا مس "شيء"، لازم أكلها

-أستاذ

بدأ في التحرك متجاهلاً رجائها المستعطف، فالمسألة بالنسبة له لا تحتل التأجيل، حاولت "شيء" إيقافه لكنها فشلت في اللحاق به، فقد عقد الأخير العزم على مفاتحتها مهما كلفه الأمر، وقف خلفها هاتفاً بنبرة أبوية وقد لمعت عيناه:

- "فرح"

التفتت نحوه غير متوقعة هوية صاحب ذلك الصوت الذي بدا لها مؤلفاً، ردت بابتسامة صغيرة:

- أيوه

اتسعت حدقتها في ذهول مصدوم حينما رآته، انقبض قلبها بقوة وهي تتذكر ما مرت به في فترة قصيرة تكبدت فيها العناء والظلم والقهر بالإضافة للحزن والألم، صاحت مرددة بنبرة شبه مغلولة:

- أنت

سألها بهدوء حذر مبتلعاً غصة مريرة في حلقه:

- عاملة ايه يا بنتي؟

عجرت عن الرد عليه بصورة طبيعية، عكست نظراتها نحوه الحنق الشديد، أدارت رأسها نحو "شيء" التي هتفت قائلة بقلق:

- صديقي يا "فرح" والله العظيم ما أعرف إنه جاي

كانت نظراتها نحوها تحمل اللوم والعتاب، فهي بالأمس أخبرتها عن رغبته في رؤيتها والحديث معها لأمر هام، واليوم تلتقيه، حتماً ستشك بها، نظرت لها "شيء" بتوتر بائن آملة ألا تصدق سوء الحظ، دافع عنها "بركات" قائلاً:

- هي مالهاش ذنب، أنا كنت عاوز أشوفك ضروري

علقت "فرح" الكاميرا الخاصة بها على كتفها، ثم ردت بقسوة:

مش فاضية

اعترض طريقها هاتفًا برجاء وقد التمت عيناه بعبراتٍ شبه متحجرة:

أرجوكي، ٥ دقائق بس، بحق العشرة بتاعة زمان

صاحت فيه باستنكار جلي وقد تشنجت تعابير وجهها:

هو إنتو بقيتو على حاجة، ده إنتو أكثر ناس أذيتوني، إنتو عملتوا فيا اللي الغريب مايعملوش، عاوز ٥ دقائق، بتاع ايه أوافق؟!

نكس رأسه خزيًا منها وهو يرد بحزنٍ طفيف:

قولي يا بنتي، حقك، أنا مسامح في كل كلمة هاتقولها

تدخلت "شيء" في الحوار قائلةً بجدية محاولةً لملمة الأمور قبل تفاقمها:

أستاذ "بركات" من فضلك امشي، هي مش حابة تتكلم

رمقتها "فرح" بنظرات معاتبة وهي توجهها بضيق:

شكرا يا "شيء"، كنتي خليك من الأول صريحة

وضعت "شيء" قبضتها على ذراعها لتوقفها عن السير مرددة بخوف:

قسمًا بالله ما ليا ذنب، استني بس يا "فرح"

استعطفها "بركات" قائلاً:

عشان خاطري أنا يا بنتي، طب عشان خاطر الحاجة "فوزية" أمك!

عند تلك الكلمة تحديداً تجمدت "فرح" في مكانها مستشعرة ألم فقدان الأوبة، همست

بتنهيده تحوي الأوجاع:

ماما

أصاب في مقصده حينما لمس ذلك الوتر الحساس الذي يخص والدتها المتوفاة، أضاف
بجذرٍ عليها تمنحه ما يمتنى:

-الله يرحمها ويحسن إليها، إديني بس من وقتك ٥ دقائق

لم تستطع مقاومة فيض ذكريات والدتها الحنون، رغمًا عنها اضطرت أن ترضخ لتوسلاته
الراجية إكرامًا لها فقط، سحبت نفسًا عميقًا حبسته في صدرها لتضبط بها انفعالاتها
المتأثرة، ورمشت بعينها عدة مرات لتمنع عبراتها من التجمع في طرفيها، هتفت بقسوةٍ
جادة:

-تفضل، عاوز تقول إيه؟

تنفس الصعداء للين قلبها، أشار لها بكفه متابعاً بابتسامة باهتة:

-ممكن نتكلم بعيد عن الدوشة دي

ردت على مضض:

طيب

سار الاثنان سويًا نحو إحدى الزوايا الخالية تقريبًا من الطلبة، تابعتها أنظار "شيء"
المتوجسة خيفة من ردود الفعل، ظلت تدعو الله في نفسها أن يمر اللقاء على خير،
وزعت نظراتها بينهما وبين متابعة الطلبة، في حين وقفت "فرح" في مواجهة "بركات"
ترمقه بحدة، زاد تشبثها بكاميرتها وكأنها وسيلتها المتاحة للتنفيس عن ضيقها وضبط
هدوئها أمامه، سألته باقتضاب عابس:

خير؟

ازدرد ريقها مجيبًا إياها بهدوء:

-الحاجة "سميرة" مراقي هتتسجن

زاد عبوس وجهها وتشنجه من مجرد تذكر ما فعلته معها من إهانات لازعة واتهامات باطلة، صاحت فيه بنبرتها المنفعلة نسيًا:

-ومطلوب مني إيه؟

تفهم من صوتها المزعوج ضيقها من تلميحه الغير صريح، ابتلع ريقه مستأنفًا حديثه بتردد:

-أنا عارف إنها غلطت في حقك وقالت وعملت حاجات مايصحش إنها تتعمل، بس هي ست كبيرة، حرام البهدة ليها في السن ده احتقن وجهها من تبريره لموقف زوجته متناسيًا ما فعلته معها من تجاوزات تخطت الأعراف، صاحت مستنكرة:

-ومكانش حرام إنها ترميني بالباطل؟ إنها تسوء سمعتي؟
كانت محقة فيما تقول، حاول تلطيف الأجواء مرددًا بارتباك:

-الحكاية حصل فيها سوء فهم و.....

قاطعته بصراخ متعصب وهي تلوح بيدها:

-كله كان من الأول كذب، جوازي من كريم كان أكبر كدبة، وطلاقي منه من غير ما أعرف كان

رفع كف يده أمام وجهها ليقاطعها بأسف:

-ماتكمليش، أنا عارف ده كله، مش محتاجة توضيحي أكثر من كده، احنا غلطنا كلنا في حقك

بدت كمن ينفث دخانًا من أذنيها بسبب غضبها المشتعل بداخلها، استأنف
"بركات" حديثه بحذر:

-بس عشمي في الله وفيكي كبير

ظلت ترمقه بنظراتها المحتقة بحمرة غاضبة لكنه استجمع شجاعته ليواصل حديثه بنفس
الهدوء علما ترفق به:

هي غلطت وأذنبت بس اللي عملته ده كان بدافع حبها لابنها، أي أم بتدور على اللي
يسعد ابنها حتى لو الطريقة غلط، أنا صعبان عليا مرمتها على آخر الزمن في المحاكم
والأقسام

لم تتحمل المزيد من سخافاتة عنها ليبرر خستها في التعامل، هدرت فيه بلا وعي:

-ومصعبش عليك اللي ابنك عمله فيا؟ من أول ما خدعني ومفهمني إني مراته وهو
متجوز عليا، وإنه يطلقني من غير ما أعرف؟ إني أفضل مصدقة إن فرحي خلاص
قرب وهتجوز، وكلها فترة بسيطة ونخلص اللي ناقصنا، واتفاجئ إنه متجوز وعایش
حياته عادي، أنا الوحيدة اللي اتظلمت منكم كلكم

تفهم موقفها العدائي نحوه، لم يستطع الدفاع أو التبرير أكثر من ذلك، نكس رأسه
بخذلان واضح عليه وهو يستعطفها:

-حقك عليا أنا يا بنتي، امسحي كل الغلط ده فيا، أنا برضوه سكت من الأول عن
الحق وما تكلمتش

تهدجت أنفاس "فرح" بصورة ملحوظة نتيجة انفعالها الزائد، تجمدت نظراتها القاسية
على وجه "بركات" وهو يقول لها متوسلاً:

-شوفي إيه يرضيكي وأنا مستعد أعمله، بس بأحلفك بالله ماتكونيش قاسية، خليكي
أحسن منا كلنا

كان على وشك الانحناء وتقيل يدها قائلاً:

-أبوس إيدك سامحها و...

سحبت "فرح" يدها مذعورة من حركته المباغتة تلك والتي لم تتوقعها مطلقاً منه،
تراجعت خطوتين للخلف ترمقه بنفس النظرات المشتعلة التي لم تهدأ حديثاً بعد،
استشعر احتمالية رفضها لرجاواته، تهدد مردداً بإحباط يائس:

-أنا هاسيبك لقلبك ولضميرك، واللي هاتعمله بعد كده احنا راضيين بيه

لم تعلق عليه واكتفت بالتحديق فيه بنفس النظرات الحادة التي تبث كرهاً مسيئاً، ابتلع
ريقه مكملاً بنبرة مليئة بالحزني:

عن اذنك يا بنتي، سلامو عليكم

أولته ظهرها متجاهلة حتى رد التحية عليه ليشعر بالمزيد من القهر والعجز، ولماذا
العجب من تلك المعاملة الجافة منها؟ فعائلته كانت الأسبق في ذلك بمجذارة، لذا عليه
ألا يلومها إن عاملته بفضاظة وتجاهل، رحل يجرجر أذيال الخيبة خلفه، انتظرت
"شيء" للحظات حتى ابتعد فأسرعت في خطواتها نحو "فرح" لتدافع عن نفسها قائلة:

- "فرح"، أنا معرفش إنه جاي

رمقتها الأخيرة بنظرة تحمل الضيق، ضغطت على شفيتها مرددة بجمود:

لو سمحتي يا "شيء"، سيبني في حالي

شعب وجهها كثيراً واكتست نظراتها بالخوف القلق، توسلتها بتلهف:

-اسمعيني بس، والله العظيم هو اللي

وكانها تحدث نفسها، لم تكن بها أي رغبة للمجادلة معها، تركتها منسحبة من المكان
برمته رغم صياحها:

- "فرح"، استني، "فرح"!

امتنع وجه "شيء" على الأخير مرددة لنفسها بتخوف:

-أوف، أنا كده وقعت في مشكلة كبيرة!

تلفتت حولها محاولة البحث عن بديل عنها من الزميلات متابعة بقلبي:

خايفة عليكي أوي، ربنا يستر وما يحصلش ليكي حاجة!

.....

ألقت بثقل جسدها على الفراش بعد انتهائها من الاغتسال لتريح عقلها قليلاً من التفكير الذي أرهقه، أرادت "فرح" أن تمحو جميع الروابط التي تجمعها بشكل أو بآخر بتلك العائلة، حتى الذكريات تمت أن تمسحها للأبد من بواطن عقلها، لم يتوقف هاتفها عن الرنين، ومع ذلك تجاهلته عن عمد، لم تكن تملك من الطاقة ما يجعلها تبوح بما يحيش في صدرها من أثقال وهموم، تقلبت على الفراش لتحقق في نقطة في الفراغ أمامها، تجسد في مخيلتها أطياف ذكريات جمعتها مع "كريم"، شعرت بإحساس الخيانة يحتاجها لمجرد التفكير فيه من جديد، انسابت منها عبرة بللت وسادتها، تهتت بأسى، هي تكره ذلك الشعور الذي يوغر صدرها بالكراهة والبغض، حدثت نفسها قائلة بحرقة: ليه مطلوب مني أنسى وأسامح وأنا أكثر واحدة اتأذيت!

تدفقت العبرات بغزارة من حدقتها لتمترج مع نواحها الباكي، تابعت همسها الموجوع:

-اشمعي أنا اللي المفروض أتنازل؟

تذكرت قسوة وشراسة "سميرة" معها، حملتها في لحظتها المكشوفة كل الذنب متناسية أنها مشيئة القدر، أساءت لها وعاملتها بوقاحة شديدة لم تعبأ وقتها بوجود الجيران والمعارف بالمنزل، وزادت قسوتها حينما علمت الحقيقة كاملة لينتهي الأمر باكتشاف

الأكذوبة الكبرى، واليوم مطلوب منها أن تنسى وتصفح بكل بساطة، اعتدلت في نومتها صارخة:

مش ها يحصل

دفنت وجهها بين راحتها تبكي وتشهق بأنين، كانت بحاجة لمن يحتويها ويضمها إلى صدره فتشعر بالأمان، من يربت عليها برفق ليهون أوجاعها النفسية، من يخبرها أن كل شيء سيغدو على ما يرام، لكنها كانت وحيدة بالمعنى الحرفي، ليس لديها من تلجأ إليه، انهارت بجسدها على الفراش تضم ركبتيها إلى صدرها مقاومة تلك الرجفة التي تعترها.

.....

مرت الأيام ثقيلة عليها متشابهة إلى حد كبير، تقضي نهارها بروتينية في العمل، وفي الليل تعود إلى المنزل لتجلس بمفردها فيه تهني ما لم تنجزه خلال ساعات العمل، تخلل يومها اتصالات متكررة من "يزيد" للسؤال عن أحوالها، وكذلك زيارة ودية من "إيلين" وابنتها، لكنها اعتذرت عن الخروج مع "شيماء" وفهمت الأخيرة سبب تهريبها منها هو انزعاجها من الموقف الحرج الذي وضعت فيه كلاهما، ظل وجه "بركات" المنكسر بكلماته المتحسرة النادمة تتردد في صدى عقلها، وكأنه يضاعف من مرارة خلوتها، فاض بها الكيل فقررت أن تتخلص من ذلك الثقل نهائياً دون العودة لأي أحد ليشاطرها اتخاذ ذلك القرار الهام، ابتسم المحامي المنوط بمتابعة قضية "سميرة" قائلاً بامتنان:

حقيقي مافيش زيك يا مدام "فرح"، حد غيرك كان

قاطعته "فرح" بجمود وقد ارتسمت علامات الجدية على ملامحها:

مش حابة أحكي في الموضوع ده لو سمحت، في حاجة ثانية مطلوبة مني

رد المحامي بهدوء:

لأ يا فندم، أنا هاخلص باقي الإجراءات

أومات برأسها متفهمة، وضعت نظارتها القائمة لتخفي نظراتها وبدأت تستعد للانصراف

لكن أوقفها صوت "بركات" القائل بجنو:

- "فرح"

التفتت برأسها نحوه تطالعه شزراً من خلف نظارتها التي تحجب رؤية عينيها عنه، ردت

بتأفف لم تحاول إخفائه:

في ايه ثاني يا أستاذ "بركات"؟

طأطأ رأسه قليلاً ليرد بمرح:

-أنا مش عارف أقولك ايه

أشارت بيدها قائلة بجفاء قاس:

كده انتهى أي رابط بيني وبينكم، يا ريت تشلوني خالص من دماغكم زي ما أنا عملت

وشلتم من دماغي وحياتي كمان

شعر بالمرارة والأسى في حديثها، زفر قائلاً بندم:

حقك علينا، احنا هانفضل مديونين ليكي طول العمر

ردت بنبرة جليدية خالية من الرقة والعطف:

لا دين ولا غيره، أنا عملت كده واتنازلت عشان أرتاح، فيا ريت تكون دي آخر

مرة نتقابل فيها

ابتلع قسوتها مردداً بابتسامته الباهتة:

-أنا هانفضل فاكّر معروفك ده، وهاكون في الخدمة لو عوزتيني في أي وقت

ثم مد يده المرتعشة نحوها ليصافحها متابعاً بحنو أبوي:

-أسيبك في رعاية الله

أخفضت أعينها لتحقق في يده الممدودة، ترددت للحظة قبل أن تمد كفها نحوه، أجبرت نفسها على مصافحته هاتفة باقتضاب:

مع السلامة

شكرها مجدداً محافظاً على بسمته:

-كتر خيرك يا بنتي

لم تعلق عليه وأسرعت في خطاها قاطعة أي فرصة للثرثرة أكثر معها، لكنها تيقنت اليوم أنها أنهت كابوساً غص حياتها لوقت ليس بالقليل لتبدأ بعدها في متابعة حياتها التي تركز على توطيد علاقتها بزوجها "يزيد" الذي تحامل على نفسه الكثير مؤخراً معها لتتجاوز أزماتها، هكذا هي اعتقدت ...

.....

كان يحترق شوقاً في كل يوم يمر عليه وهي بمفردها لا يعرف عنها إلا القليل مما تخبره هي بنفسها، لم تشبع كلماتها جوعه ولم تجعله يهنأ، كان يشعر من نبرتها أن بها خطب ما، لم يرغب "يزيد" في الضغط عليها حتى لا تشعر بحصاره المزعج لها، عمد إلى ادعاء الهدوء واللامبالاة ليكسب ثقتها أكثر، وما إن نال تصريح العطلة حتى استقل سيارته عائداً إليها، كانت أشواقه وتلهفه إليها تقود عقله وروحه إلى الجنون، وقف أمام باب المنزل يدس المفتاح في قفله بتريث حذر ليفاجئها بقدومه، تعذر عليه فتح الباب فانقبض قلبه خوفاً، للحظة ظن أنها تركت المنزل ولم تقم فيه طوال الفترة الماضية، لكن هداه عقله إلى احتمالية غلقها للباب بالمزلاج، قرع الجرس بلا تفكير ثانٍ آملاً في نفسه أن تكون بالداخل، تنفس الصعداء حينما سمع صوتها يقول:

حاضر!

وضع "يزيد" يده على صدره يتحسس نبضات قلبه المتلاحقة، وما إن فتحت الباب وطالعه بوجهها الناعس حتى اندفع نحوها يضمها إليه قائلاً بتلهف:

-وحشتيني يا حبيبي

ردت عليه بنبرة ثقيلة:

-أنت جيت؟

رد ساخراً وهو يتراجع للخلف ليحتضن وجهها بين راحتيه:

-لألسه، أكيد أنا مش خيالي، صححي كده يا فروح

وضعت "فرح" يديها على قبضتيه لتبعدهما عن وجهها الذي يفركه لتحفظ بسمت النوم، سألته بنبرة شبه واعية وهي محدقة فيه بنصف عين:

هي الساعة كام دلوقتي؟

أجابها متعجباً وقد انزوى ما بين حاجبيه:

-٦ الصبح تقريباً

تشاءبت قائلة بنبرة تبعث على النعاس والكسل:

-ياه، ده بدري أوي، أنا داخلة أناام

فغر فمه مصدوماً من فتورها الذي قابلته به بعد ذلك الغياب، كان يتوقع لقاء حميمياً عاصفاً، وأحضاناً تذيب جمود الجليد، لكنه وجد النقيض، رد مستنكراً حينما رآها تنصرف مبتعدة:

-تنامي فين وتسبيني كده

لوحت له بيدها دون أن تستدير نحوه لتقول:

-مش قادرة والله، كان عندي شغل في الجرنال سهرت أخلصه، كمان ساعتين بقي
أكون فوقت ونتكلم

ظلت علامات الدهشة مرسومة على محياه وتضاعفت حينما قالت عفويًا:

-تصبح على خير

صفقت الباب خلفها متجاهلة وجوده، أشعرته في لحظة أنه ضيفًا في المكان وليس
صاحبه، بل وأن وجوده غير مرغوب فيه، حك رأسه عدة مرات ليستوعب أنها
بالفعل تركته وذهبت لتنام، عبست تعابير هاتئة بغیظ من بين شفتيه:

-ما أنا اصطبحت خلاص، آل وأنا عمال أقول هتاخدني بالأحضان إن مكانش فيها
بوسة من إياهم، وفي الآخر تطلع العملية ناشفة!

هز رأسه بإيماء متوقعة وهو يكمل بحلق مزعوج:

-ماشي يا "فرح" ليكي يوم، وهايكون قريب !

.....

الفصل السادس والعشرون

بعبوس لم تستطع إخفائه أعدت حقيبة السفر بكل ما تحتاج إليه لتلك السفرة القصيرة لقطر يشغل حيزًا كبيرًا من أرض الوطن؛ إنه صعيد مصر بكل ما فيه من جمال وثورة طبيعية، استقلت "فرح" القطار برفقة زوجها الذي كان متحمسًا لتلك الزيارة العائلية، جلست إلى جواره تنفخ بصوت مسموع متعمدة أن يشعر بما يعتريها من مشاعر مزعوجة، نظرت إليه فوجدته هادئ الملامح مسترخيًا في جلسته، ضاقت نظراتها نحوه، فمنذ لقاءها الفاتر عند عودته وهو يتعامل معها ببرود عجيب أثار في نفسها الريبة، توقعت حينما تستيقظ من نومها أن تجده على نفس درجة التلهف والشوق، لكن على عكس توقعاتها تعامل "يزيد" معها بفتور شديد أزعجها حقًا، وكذلك حينما أعلمها بحجزه لتذاكر القطار، كان كمن يبلغها بالشيء لمجرد العلم ليس أكثر، كل ذلك أجج في نفسها شعورًا بالحرق تجاهه، صاحت فجأة متسائلة بتذمر لتخرجه من سكونه:

هنوصل امتي؟

انتفض "يزيد" في جلسته مرددًا باستنكار:

بالراحة يا "فرح"، مش كده يعني، في حد يزعق بالشكل الغبي ده

فرك عينيه عدة مرات ليصرف النعاس منها، بينما تابعت بنفس التبرم العابس

ما هو لما تكون مطمئني لازم أرد كده!
أخرج زفيرًا مطولاً من صدره وهو يسألها بجمود:
مطمئنيك ازاي ممكن أفهم؟
أجابته بوجهها المتعصب في تعبيراته:
مش معبرني ولا سأل فيا
تثائب وهو يطم ذراعيه قائلاً ببرود استفزها على الأخير:
عادي، تعبان، لما أبقى أفوق هابقي أرجع لطبيعتي
إنت بتزدهالي عشان اليوم إياه؟
سألها بجمود أكثر استفزازًا:
-يوم إيه؟
أجابته بنبرة متشنجة:
-لما إنت رجعت و....
قاطعها بصوتٍ شبه ثقيل مدعيًا رغبته في النوم:
مش فاكرك، أنا كنت نايم ساعتها
استثيرت أعصابها من أسلوبه الجاف فلكرته في جانب كتفه بقضبتها لتقول بعدها
بتحذير قوي:
- "يزيد"، بلاش الأسلوب المستفز ده معايا
أمسك بقبضة يدها المتكورة ضاغظًا عليها قليلاً بأصابعه مرددًا بنفس اللهجة التحذيرية
التي اتبعها معه:

- "فرح"، اهدي كده شوية على نفسك، لسه السكة طويلة، مش هانعمل هولية على الفاضي، ماشي؟

جذبت يدها عنوة من أصابعه، نظر لها بعدم مبالاة، ثئاب من جديد ليقول بعدها بنبرة تحمل السخرية:

-أقولك اشربي ببسي يروق دمك

نهض من مقعده متلفتًا حوله وهو يضيف بابتسامة سخيفة:

-بصي أنا هاروح أجيبك واحدة مشبرة، ومن الجردل كمان!

اشتعلت نظراتها غيظًا منه لكنه كان يتعامل بأقصى درجات البرود إن لم يكن قد بلغ ذروة التجاهل وعدم الاهتمام، دندن بصافرة خافتة وهو يتحرك صوب المقاعد الخلفية ليأتي لها بمشروب بارد، كزت "فرح" على أسنانها متممة بسخط:

غلس!

ظل على تلك الوتيرة معها أغلب الوقت، يتعامل بجفاء أهلك أعصابها حينما تحدثه أو تطلب منه شيئًا ما، حتى أجبرها على الانفعال والثورة على أئفه الأمور، كان يرمقها بطرف عينه وكأنها نكرة ليزيد من استفزازها، بدا غير مكترث بما تفعله، وكانت ردة فعله فاترة للغاية إن لم تكن غير موجودة بالمرّة، هتفت مستسلمة بإحباط:

-أنا جبت أخري معاك

وضع سماعات الهاتف في أذنيه ليكتمل مشهد تجاهله لها، التوى ثغره للجانب مشكلًا ابتسامة متغترسة عليه وهو يحدث نفسه بغرور:

هو إتي لسه شوفتي حاجة، ده أنا لسه بأقول يا هادي!

تابعت "فرح" المناظر الطبيعية المتلاحقة لتلك المحافظات التي يمر عليها القطار حتى بدأ جفناها يثقلان، قاومت رغبتها في النوم لتظل متيقظة الحواس، لكن لا يقف أي شيء أبداً أمام سلطان النوم، مالت برأسها للجانب بعد أن غفت في سبات قصير، أسند "يزيد" رأسها بحذر على كتفه كي لا يتألم عنقها من وضعية نومها الغير مريحة، أحنى شفتيه على جبينها طابعا قبلة صغيرة وهو يهمس لها:

هانت، قربنا نوصل، وأوعدك هتتسطي هناك

.....

تبيست عضلاتها من نومتها المرهقة فأصدرت أنينا خافتا وهي تحرك عنقها، أدارت "فرح" رأسها في اتجاه "يزيد" فوجدته مستغرقا في النوم، عاودت التطلع إلى النافذة المجاورة لها لتبين أين هي، مالت برأسها للأمام لتتأمل مفضل إلى طبيعة ما حولها، كانت الحقول الزراعية هي الشيء المشترك في كل المحطات التي مر عليها القطار، تراجعت بظهرها للخلف لتبحث عن هاتفها المحمول في جيبيها، أخرجته لتتأمل إلى التوقيت فيه، مضى أكثر من ٦ ساعات منذ أن استقلا القطار، تهتدت بصوت مسموع وهي تلتف برأسها نحو زوجها لتوقظه هامسة:

- "يزيد"

بدت قسبات وجهه ساكنة للغاية، أعادت تكرار سؤالها وهي تهزه برفق تلك المرة لينتبه لها:

هو احنا هنوصل امتي؟

فتح عينيه بثقل ليحدق فيها مطولا وبطريقة غريبة، رمشت بعينها متعجبة من طريقة تحديقها، سأله مندهشة:

في حاجة، إنت بتبصلي كده ليه؟

أشار لها بسبابته مجيباً إياها بصوته الناعس:

إيه ده اللي على راسك؟

قفز قلبها في قدميها متسائلة بارتباك خائف:

هو في حاجة على راسي؟

أجابها ببساطة وكأنه أمر طبيعي:

٥٠، صرصار تقريباً

عند تلك الكلمة تحديداً خرج منها صراخاً مفزوعاً مصحوباً بحركات عصبية متشنجة من أطرافها:

عائلاً

هبت "فرح" واقفة من مكانها تنفض ما علق بخصلات شعرها دون أن تتوقف عن الصياح الصارخ بهيسترية مقلقة، صدم "يزيد" من ردة فعلها التي لم يتوقعها مطلقاً، حاول تهدئتها ليتمكن من التصرف لكنها كانت تصيح فيه بهياج:

صرصار، إبعده عني

ثبتها من كتفها ليتمكن من انتزاعه بإصبعيه قائلاً:

أركزي بس خليني أشوفه

بصعوبة بالغة حاولت إجبار جسدها على عدم التحرك حتى يزيح عنها، أغمضت عينيها بقوة وهي تنفض من شدة الرعب، تمكن "يزيد" من الإمساك به ثم ألقاه أسفل قدمه ليدهسه فوراً، تابع قائلاً بصوته الأجش:

خلاص موته

فتحت عينيها على الأخير مواصلة حركاتها الهيستيرية وهي تبعثر شعرها في كافة الاتجاهات مرددة بذعر:

-أنا عليا صرصار، يع بجدا!

قبض على ذراعها ليجذبها إلى الأسفل لتجلس من جديد على المقعد قائلاً بصوت خفيض وهو يركز على أسنانه:

-الناس اتفرجت علينا، اقعدي بقي

اعترضت عليه محتجة:

-لا، مش هافضل هنا جمب الصرصار ده

يا ستي بأقولك موته، مفضلش منه إلا الشنب

ضمت "فرح" قبضتها إلى صدرها لتستشعر تلك الدقات العنيفة بداخل صدرها، حاولت أن تهدئ من روعها لكنها وجدت صعوبة في فعل ذلك، فإزال جسدها يرتعش، وقلها ينتفض من كل لمسة أو حركة، نظر لها "يزيد" باستنكار واضح عليه، أشار لها بيده مضيئاً بسخط:

يا بنتي احنا بنشوف بلاوي في الوحدة، مش عاوز أقولك على الـ.....

قاطعته بنبرة مهتزة وهي ترمقه بنظراتها الخائفة:

مش عاوزة أعرف حاجة، كفاية التجربة الشنيعة اللي مريت بيها

بدا وصفها مبالغاً فيه، خاصة ذلك المصطلح القوي الذي استخدمته للتعبير عن حالة لحظية مرت بها، زم فمه مردداً باستغراب:

-شنيعة؟!

تهدجت أنفاسها وهي تواصل وصف تجربتها:

أنا قلبي كان هيقف فيها، كل ما أفكر، لالا، أنا

قاطعها مرددًا باستخفاف:

مش للدرجادي يا "فرح"، أومال لو كان حنش ولا عقرب أصفر كنتي عملتي ايه؟

وضعت أصابعها على قبضة يده تتوسله:

خلاص بقي، هاموت منك والله

نظر إلى يدها المرتجفة القابضة عليه للحظات، تفهم حالة الذعر المسيطرة عليها ليقول مبتسمًا:

حاضر، هاسكت

هزت "فرح" ساقها بعصبية مستشعرة حاجتها للدخول إلى المرحاض، سلطت أنظارها

على "يزيد" قائلة بصوت هامس:

أنا هاروح التويلت، مش قادرة خالص!

لم تنتظر رده عليها، فتحركت بخطوات شبه مهرولة إلى المرحاض الموجود في نهاية

المقطورة، لف رأسه ليراقبها حتى ولجت إلى الداخل، حيث كان في انتظارها مفاجأة

من العيار الثقيل، شخصت "فرح" بأبصارها فرعًا حينما رأت ذلك الصرصور الطائر

الذي يتجول بداخله، ازداد جحوظ عينيها حينما لمحت أخيرًا يأتي من الخلف ليدعمه،

تجمدت أنظارها المرتعدة على شواربه التي يهزها بخيلاء، رأت جناحيه يتحركان بتلقائية

مهددًا بتحركه بين لحظة وأخرى، تراجعت بحذر نحو الباب محاولة ألا تصدر جلبة لكي

لا ينتفض من مكانه قاصدًا وجهها، كتمت شهقة صارخة بكف يدها مانعة إياها من

الخروج، ويبد مرتعشة أبعدت المزلاج لتخرج منه ووجهها محتقنًا بحمرة مضاعفة، عادت

إلى "يزيد" بحالتها المفزوعة تلك ليسألها باهتمام:

مالك؟ وشك عامل كده ليه؟

أشارت له بيده هامسة بصوتٍ شبه مبحوح، وبكلمات غامضة:

جوا

قطب جبينه متعجبًا من جمودها المريب، تعقدت تعابيره متسائلًا بجدية رغم مزاحه:

في إيه جوا؟ محدش شد السيْفون؟

أخفى ابتسامة عابثة مرددًا بهرج:

طبيعي تشوفي العجب في المواصلات العامة، وأنا من الأول قايلك ده، خلي سقف
طموحك واقعي

هزت رأسها نافية وهي ترد:

-لأ مش .. مش كده، ده باقي عيلته جوا

سألها باقتضاب:

-مين ده؟

ردت بتأفف مشمئز:

-الصرصار

لوهلة صدم مما قالت، اتسعت ابتسامته قائلاً:

-لأحسن يكونوا جاينين ياخدوا بتاره منك، ما احنا في الصعيد، ماتنسيش ده!

نظرت له شزرًا، فتابع بصرامة:

-بس متخافيش معاكي راجل، هجيهو ملك تحت جزمي

ثم أخفض نبرته ليضيف القليل من التوجس وهو يضيف:

-إلا إن كانوا يطيروا، معرفش هايخطوا على راس مين!

رفعت سبابتها أمام وجهه تحذرها:

-ولا كلمة!

داعب طرف دقنها قائلاً بابتسامته العريضة:

-بأهزر معاكي يا "فرووح"، ماتخديش الموضوع على صدرك أوي

كزت على أسنانها هاتفة بحنق كبير:

-بس، مش عاوزة حد يكلمني، خليني كاتمة نفسي لحد ما أوصل أي استراحة ثانية

استشف من كلماتها الغاضبة أنها لم تستطع إتمام ما قامت لأجله، مال عليها متسائلاً:

-أوبا، هو إتي لسه ما؟

قاطعته بغيط:

- "يزيد"!

تراجع عنها ليجلس باسترخاء مستمتعاً بتعذيبها نفسياً وهو يقول:

-عندك حق، مايصحش الصراير تطلع على الأسرار العسكرية، دي فيها خراب

بيوت، يعني الواحد ياخذ راحته ازاي وفي صراير بتبص عليه

اشمئزت من حديثه قائلة:

-ارحمي شوية

ربت على يدها قائلاً:

-حاسس بيكي، زمان أيام مركز التدريب كنت

أمسك بيده تقبلها وهي تقاطعه برجاء متوسل ليكيف عما يفعله:

عشان خاطري، أبوس إيدك كفاية!

لف يده الأخرى حول عنقها ليقرب رأسها منه وهو يقول مبتسمًا:

حاضر يا فراشتي، مقدرش أرفضك طلب

لمحت "فرح" أحد الموظفين المسؤولين عن التفتيش عن عربات القطار، فهتفت تناديه:

لو سمحت يا حضرت

التفت الأخير نحوها قائلاً:

-ايوه

تابعت قائلة بتقزز واضح على تعبيرات وجهها:

-في صراصير في الحمام، ممكن تموتوها

فغر الموظف شفثيه مرددًا باندھاش:

-افندم

تنحى "يزيد" قائلاً بحرج وهو يبرر مطلبها:

-معلش المدام بتخاف، ومحرجة تدخل وهما هناك، إنت عارف تفاصيل الحريم كثير،

والحاجات دي عكوسات بالنسبالهم

رد الموظف بامتعاض متأفف ظاهر على محياه:

-القطر مليون منهم، مجاتش على دول

اغتاظت من رده الغير مسئول، هتفت معترضة بشدة:

-عادي كده، مش هاتصرف يعني

مسح طرف أنفه متابعًا ببرود غير مبالٍ:

هانبقى نبلغ المكافحة، وكل سنة وإنتي طيبة
رد عليه "يزيد" بابتسامته المرحّة:
-وانت بالصحة والسلامة، متشكرينك يا أخ
استفزها عدم اهتمامه بشكواها فرددت بتذمر تتوعده:
-الخدمة حقيقي سيئة، لازم نشتكي ونبلغ عن التقصير ده، ازاي يسمحوا بوجودهم في
الحمامات، أنا هاعمل تقرير وأرفعه و...
رفع "يزيد" حاجبه للأعلى متعجباً مما تتنوي القيام به، قاطعها قائلاً بجديّة:
-وهو هيعملنا ايه يا "فرح"؟ هايعلقك مثلاً يافطة على البلاعات يكتب عليها
الصراير يمتنعون؟ قولي كلام يدخل العقل!
اشتعلت نظراتها من عدم أكثرائه بتلك المشكلة المنتشرة في أغلب القطارات قائلة:
-إنت معاه؟
شبك كفيه معاً مسترخياً في جلسته، أدار رأسه نحوها ليغمز لها بطرف عينه وقد
اتسعت بسمته المرحّة:
-لأ مع الصرار !

.....

الفصل السابع والعشرون

تشبثت بمقعدها تفكر بذهنٍ صافيٍ لتبعد عن عقلها مؤقتًا أي ضغوطات تزيد من توترها الحرج في ذلك الوقت العصيب، أغمضت "فرح" جفניה لكن ظلت شفتيها مضغوطتين بتشنج طفيف، التفت "يزيد" إليها يرمقها بنظراته الفضولية، بدا مزعوجًا من حالتها تلك، نهض من مكانه ليبحث لها عن حل سريع، اتجه إلى المرحاض ليتفقدده، كان كل شيء به نظيفًا، فقط تلك الحشرات المزعوجة التي تتجول بأريحية فيه وكأنها قد ملكته، تتم مع نفسه قائلاً:

ما الحمام زي الفل أهوو، كانت تمشيها زي ما يكون وخلاص
فرك طرف ذقنه بحيرة محدثًا نفسه:

حطب إيه العمل دلوقتي؟

ظل ماكثًا به لبعض الوقت ليدعس ما به من حشرات، ركلها نحو البالوعة الصغيرة، ثم عاد إليها ليتباهى بإنجازه العبقري في ذلك الموقف البسيط، فإن كان الأمر يخصه فقط لم يكن ليكثرث أبدًا وتجاهل وجودهم، عقد ما بين حاجبيه متعجبًا حينما وقعت أنظاره على الموظف الذي كان واقفًا إلى جوار مقعدهما، أسرع في خطاه يسأله:
- في حاجة؟

وجد "فرح" ترمقه بنظرات حادة لا تبشر بأي خير وهو يدنو منها:

-الأستاذ حل المشكلة خلاص

ضاقت أعينها عندما تابعت بنبرة ذات مغزى:

-فماfish داعي تتعب نفسك

تجهمت ملامحه عقب جملتها تلك ولم يعلق عليها، أضاف الموظف موضحاً:

يا مدام الحمامات نظيفة، وفي عمال بينضفوها أول بأول

ردت عليه بجدية مستخدمة يدها في الإشارة:

-أنا مش بأتكلم على النظافة، بالعكس كل حاجة كويسة، أنا اعتراضى كله على الحشرات والصراصير الموجودة فيه

جذب الموظف طرفي ياقتي قميصه معاً للأمام قائلاً بنبرة رسمية:

صعب نسيطر على الموضوع ده، احنا بنقف في محطات وسط الغيطان والأراضي الزراعية، طبعي تلاقي حشرات وحاجات تانية، المهم إن الخدمة موجودة

ابتسمت له بمجاملة وهي ترد:

-عموماً شكراً على اهتمامك بالموضوع

أوماً برأسه مردداً:

تحت أمرك

عادت لتجلس على مقعدها واضعة حقيبة يدها على حجرها، نظرت بوجه عابس إلى وجهه توبخه بلطف:

-شايف الناس؟

رمقها بطرف عينه بنظرة مزعوجة، زفر قائلاً بضيق:

-مكاش كام صرصار يعني، هانعملها أزمة!

ردت عليه بتأفف وهي تدير رأسها في اتجاه النافذة

قفل على السيرة دي، كفاية قرف!

نظر لها شزرًا للحظة قبل أن يضيف بازدراء بائن في نبرته:

هو أنا اللي فاتحته من الأول؟ شوفي مين اللي عمل من موضوع تافه زي ده ظيطة وهوليلة، وفرح علينا الناس!

التفتت ناحيته ترمقه بنظرات مشتعلة غيظًا منه، خاصة أنه يحملها الذنب، ردت بجدة:
-بقي أنا اللي غلطانة؟

لم يلتفت ناحيتها، أمسك بطرفي سماعة الهاتف ليضعها في أذنه قائلاً ببرود:

-أقولك على حاجة، اعتبريني مش موجود!

احتدت نظراته متممة بحنق مضاعف:

-او كي يا "يزيد"!

بدا وجهه خاليًا من التعبيرات وهي تبرطم بجواره بكلمات مهمة تحمل الغيظ والضيق متعمدًا التصرف ببرود كي يخمد اشتعال النقاش بينهما قبل أن يتفاهم إلى أكثر من ذلك، استمع إلى صوت رنين هاتفه في أذنيه، فضغط على زر الإيجاب ليرد بابتسامة متسعة:

سلامو عليكم، أخبارك ايه يا مرات عمي؟

كركر ضاحكًا مضيئًا بعدها:

-كله تمام، هانت، فاضل حاجة بسيطة ونوصل إن شاء الله

أنهى معها المكالمة نازعًا السماعات عن أذنيه موجهاً حديثه إلى فرح وهو يقول بحماس:

مرات عمي عاملة عزومة على حسنا

نظرت له بنظرات جامدة مبدية عدم اهتمامها بما يقول، تنحنح قائلاً بجدية:

-بجي يا "فرح"، يا ريت تخلي أي خلافات بينا على جنب واحنا هناك، بلاش ننشر غسيلنا قدامهم؟

هتفت بعصبية رغم خفوت نبرتها:

-هو أنا خلاص بقيت بتاعة مشاكل، وانت مش بتعمل حاجة أبدًا، ملاك قاعد جمبي رد عليها مشيرًا بإصبعه:

-أهوو ده اللي بيضايقني منك، عصبيتك على الفاضية والمليانة، اهدي شوية أشارت إلى نفسها مرددة بسخط:

-بقي أنا اللي أهدي؟ اومال إنت تبقى ايه؟

هز رأسه بالإيجاب مبررًا:

-منكرش إني عصبي، وبتفلت مني ساعات، بس أديني بأحاول أتحكم في نفسي كتفت ساعديها قائلة:

-يعني مش لوحدي

زفر مطولاً بصوت مسموع ليرد بعدها:

-خلاص يا "فرح"، احنا نعمل اتفاق من دلوقتي، تفكنا من العصبية ونتصرف كزوجين طبيعين

طيب

قالتها باقتضاب ممتعض وهي تحقق أمامها منتظرة بضيق انتهاء رحلة القطار المطولة لتصل إلى وجهتها التي لا تعرف بالضبط أين هي.

.....

صدحت صافرة القطار عاليًا لتعلن عن وصولها إلى محطة أخرى جديدة، كانت "فرح" قد غفت مرة أخرى في مقعدها فلم تشعر بزوجها وهو يستعد للنزول، هزها برفق من كتفها قائلاً:

- "فرح"

تثاءبت وهي تمط ذراعيها مرددة بخفوت:

- أنت رايح فين؟ هاتجيب حاجة؟

أجابها بابتسامة ودودة:

- يالا يا حبيبتى، احنا وصلنا

اعتدلت في جلستها لتتمكن من التحديق من النافذة وهي تقول بحماس قليل:

- أخيراً

سحب حقائقه متابعًا بصيغة شبه آمرة:

- تأكدي إن معاكى حاجتك، ويالا بينا!

- اوكي

جمعت سريعًا متعلقاتها الخاصة وهي تجوب بأعينها المقعد لتتأكد أنها لم تنس أي شيء، لحقت بعدها بـ "يزيد" الذي ترجل أولاً من العربة لتتفاجأ بعدد الرجال الذين ينتظرونه في المحطة، تابعت ترحابهم الودود - والحميمي أيضًا - باهتمام حتى قدمها إليهم قائلاً:

- ودي مراتي

رسمت ابتسامة مصطنعة على ثغرها وهي تمرر نظراتها الخجلة على وجوههم الجادة، رد عليه أحدهم بابتسامة:

يا مرحب بيها

قربها "يزيد" منه مشيراً لها بعينه لتبادلهم التحية خاصة حينما هتف أحدهم:

-امنورة يا ست الكل

ردت بخفوت وهي تبتمسم:

شكراً على ذوقكم

صاح أحدهم وهو يسرع في خطواته:

-العربية جاهزة يا باشا، هنطلعوا على دوار الحاج "جلال" طوالي!

أوما برأسه قائلاً باقتضاب:

-ايوه

حمل أحدهم الحقائب عنه ليبدأ الجميع بعدها في السير نحو بوابة المحطة، تساءلت فرح بفضول:

-مين دول؟

أجابها "يزيد" بتفاخر:

-معارفي

رفعت حاجبها للأعلى مرددة بإعجاب:

ماشاء الله، وأنا اللي كنت مفكرة إن مافيش حد عارفك هنا

رد عليها بنبرة متباهية تبعث الفخر على النفس:

-إنتي لسه شوقتي حاجة، دي بلدي يا فرووح، يعني أهلي وعزوتي كلهم هنا

.....

بعد أن استقلت السيارة بجوار زوجها في المقعد الخلفي، أبت "فرح" أعينها مركزة على الطريق كي لا تفوت فرصة تأمل أي منظر طبيعي، تمت لو أخرجت الكاميرا الخاصة بها من حقيبة السفر لتسجل تلك المشاهد حتى تظل محتفظة بها في ألبوم للصور بالإضافة إلى ذاكرتها العقلية، مالت على "يزيد" تهمس له:

-بصراحة ماتوقعتش المكان يكون كده

ضيق عينه اليسرى متسائلاً

-كنتي مفكره ازاى؟

أجابته بجرح وقد تورد وجهها:

-يعني على حسب ما بأشوف في المسلسلات

أوما برأسه متفهماً مقصدها المنتشر عند أغلب الناس حيث يعتقدون أن صعيد مصر ما هو إلا منطقة نائية خالية من الخدمات الأساسية كالمرافق والصحة وحتى الخدمات التعليمية، عبست ملامحه تلقائياً وهو يرد بسخط:

أها، نظام الأفلام القديمة والجو بتاع جاي من ورا الجاموسة ومخه قفل

رمشت بجفניה هامسة بخجل أكبر:

-بصراحة أه

أشار لها بيده لتنظر نحو النافذة لتأمل التصميم الحديثة للبنايات وكذلك الطرق المرصوفة والمطلية بألوان زاهية قائلاً:

-أديكي هتقعدي يومين هنا وتشوفي الحال عامل ازاى

مطت فمها للأمام كتعبير عن إعجابها بما تراه، أردفت قائلة بحماس:

-أنا مبهورة بصراحة

استمرت جولتهم بالسيارة قاطعين الطرق الرئيسية حتى ظهر أمامهم طريقًا فرعيًا، انحرف قائد السيارة نحوه ليكمل باقي الطريق إلى وجهته الأخيرة، حيث منزل العائلة.

.....

بالطبع لم يختلف المشهد كثيرًا عما كانت تتخيله "فرح" في عقلها من وجود منزل كبير يتوسط عدد لا بأس به من الأراضي الزراعية على مرأى البصر، شعرت لأول مرة أنها تتنفس هواءً نقيًا منعشًا رغم حرارة الجو المرتفعة نسبيًا، لكن مشهد الخضرة مع السماء الصافية أضفى بهجة خفية إلى روحها، التفتت إلى "يزيد" تسالته:

ده البيت؟

أجابها ببسمة سعيدة لحماسها الواضح:

اه هو

ردت بحسرة ظهرت أيضًا في وجهها الذي ازداد توردًا:

ما شاء الله، شبه القصور بتاعة زمان

لف ذراعه حول كتفها قائلاً بجدية واضحة في نبرته وتعبيرات وجهه:

عشان ده بيت العيلة

انتبه كلاهما لصوت أنثوي أتى من على بعد، أدارت فرح رأسها في اتجاه صاحبة الصوت لتجد امرأة مسنة متشحة بالسواد لكنها تملك من النشاط ما يجعل وقفها ومشيتها كالشباب، نظرت لها بتفرس متأملة قسّمت وجهها الذي لم يخلو من التجاعيد، شعرت بقلبي طفيف مع اقترابها، ربما لأنها فرضت وجودها قبل أن تنطق بترحاب:

يا أهلاً بالغالي، والله وليك شوق يا ابن الغالين

انحنى "يزيد" أمامها ليقبل يدها قبل أن يحتضنها قائلاً:

مرات عمي

ابتعد عنها فمسحت بيدها على رأسه، ربتت على كتفه متسائلة:

-كيفك يا ابني؟

أجابها بابتسامة راضية:

-الحمد لله يا مرات عمي

تسائل أحدهم من الخلف بنبرته الخشنة:

-نودي الشنط فين يا حاجة "مفيدة"؟

أجابته بلا تفكير وهي تشير بذراعها:

على أوضة الغالي، أنا مخلية البنات ينضفوها وخلوها زي الفل

مالت "فرح" على "يزيد" وهي تشب على قدميها لتسأله بفضول:

-هو إنت كنت قاعد هنا؟

أجابها باقتضاب موزعاً أنظاره بينها وبين زوجة عمه:

-أيوه

سألته من جديد:

-ودي صغيرة ولا كبيرة كده

-دلوقتي هتشوفها

طب و.....

قاطعها محذراً بصوت خفيض:

يا ريت تبطلي أسئلة المخبرين دي دلوقت لحد ما ندخل جوا
عبس وجهها من صرامته التي ظهرت على تعابيرها قائلة على مضض:
ماشى

تساءلت "مفيدة" بهدوء مريب وهي تركز أنظارها الحادة على وجه "فرح":
دي مرتك؟

حرك رأسه بالإيجاب قائلاً:

أه، "فرح"

ابتسمت لها "مفيدة" نصف ابتسامة مسلطة أنظارها التي جعلتها تتوتر منها لتقول
بعدها بنبرة لم تستسيغها:

يا أهلاً بيكي يا بتي !!

.....

الفصل الثامن والعشرون (جزء أول)

تفرست فيها بنظرات لم تشعرها بالارتياح، ربما لذلك الوقار المهيّب البادي عليها أو لتعبيراتها الصلبة التي توحى بالقوة، لكنها أبت "فرح" في مكانها تطالعها بحذر، تسرب إليها إحساسًا بالخوف من مجهول ما مترص بها، نظرات "مفيدة" الجامدة نحوها أكدت ذلك الشعور، رمشت "فرح" بعينها بارتباك قلق انعكس في نظراتها إليها، أخرجها من تحديقها المطول فيها صوتها المردد بهدوء يحمل النبرة الآمرة:

سلمي عليا يا بتي!

ثم صمتت للحظة لتضيف بنبرة ذات مغزى:

متخافيش مش هاكلك

احتقن وجهها بحمرة حرجة من تلميحتها الصريح وكأنها تشير إلى كونها تأنف من الاقتراب منها، دافع "يزيد" عن فرح التي تخرجت منها بصورة بائنة قائلاً بؤدٍ محاولاً إذابة حاجز الجليد بينهما:

معلش هي بتكسف شوية

دفعها من ظهرها برفق لتقترب منها، فتحت لها "مفيدة" ذراعها متابعة بحماس مقلق:

تعالى في حضني يا مرات الغالي

ضمّتها "فرح" إلى صدرها كنوعٍ من الترحيب بها وهي تقول بنبرة محترّة:

ميرسي يا طنط

تعمدت "مفيدة" احتضانها بقوة لتشعرها بصحتها رغم كبر سنّها، أبعدتها عنها وهي تعاتبها بجديّة:

إيه الكلام الماسخ ده، إتي تجوليلى (قوليلي) يا أمّاه، يا حاجة، يا ستنا، لكن عوجة البوج (بؤ / فم) دي ماتمشيش إهنة!

عبست "فرح" بوجهها مستنكرة ما تدعيه عليها، هي فقط غير معتادة على تلك النوعيات من الترحيب الزائد، التفتت برأسها إلى يزيد ترمقه بنظراتها الحائرة فتدخل في الحوار مبرراً طبيعة شخصيتها:

-مش واخدة لسه علينا يا مرات عمي
مصمست شفتيها قائلة بتهكم واضح على حركة فمها وإيماءاتها:
-بكرة تتعود

تنحى بصوتٍ خفيضٍ محافظاً على تلك البسمة الباهتة المتشكلة على ثغره، أشار لـ "فرح" بعينه بنظرات ضمنية آملًا أن تفهم ما يرمي إليه، لكنها لم تستطع تقبل تلك المعاملة الجافة التي تحمل نوعاً من الازدراء لها، حتى وإن لم يكن الأمر مصرح به علناً، أضاف "يزيد" قائلاً ليغير مجرى الحوار:

-مبروك لبنت عمي، وإن شاء الله ربنا يتم على خير
ردت عليه "مفيدة" بامتنان:

-الله يبارك فيك يا غالي

ثم سلطت أنظارها على وجه "فرح" لتضيف بنبرة موحية:

-وعجبال (عقبال) مانفرحوا بعوضكم

لوت الأخيرة ثغرها مرددة بجدية اتسمت على ملامحها:

-لسه بدري، احنا

قاطعتها "مفيدة" بحدة ومصدومة من ردها

-بدري كيف؟ ده اللي زيك معاهم ٢، و ٣ وبطنها جدامها (قدامها)، ولا إتي فيكي عيب وما نعرفش؟

فغرت "فرح" فمها بذهول كبير، لم تتوقع تلك الفظاظ في الرد والوقاحة في التعبير، وما زاد الطين بلة حينما وجهت حديثها لزوجها لتضمه إليها في موقفها قائلة:

-ما تجولها (تقولها) يا ولدي، الحريم اللي زينا معاهم أد إيه

اشتعلت نظراتها من طريقته الساخطة نحوها وكأنها وضعتها في قائمة أعدائها دون سابق إنذار رغم عدم معرفتها به، حاول "يزيد" أن يخفف من حدة الموقف قائلاً بلطف:

-مرات عمي مش وقته الكلام ده!

رفعت "مفيدة" حاجبها للأعلى متسائلة باستنكار:

-هي ناوية تعمل زي مرتك الأولى ولا إيه؟

شعرت "فرح" أنها ستنفجر غضباً بين لحظة وأخرى، فهي تعتمد استفزازها لأقصى الحدود، وهي تستهلك قدرًا كبيرًا من طاقتها لتضبط انفعالاتها، لكن تلك المرة تجاوزت معها الخط الأحمر، فردت عليها صائحة بتشنج:

-لا، أنا مش زينا!

بدا صوتها مختنقًا أكثر منه متعصبًا، كورت قبضتها بغيظ وهي ترمقها بنظراتها المحتدة، تجاهلت "مفيدة" ردها وحتى ردة فعلها متابعة ببرود جليدي لتضاعف من حنقها:

-العمر بيجري يا ولدي، وعاوزين نفرحوا بعيل من صلبك

رد عليها "يزيد" بجدية:

-ربنا مآذنش لسه، وخلّاص يا مرات عمي، نقفل على السيرة دي

مصممت شفيتها من جديد لتقول بعدها:

-براحتك!

ثم نظرت بطرف عينها لـ "فرح" لتضيف بتأفف:

-وهي بجي (بقي) اللي جالتك (قالتك) متعزمش أهلك على فرحك؟ إيه بتستعر
مننا؟

اعتلت الصدمة الجلية نظراتها فانفرجت شفتها في عدم تصديق من فجأتها، ألجمت
المفاجأة لسانها، فلم تستطع لحظياً الدفاع عن نفسها وإنكار اتهاماتها الباطلة والتي تلقىها
جزافاً دون حتى أن تكلف نفسها عناء تحري ما تدعيه عليها أو حتى انتقاء ما تلفظه
بلسانها بشكل أفضل ليبدو مقبولاً، رد "يزيد" موضحاً قبل أن يسوء الوضع ويفقد كلياً
السيطرة عليه:

-لأ يا مرات عمي، كل حاجة جت على السريع، ده غير إن "أم فرح" ماتت قبلها،
ومعملناش حاجة

قوست فيها لتتحدث من زاوية فيها بعدم اقتناع:

-الله يرحم الجميع

أضافت ببرود متعمدة إشعال النيران بداخل "فرح":

لو كنت شورتي كنت جوزتك واحدة من إهنه، حاجة تليق بيك

شخصت أبصار "فرح" على الأخير مصعوقة مما تسمعه، بدت كما لو كانت في كابوس
مهلك للأعصاب يختبر مدى صلابة قوتها، أتى رد "يزيد" كالبلسم محاولاً إخماد ما قد
يشعل فجأة:

-أنا بأحب "فرح"، وهي أغلى حاجة في حياتي

مطت فيها مرددة بازدراء:

-بتحبها؟

-ايوه، ومقدرش أستغنى عنها، ربنا يباركلي فيها، ادعيلنا يا مرات عمي
تهدت "مفيدة" قائلة بفتور عابس:

-ربنا معاك يا ولدي

تابع مضيئًا بهدوء وهو يوزع أنظاره بين وجهي كلتاهما:

-اسبقيني يا مرات عمي، هافرج "فرح" على الأرض و...

قاطعته الأخيرة بجفاءٍ وهي تنظر لزوجته بطرف عينا لتشعرها أكثر بالدونية
والاحتقار:

-وماله، دي حاجتك يا ولدي!

وضع "يزيد" قبضته على ذراع "فرح" ضاغطًا عليه برفق كي لا تنفل وتتحامل على
نفسها ريثما تنصرف زوجة عمه، وما إن ابتعدت حتى انفجرت فيه بغضبٍ مبرر:

هو لسه في ناس بتفكر بالشكل ده؟

مسد يديه على جانبي ذراعيها ليربت عليهما برفق كوسيلة للتهوين عليها وامتصاص
غضبها، استأنف حديثه قائلاً بحذر:

-معلش يا حبيبتي، هي ست كبيرة وبتفكر زي زمان و...

قاطعته هادرة بتشنج وقد تصلب وجهها من شدة العصبية:

-دي كان ناقص عملي كشف هيئة تشوف إن كنت هانقع ولا لأ

ضغط بأصابعه على عضلات ذراعيها هامسًا بجدية:

-اهدي بس، وكله هايعددي

نفضت قبضتيه هاتفة بحدة وقد بدا عليها الغضب واضحًا:

قول إنك جاييني هنا عشان أتهزأ؟

دافع عنها وهو يضغط على شفثيه ليتحكم في ضيقه:

-والله ما تقصد

ما أوصلها لذروة عصبيتها وضعها في موقف المقارنة مع طليقته السابقة، تابعت صراخها مستنكرة ذلك بشدة:

-وبعدين أنا مالي ومال اللي كنت متجوزها، بتقارني ليه بيها
مسح يده على كتفها برفق معللاً:

عندك حق في كل كلمة هاتقولها، بس هي مرات عمي، ولازم احترامها حتى لو
قاطعته باستياء محبط وكأن همومها قد تضاعفت جبلاً:

بجد أنا مش عارفة هاتعامل ازاي معاها
رد بجدية:

-هما يومين، قضيا بالطول ولا بالعرض وخلاص

أغمضت "فرح" عينيها متجنبه التحديق في أي شيء، أرادت أن تحط الدماء الثائرة
في عروقها لتهدأ قليلاً، تنفست بعمق لعدة مرات فتوسم "يزيد" خيراً، ابتسم مداعباً
وجنتها بإصبعيه:

عشان خاطري أنا، كله هايعدني، خلاص

فتحت جفنيها لتحقق فيه بوجهها المتجهم، طالعتها بنظراته الرومانسية التي أرخت
تعبيراتها المشدودة، بدأ في مغازلتها بكلمات معسولة أشعرتها بأنوثتها وجعلت البسمة
تعرف الطريق إلى ثغرها من جديد، تنفس الصعداء لنجاحه في تخطي الأمر بسلاسة،
لكن ما لم يدعه في الحسبان هو أعين زوجة عمه التي تراقبها كالصقر من النافذة المطلة

عليها، امتعض وجه الأخيرة على الأخير، واغتاضت من رؤيته في تلك الحالة الحاملة مع زوجة لا تليق به من وجهة نظرها، خاصة أن تجربة زواجه السابقة لم تأت بخير، وانعكس تأثيرها عليه لفترة طويلة، للحظة ظنت أن "فرح" تحيك حائلها الأثوية وتكيد له كالشيطان لتضمن خنوعه وركوعه عند قدميها، فيصير كالحاتم في إصبعها، احتقنت نفسها منها، وشحذت قواها الغاضبة الكارهة لها ضدها، لذلك حسمت أمرها بإذاقتها ما لا تطيق لتفسد ما بينهما، حدثت نفسها قائلة بغل:

-بناجص (بناقص) منها الجوازة المجدلة دي، أنا هاشوفله الأحسن منها
سارت بخطوات واثقة تدب الأرض حتى وقفت عند باب المنزل الكبير لتصيح بصوت جهوري يلفت الانتباه:

-إيه يا ولدي، هاتفضل مجزيا (مقضيها) إكده لازح (لازق) في المحروسة؟
حملت نبرتها الإهانة رغم عدم استخدامها لما يشير إلى ذلك، لكن يكفي التطلع إلى وجهها لترى البغض مرئيا على تعبيراتها، التفتت "فرح" بأعينها نحو "يزيد" متوقعة منه ردًا رادعًا يمنعها من التماذي أكثر معها، لكنها تفاجأت به يقول بابتسامة سخيفة وهو يلوح بيده:

-أنا جاين
استشاطت نظراتها على الأخير من رده الفاتر، لكزته في ذراعه حينما مده ناحيتها صائحة بحنق:

-حاسب يا "يزيد"، ولا كلمة زيادة
نفخ بضيق مبدئيا هو الآخر اعتراضه على تصرفات "مفيدة" المستفزة، تتم مع نفسه بسخط مزعوج:

-شكلها هتولع نار، استر يا رب

الفصل الثامن والعشرون (الجزء الثاني)

بدأت الحيرة واضحة عليه بسبب أفعال زوجة عمه الغير متوقعة، كان متوسماً فيها استقبلاً ودوداً يشعر زوجته بالانتماء والمحبة، لكنها خالفت توقعاته وأشعرتها بالدونية والازدراء، هو يحاول جاهداً أن يرم الصدع في علاقتهما المتأرجحة، وفي نفس الوقت يجاهد كي لا يفسد العلاقات الأسرية الطبيعية، بات "يزيد" بين مطرقة "مفيدة"، وسندان "فرح"، وعليه أن يتخذ القرار ليخمد الفتنة بينهما قبل اشتعالها، حدث نفسه قائلاً:

الحكاية مش ناقصة تتعقد

ركز عينيه على زوجته متابعاً بقلبي مزعوج:

ده احنا ممكن نطلق فيها

شعر بمرارة في حلقة لمجرد التفكير في ذلك الاحتمال المخيف، ابتلع ريقه بتوجس ونقض عن عقله تلك الأفكار السوداء، تحركت "فرح" بخطوات أقرب للعصبية حتى بلغت الدرج الأمامي لبوابة المنزل الكبير، اهتمجت الدماء في عروقها بسبب كلمات "مفيدة" المحفزة للغضب والانفعال، عكس وجهها قدرًا قليلًا مما يغلي بداخلها، ربما ضبط الأعصاب في ذلك الموقف يعد مكسبًا كبيرًا، لكن مع مثيلاتها الردع الصارم هو الخيار الأمثل لوضع الأمور في نصابها الصحيح، وقفت أمام "مفيدة" تحدجها بنظراتٍ مغلوطة على الأخير، تنفست بعمق لتتمكن من السيطرة على نبرتها وهي تقول:

هو مش متجوز واحدة أي كلام، ولا أنا هاقبل بأي إهانة تحسلي هنا، المكان اللي مش مرحب بوجودي، مافيش داعي أكون فيه، أنا هأخذ شنطي وأجيز في أي فندق التوى ثغر الأخيرة بابتسامة مغترة قائمة ببرود:

-وحد جالك (قالك) حاجة ولا إتي الي مش عاجبك الحال هنا
-أنا برضوه؟

-يوه، ده

قاطعها "يزيد" بصوته الأجش وبقوة بعد أن وقف خلف زوجته:
-مراتي معاها حق يا مرات عمي

التفتت "فرح" للخلف غير مصدقة ما قاله تَوًّا، للحظة شعرت بالانتشاء لكونه قد دعم موقفها ووقف إلى جوارها معيدًا لها كرامتها التي أهدرت على يد سليطة اللسان تلك، تفاجأت "مفيدة" بدفاعه عن زوجته محطّمًا أول مخططاتها لإفساد علاقتها الودية، أضاف "يزيد" بتفاخر ليشعر زوجته باهتمامه بها ومعزّزًا من موقفها:

-أنا بأحبها ولو في حاجة هتضايقها يبقى مافيش داعي منها، احنا جايين هنا عشان نقوم بالواجب

حل الوجوم الشديد على وجه "مفيدة"، هتفت بتلهف مبررة عباراتها:

-لا يا ولدي، أني بس بـ

قاطعها من جديد مشيراً بيده:

-دي ضيفة عندك، وإكرام الضيف واجب

ثم لف ذراعه حول كتفي "فرح" ليحاوطها، ركز أنظاره الوالهة عليها وهو يتابع بابتسامة ساحرة:

-كفاية إنها مستحمة كل حاجة مني!

بددت كلماته التي أثلجت صدرها وأطفأت نيرانها المشتعلة كل غضب مشحون بها، طالعه بنظراتها الممتنة والتي لمعت ببريق محبب له، تقوس ثغرها بابتسامة صغيرة أشعرتها بقوة بحبه الصادق لها، أدار "يزيد" رأسه في اتجاه "مفيدة" متسائلاً:

ها يا مرات عمي، تقعد ولا ؟

شحب وجهها الواجم متوقعة رحيله إن أصرت على اتباع طريقتهما الفظة في التعامل مع "فرح"، ردت بتلهف وهي تبتلع ريقها:

-ده بيتك يا ولدي، اتفضلوا

أفسحت له المجال ليمر للداخل، هز رأسه بامتنان وهو يسير بجوار زوجته دون أن يرخي ذراعه عن كتفها لتشعر الأخيرة بالأمان والاحتواء في أحضانه، تجمدت أنظار "مفيدة" عليهما مرددة في نفسها:

-شكلك واعرة جوي (أوي)، بس أني الحاجة "مفيدة"

.....

تأملت "فرح" بنظرات شمولية خاطفة المنزل بالداخل وهي تصعد على الدرج، لم تنكر أنه لفت انتباهها بتفاصيله العريقة التي تحمل علامات الزمن بين جدرانه، ارتسمت علامات الإعجاب على ثغرها فهمست بصوت رقيق:

-بيتكم حلو

شدد من ضمه لها مرددًا بصوته الخفيض رامقًا إياها بنظراته العاشقة:

عينيك اللي حلوة عشان شيفاه

تورد وجهها بتلك الحمرة المغرية متأثرة بغزله لها، تابعت بامتنان:

حبيبي، ربنا يخليك ليا

أشار لها بيده المحررة لتسير في الرواق حيث تتواجد غرفته في نهايته، أمسك بالمقبض ثم أداره لتلج هي أولاً للداخل، أوصد الباب خلفه متأملاً إياها وهي تنظر بتفحص لمحتويات الغرفة القديمة، لم يتغير أي شيء بها، فزوجة عمه اعتنت جيداً بما يخصه، فقط الشراشف والأغطية كانت جديدة، شعرت "فرح" بيده توضع على عنقها تدلكه، اقشعر بدنهما من لمساته الرقيقة عليه، أغمضت عينيها مستسلمة لذلك الشعور المريح الذي منحه لها نازعاً كل تلك التوترات منها، وما إن انتهى حتى حاوطها بذراعيه ليلتصق ظهرها بصدرة، احتواها كلياً ف لحظة فشعرت أنها اندمجا من جديد كروح واحدة، أسند "يزيد" رأسه على كتفها ليهمس لها في أذنها عن قرب مستشعرة سخونة أنفاسه على بشرتها:

إنتي مراتي، أغلى حاجة عندي، بأحبك، وكرامتك من كرامتي، فاطمني أنا مش هاسمح لحد ييجي عليك

استمتعت بتأثير كلماته المطمئنة على روحها التي تأملت لبعض الوقت، خاصة أنها كانت مصحوبة بملاطفات عابثة منه عليها، أدارها ببطء دون أن يفلتها لتلتقي العين العاشقة ببعضها البعض، عاتبته هامسة برقة وهي تطوق عنقها بذراعيه:

-بس إنت سكت في الأول لما

قاطعها واضعاً إصبعه على شفيتها:

-ششششش، انسي اللي فات!

شهقت مصدومة بخفوت حينما انحنى قليلاً ليحملها بين ذراعيه، تعلق أكثر به وهي تضحك ياغراء يلهب الحواس ويؤجج المشاعر المتقدة لحب أكثر عمقاً، دنا من الفراش قائلاً بتسلية:

-لازم نخط بصمتنا هنا و.....

ابتلع باقي جملته في جوفه حينما سمع الدقات القوية على باب الغرفة لتحل الصدمة على كلاهما، أعقبها صوت "مفيدة" الهاتف:

-جول (قول) لمرتك يا ولدي تنزل مع الحريم، هما عاوزينها معاهم

امتعض وجه "فرح" على الأخير وانزوى ما بين حاجبيها بشدة، ركلت بساقها هامسة بغيط واضح وهي تكز على أسنانها:

-نزلني يا "يزيد"، دي مستقصداني والله

همس لها بهدوء ليسيطر على انفعالاتها قبل أن تفجر، وتلك المرة حتماً لن تكون النتائج مبشرة بأي خير:

-استني، أنا هاتصرف

رفض تركها وظل حاملاً إياها وهو يقول بنبرة عالية تمكن من بالخارج من سماعه:

معلش يا مرات عمي، "فرح" تعبانة ومش هاتقدر تنزل دلوقتي، المشوار تعبها خالص ردت عليه "مفيدة" باستنكار:

هي أول مرة تسافر؟ ما الحريم مع اجوازتهم من بعد الفجر في الغيطان، وبعدها بيطلعوا يساعدوا في الدار صاح معللاً سبب امتناعها:

دول الستات هنا، "فرح" مش زهم، ليها وضعها يا مرات عمي أتاها صوتها من الخارج قائلاً:
-ماشي يا ولدي، اللي تشوفه

صمت كلاهما حتى خبا وقع أقدامها، التوى ثغر "يزيد" بابتسامة عابثة وهو يقول متباهياً:

ها إيه رأيك فيا؟

رفعت حاجبها مرددة بإعجاب مبتسمة له:

-برافو عليك

عبس بوجهه متسائلاً بنبرة ذات مغزى:

-كده على الناشف؟

فهمت المقصد من حديثه اللاهي، أحنت رأسها عليه لتتمكن من تقبيل صدغه بقبلة مطولة مليئة بالكثير فأطلقت العنان لمشاعره الرجولية التي تأججت مع أحاسيسها الواضحة، تراجعت عنه مطوقة عنقه من جديد بذراعيها لتزيد من دلالتها عليه، أشار لها بعينه متسائلاً:

بس كده يا فراشتي؟

همست له بمكرٍ مدروس:

-أومال عاوز إيه ثاني؟

اقترب من الفراش ليمدها عليه، جثا فوقها مستندًا بكفيه على طرفي الفراش، ضحكت بخفوت وهي ترمقه بنظراتها العابسة، انحنى عليها متابعًا:

هاقولك يا حب عمري!

دفعته من صدره بكفيها لتبدي احتجاج زائف على اقترابه الخطير وهي تتحداه بدلالٍ محفز:

مش عاوزة

رد متحديًا بخشونة طفيفة:

-أنا يتقالي لأ؟

أومات برأسها وهي تكرر ضاحكة ليضيف بجدية:

هانشوف!

وهنا بدأ "يزيد" في عزف مقطوعة الحب بطريقته الاحترافية على أوتار قلبها، فتحولت الضحكات إلى تأوهات استمتاع دجت روحهما معًا، وأشبعت وجدانها بعواطف فياضة.

.....

تملك منها التعب فلم تستيقظ إلا في صبيحة اليوم التالي، تشاءبت "فرح" بتأوية خافتة وهي تتقلب على الفراش، مدت يدها نحو "يزيد" متوقعة وجوده إلى جوارها، لكنها وجدت مكانه باردًا، فتحت جفניה بسرعة لتنفض بقايا النعاس منها، تلفتت حولها

باحثة عنه في أرجاء الغرفة فلم يكن له أي أثر، انقبض قلبها بقلقي وهي تزيح الغطاء عنها لتنزل قدميها عن الفراش، سارت ببطء حتى بلغت المرأة، تأملت هيئتها الغير مرتبة وشعرها المبعثر للحظات، امتنعت تعبيراتها باستنكار، أخفضت نظراتها لتحقق في ندوبها البائنة في عنقها، وضعت يدها عليها تتلمسها بجذير فشعرت برعشة تنتابها، أغمضت عينيها للحظات لتستعيد ليلة أمس في عقلها، وكيف برع زوجها في إشعارها بأن تلك الندوب ما هي إلا لوحة فنية ضاعفت من جمالها، حيث انهار على كل جزء فيها بالقبلات العميقة و المطولة لتشعر مع لمساته أنها تصعد إلى عوالم وردية، تلاأت حدقتها تأثراً بشغفه الواضح، ابتسمت عفويًا وهي تهمس باسمه:

- "يزيد"

أكملت باقي تأمل ثوب نومها الأبيض بابتسامة سعيدة، شعرت كما لو كانت عروسًا جديدًا تزوجت بالأمس، فما اختبرته الليلة الماضية كان حلمًا مكتمل الأركان، أفاقت من شرودها ماسحة بأطراف أناملها عبارتها الفرحة العالقة عند طرفي مقلتيها متذكرة عدم وجود زوجها بالغرفة، ظنت أنه نزل ليجلس قليلاً بالأسفل بصحبة أقاربه، مطت فمها باستهجان، فهي اليوم عليها مجابهة الفظة زوجة عمه وتحمل وقاحتها وأسلوبها الرخيص في التعامل معها، عاهدت نفسها قائلة:

مش هاديها الفرصة تستفرض بيا، هطلعها غلطانة لو فكرت تدوسلي على طرف! استدارت بجسدها باحثة عن حقيبة سفرها، وجدتتها موضوعة عند زاوية الغرفة، ثاءبت مجددًا يارهاق وهي تسير في اتجاهها، انحنى لترفعها على المقعد العريض ثم فتحتها لتخرج منها ثيابًا لائقة ترتديها، انتفضت "فرح" في وقفها مذعورة حينما وجدت من يقتحم عليها الغرفة دون استئذان، احتدت نظراتها وتلونت بغضبٍ مبرر عندما رأت "مفيدة" أمامها تنظر إليها بوقاحة غير واضحة أي ضوابط لقواعد احترام الخصوصية، صاحت فيها بعصبية وقد تشنجت قسايتها:

ليه ده؟

وضعت قطعة الثياب على صدرها تغطي مفاتها وهي تتابع بنفس النبرة المنفعلة:
- في حاجة اسمها نستأذن الأول قبل ما ندخل
رمقتها "مفيدة" بنظرات جريئة ووقحة لم تراع فيها انكشاف جسدها من أسفل ثوبها
الشفاف، لوت ثغرها قائلة بعدائية أجفلتها:
- هاتعلميني الأصول في بيتي يا مصراوية؟!
.....

الفصل التاسع والعشرون

لو كانت الوقاحة رجلاً لأرتده قتيلاً دون ندم أو تأنيب ضمير، للحظة شُل تفكيرها وهي تستوعب اقتحام تلك الفظة لغرفتها بطريقة سافرة مكلمة استفزازها المستنفذ لهدوء الأعصاب متناسية آداب الضيافة، انتصبت "فرح" في وقفها مخبئة ما كشف منها بقطعة الثياب هاتفة بتشنج:

- وهو من الأصول تخشي عليا الأوضة وأنا كده؟

رمقتها "مفيدة" بنظرة مطولة شملتتها من رأسها لأخص قدميها، رأت في نظراتها نحوها تأففاً جلياً، بل ونفوراً واضحاً على تعبيرات وجهها، تجهمت متسائلة بانفعال:

- قولي إني غلطانة يا حاجة "مفيدة"؟

تصرفت "فرح" بتلقائية مدافعة عن خصوصيتها فلم يطرأ ببالها أن تجد أعين الأخيرة القاسية والحادة مثبتة على ندوبها، تلك العلامات التي تركت أثرها على عنقها لتصبح سبباً قوياً في الإساءة إليها، تقوس فم "مفيدة" للجانب مبدية اشتمزازاً علنياً منها وهي تقول:

ليه الجرف (القرف) ده؟

اعتصر قلبها ألماً من كلماته الطاعنة، عفويًا ارتخت يداها عن قطعة الثياب الممسكة بها لتضعهما على عنقها لتخفيه عن عينيها، اغرورقت حدقتها بعبرات كثيفة حينما تابعت بقسوة:

ولدي واخذ واحدة معيوبة؟!

اهتز بدنهما كلياً مع شراسة حديثها الذي لم وأد مشاعرها فوراً، أغمضت "فرح" جفניה بقوة وهي تتراجع مبتعدة للخلف ليلتصق ظهرها بضلفة الخزانة، لم تقوَ ساقها على حملها، شعرت أنها على وشك الانهيار أمامها، أنجاها من شرها المستطر اقتحام تلك الشابة للغرفة، هتفت الأخيرة موبخة والدتها بنبرتها المزعوجة:

ليه يامه اللي بتعمله ده مع الضيفة؟

أجابتها بشراسة مهلكة لما تبقى من روح "فرح":

تعالى يا "سوسن" شوفي اللي اخترها "يزيد" بدالك، واحدة استغفر الله، مُسخ! شهقت ابنتها من لسانها السليط الذي بدا كالسياط وهي توصف ضيفة المنزل بأقذع الألفاظ، ارتفع حاجبي "سوسن" للأعلى باستنكار وهي تضع قبضتها على كتفي أمها لتجذبها نحو باب الغرفة:

مايصحش الكلام ده، بينا يامه من هنا!

نفضت "مفيدة" ذراعها عنها مرددة بعبوس:

-أني خارجة ماتمسكينش!

استمعت "فرح" إلى صوت بصاقها دون أن تكون بحاجة للنظر إليها، تعالت شهقاتها مع نحيبها المكتوم، لم تتعرض لمثل ذلك الإذلال المهين من قبل، هوى جسدها وهي تدفن وجهها بين راحتي يدها مطلقة لنفسها العنان لتبكي بمرارة وحرقة لتدخل من جديد في دوامة أحزانها التي لا تنتهي مجترة كأس ذكرياتها المؤلمة.

.....

لم تستطع تحمل رؤيتها تذلل وهي ضيفة عزيزة في منزل العائلة لمجرد ضغائن حملتها أمها ضد طليقة ابن عمها "هايدي" متوهمة أن "فرح" مثلها ستعاملهم بكل احتقار وحقده، وبخت "سوسن" - ذات البشرة الخمرية والأعين البنية - والدتها قائلة بعتاب كبير:

حرام عليكي يامه، أيه "يزيد" هايقول عنا إيه بس، احنا عازمينه على فرحي، وجايين مرته نهدلها

حدجتها "مفيدة" بنظرات نارية لترد بعدها بعدائية:

-هتدافعي عن المصراوية جدادي (قداي)؟

ثم زمت شفيتها متابعة:

ما إتي خلاص بجيتي (بقيتي) ترطني (تكلمي) بلغوتهم، ونسيتي عوايدنا

ردت عليها "سوسن" بقوة نابعة من أصلها الطيب:

-أنا اتعلمت يامه في أحسن الجامعات مش عشان أعوج لساني ولا أنسى أصلي، وعوايدنا علمتني إن إكرام الضيف واجب، فإذا عوزاني أسكت عن ظلمك ليها؟

ثم تحولت لنكتتها للصعيدية وهي تضيف متسائلة بانفعال:

من ميتي (امتي) بنعايرو الناس؟

ورغم كون ابنتها على حق إلا أنها رفضت الاعتراف بذنبها، اكتفت بالتحديق الصامت في وجهها وهي تزفر بقوة، هزت "سوسن" رأسها محتجة على أسلوبها ولم تتوان عن إشعارها بفداحة ذنبها.

.....

ألقى ببقايا القشة التي كانت في يده بعد أن كسرها إلى جزئين ليلج إلى المنزل مستنشقا رائحة العجين الخبز الذي زكّم أنفه بقوة، ابتسم "يزيد" بسعادة فقد كان يشواق لتلك الرائحة التي عهدها منذ طفولته وصباه، منحته شعورا جميلا بالارتياح، لم يرغب في إضاعة الوقت دون أن يتجول كذلك في بلدته مستعيدا ذكرياته القديمة، فكر في أخذ زوجته في جولة لتري الجمال الطبيعي بها لتشاطره ما يحب، أسرع في خطواته متجها نحو الدرج، لاحظ التوتر السائد بين ابنة عمه والدتها المتواجدتين بالرواق فتساءل باهتمام وهو يمر بينهما:

خير يا مرات عمي؟ حصل حاجة يا "سوسن"؟

توقفت كلتاها عن نقاشهما المحتد، وتجمدت أنظار "سوسن" عليه مبتلعة ريقها بقلق مقروء في عينيها، نزعت "مفيدة" فتيل الصمت لتنفجر صائحة بتهكم:

-بقي تتجوز المسخ دي يا "يزيد"

نزلت جملتها الصادمة كوقع طلقة نافذة أصابته في مقتل، شحب وجهه متسائلا بفزع:

قصدك مين؟

ارتبكت "سوسن" من ملامحه التي تحولت للقساوة ومن نظراته المحتقنة نحو والدتها، شعرت أنه سيفتك بأحدهم إن لم تتصرف هي، حاولت أن تخفف من وطأة الأمر عليه فردت بتلعثم:

مافيش حاجة يا ابن عمي

بدا غير مقتنع بما تقول، استشعر وجود ما تخفيه عنه، بالطبع لم تضيع "مفيدة" الفرصة لتحرق الأرض بمن عليها، التفتت نحو ابنتها ترمقها بنظراتها الساخطة، حذرتها بعصبية بائنة في صوتها:

-اسكتي ساكت يا بت

لم ينتظر "يزيد" في مكانه كثيرًا ليفهم ما ترمي إليه، خمن بذكائه أنها تقصد زوجته، وأنها ربما أساءت لها بطريقة ما، ركض نحو غرفته باحثًا عنها بداخلها، انقبض قلبه بقوة حينما وجد المكان خاليًا منها، قفز قلبه بين قدميه معتقدًا ذهابها، لكن صوت نحيبها طمأنه نسيًا وأعاد إليه روحه، استدار بجسده نحو المرحاض الموصود بابه متنفسًا الصعداء، دق الباب عليه مرددًا بصيغة أمرة وهو يدير مقبضه محاولاً فتحه:

-"فرح"، سمعاني، افتحي الباب!

ارتفع أنينها فتضاعفت مخاوفه عليها، هتف بقوة وهو يقاتل لانتزاع المقبض:

-أنا هاكسر الباب، ابعدي عنه يا "فرح"!

تراجع خطوتين للخلف شاحداً قواه ليندفع نحوه ضارباً إياه بعنف قاصداً خلعه من مفصله، كرر تلك الفعلة مرتين حتى فُتح على مصراعيه، وقف عند عتبه يلهث وهو يجول داخله ببصره، وجدها منزوية بجوار المغطس الصغير فهرول ناحيتها، جثا على ركبتيه أمامها يهزها من ذراعيها الملتفين حول ركبتيها المضمومتين إلى صدرها قائلاً بلهفة مضاعفة:

-"فرح"، ردي عليا

لم تكن في حالة واعي كاملة، لف ذراعه حول ظهرها وتمرر الأخر أسفل ركبتيها ليحملها دون انتظار ردها، خرج بها منه واضعاً إياها على الفراش، جلس بجوارها يمسح وجهها المتورم بيديه مردداً بتلهف مرتعد:

- "فرح"، إنتي كويسة؟

مرر أنظاره على جسدها ليتأكد من عدم وجود أي إصابة به، وخاصة ندوب عنقها، شعرت بالارتياح لأنها لم تقدم على شيء متهور، رفعها إليه ليحتضنها هامساً بصوته المختنق:

أنا أسف، حقتك عليا أنا، حبيبتي ردي بس عليا وطميني

ترددت "سوسن" في الدخول للغرفة بعد أن رأت الحالة العصبية المبررة لابن عمها، كورت أصابع كفها لتضغط عليه وهي تتلج بحذرٍ إليه، أرادت أن تتفقد تلك الضيفة التي قاست القليل من عدائية والدتها دون ذنب فعلي، ضغطت على شفيتها قائلة بمرح وهي تقدم قدماً وتؤخر الأخرى:

إن شاء الله تبقى كويسة

رفع "يزيد" وجهه الملتهب بحمرة غاضبة نحوها ليصرخ بها:

- عملتوا فيها إيه؟

دافعت عن نفسها قائلة نافية أن يكون لها أي يد فيما أصاب زوجته:

والله ما أنا يا أبيه، دي أمي دخلت عليها وأنا حاولت أمنعها

صاح بها بصوته الجمهوري الغاضب مستخدماً يده في التلويح:

إنتو مستكترين علينا أكون مع مراتي؟ للدرجادي مضايكم وجودها؟ عاوز أفهم الكره ده كله ليه؟ هو أنا اللي اتجوزتها ولا أنتو؟

ابتلعت ريقها قائلة بتوجيس:

-أنا ماليش ذنب، بالعكس أنا حابة أقوم معاها بالواجب

واصل صراخه المتعصب بها قائلاً:

لو فرح جرالها حاجة مش ه.....

قاطعته ببسمة باهتة طامعة في نفسها أن تهدأ ثورته:

مش هايحصل إن شاء الله

شدد "يزيد" من ضمه لزوجته، كانت شبه واعية لكلماته الثائرة المدافعة عنها، وجودها

الآن معها أشعرها بالأمان الذي افتقدته في غيابه، هدر متسائلاً باهتياج:

عاوز أفهم بتعايروها بإيه بالضبط؟

التفت ناحية "فرح" يرمقها بنظراته الآسفة، احتضن وجهها براحة يده ماسحاً على

بشرتها برفق وهو يقول بصوتٍ شبه مختنق:

-أنا السبب في اللي حصلها من البداية، لو بتقروا جرايد وبتابعوا أخبار هتعرفوا إن

مراقي كانت هاتموت بسببي أنا!

استدار بتعايره المحقونة غضباً نحو "سوسن" هادراً بنبرة عازمة:

-أنا مش هاقعد هنا ثانية واحدة

هتفت ابنة عمه بقلق وهي تحاول منعه مما عقد النية على فعله:

-استنى بس

كانت نظراته نحوها تحمل العتاب القاسي، وزاد من إحساسها بالذنب حينما عنفها

قائلاً:

متشكر يا بنت عمي، كنت فاركك هتكرمي مراتك، بس طلعت غلطان
دنت منه حتى بلغته، وضعت يدها على كتفه تتوسله برجاء كمحاولة بأسة منها لرأب
الصدع:

-اسمعي يا أبيه، أنا هاجييلها حقها بس ماتمشيش
وقبل أن تضيف المزيد كانت والدتها تقف عند عتبة الباب تطالع ثلاثتهم بنظراتها الغير
مريحة، هتفت صائحة بنبرة صلبة مجبرة إياهم على التحديق بها بغرابة صادمة:
متزعليش يا بتي، ححك (حقك) عليا

صدمة جليلة اعترت أوجههم وهي تعتذر بهدوء وكأنها لم تفعل ما يُشين، رمشت
"سوسن" بعينها لتتأكد أنها لا تحلم، بينما بقيت نظرات "يزيد" المشتعلة على ملامحها
القاسية رافضاً تمرير الأمر ببساطة، فأثر معايرتها لزوجته لن يكون بسهولة اعتذارها
!!

.....

الفصل الثلاثون (الآخر - جزء أول)

ساد صمت متوتر ينذر بانفجارات وشيكة في الأجواء، لم يرتخ ذراع "يزيد" عن "فرح" المرتجفة في أحضانه رافضاً بعناد قبول اعتذار زوجة عمه وكأنها محت ببساطة إساءتها الفجة لها، بدا على أهبة الاستعداد للقتال من أجل حبيبته، تشنجت عروقه وهاجت الدماء في شرايينه حينما هدر بعصبية:

-بعد إيه؟

خطت "مفيدة" نحو الداخل بخطوات حذرة مقتربة من الفراش، حافظت على هدوئها أمام بركان غضبه وهي ترد بأسف:

-أنا مقصّدهش يا ولدي

اهتاج صارخاً فيها بعصبية كبيرة:

-وأنا مش هاقبل مراقي تتهان

قست نظراته متابعًا بحدة وهو يشير بسبابته:

-لا في غيابي ولا في وجودي

هب "يزيد" واقفًا دون أن يفلت زوجته، ثم انحنى نحوها ممرًا ذراعيه أسفل جسدها ليتمكن من حملها، شهقت سوسن مصدومة، ونظرت إلى والدتها بتوجيس، حتمًا سيرحل عن هنا، اعترضت "مفيدة" طريقه ل تمنعه من التقدم نحو الأمام هاتفة بقلق انعكس في نظراتها إليه:

-استنى يا ولدي، رايح فين؟

رمقها بعينه الحمراءتين قائلاً بحسم:

-ماشي من هنا، ومحدث هايمعني

-يا ولدي استهدى بالله الأول

رد صارخًا:

-محدث يكلمني السعادي

راقبت "سوسن" الموقف المتأزم بنظرات متوترة للغاية، حاولت أن تستعطف قلبه فتوسلته بنبرة الأخت التي تتوق لوجود أخيها بجوارها في أهم ليلة في حياتها:

-وأهون عليك تسيني يا أبيه قبل فرحي بيومين

التفت بأعينه نحوها ليرد بتعنيف قاس:

-وحلال اللي اتعمل في مراتي يا "سوسن"؟ ردي عليا

نكست رأسها خزيًا منه، فقد كان محققًا في ادعائه، وجه حديثه إلى زوجة عمه متابعًا بشراسة وقد برزت عروقه:

-أتو مش شايفين بقت عاملة إزاي؟ عاوزيني أستنى هنا لحد ما يجريها حاجة؟
ضمت "سوسن" قبضتي يدها معًا لتقول بتوسلي شديد:

-نتفاهم بس

أصر على رأيه العنيد هادرًا:

-مش هايحصل، أنا هاخدها وهاتقعد في أي فندق

ردت عليه "مفيدة" باستنكار:

-وأهل البلد يجولوا علينا إيه؟ ده حتى عيبة في حقنا

اغتاظ من اهتمامها الزائد بأقويل الغرباء عن ذهابه هكذا فجأة دون مراعاة ما فعلته
عباراتها اللاذعة بزوجته وتأثيرها المدمر على نفسها، صاح منفعلًا وهو ينظر لها بازدياء
متعمدًا ضم "فرح" أكثر إلى صدره والضغط على كل كلمة يتلفظها:

عيبة في حقكم، لكن مراقي مالهاش كرامة عندكم؟

توترت تعبيراتها وارتبكت أمام عناده القوي، ابتلعت ريقها موضحة:

-اصبر أفهمك الأول

بينما أضافت "سوسن" برجاء:

-اسمعنا يا أبيه، الكل جاي يبارك ويهني ومايصحش يشوفوا واقعين في بعض

رد عليها بغلظة وهو يوزع أنظاره الغاضبة بينهما:

-خايفين من كلام الناس ومش خايفين على مشاعر مراقي اللي اتهانت في بيت
جوزها؟!!

شبت "سوسن" على قدميها لتطل كتفه، ومن ثم قامت بتقبيل طرفه وهي تستعطفه:

حقك عليا أنا يا أبيه، مقامكم والله محفوظ وعلى راسنا
لم تتوقف "مفيدة" هي الأخرى عن استمالة عقله المتصلب للعدول عن رأيه فأردفت
قائلة:

سامحني يا ولدي، أني غلطت!
تراجع "يزيد" بزوجته التي يحملها بعيداً عنها هائفاً بجمود:
مش هاستني أكثر من كده
ردت عليه "مفيدة" بحزن:
عاوز تكسر بخاطري؟

كظم غضبه رغماً عنه حينما أمعن النظر في عينيها ورأى الدمعات تتجمع فيهما، راقبت
"سوسن" ردة فعله بترفس، فكرت أن تلجأ إلى حيلة أخرى متعشمة خيراً أن تجبره
بذلك على البقاء، هتفت قائلة بنزق وهي تدعو الله في نفسها أن يتخلى قليلاً عن
عناده:

طيب استنى لحد ما نبعث حد من الرجالة يشوفوا فندق تقعدوا فيه، مش هاتلف
بيها في البلد وهي كده يا أبيه، عشان خاطر مصلحتها هي، خليها في السرير، واحنا
هنخليهم يعملوا كل اللي إنت عاوزه

للحظة أخفض نظراته ليحدق في وجه "فرح" الذابل، كانت بحاجة للبقاء في الفراش
بالإضافة إلى متابعة من طبيب ما ليطمئنه على وضعها الصحي، تضاعف إحساسه
بالذنب لا يصالها لتلك الحالة حتى وإن لم يكن بطريقة مباشرة، أعطى صمته الفرصة لـ
"سوسن" لتكمل بحذر:

فكر بالعقل يا أبيه، ومحدث هاييجي جنبها، وأنا هاراعياها لحد ما تفوق وتبقى كويسة

استغلت "مفيدة" الفرصة لتظهر حسن نيتها فأضافت بتلهف:

-في ضاكتور موجود في الوحدة إهنة، هانبعتوا نجبيوه علشانها يا ولدي، ها جولت إيه؟

رفع وجهه المحقون بدمائه الثائرة لينظر لهما مطولاً، فكر بجدية في حديثها، حبست "مفيدة" أنفاسها مترقبة قراره النهائي، زادت تعابيره تعقيداً وهو يقول بخشونة:

-ماشي، هاستنى لحد ما أطمئن عليها!

تنفست زوجة عمه الصعداء لاستجابته لرجائها حتى وإن كان الوضع مؤقتاً، لكنه منحها بارقة أمل للتفاوض معه من أجل المزيد.

.....

باستعطاف رقيق وتوسلٍ مبالغ فيه أجبرته "سوسن" على الانتظار بالرغم من رفضه الصريح، اصطحبته بعد ذلك للخارج ليجلس مع والدتها التي طلبت الحديث معه على انفراد، كان عابس الوجه متجهماً النظرات، رمقته "مفيدة" بنظرات مطولة تحمل الأسف وطالبة للمسامحة والغفران، لم ترغب في إنهاء زيارته العزيزة بتلك الطريقة المأساوية، اعتصرت عقلها لتفكر في طريقة تسترضيه بها، نظرت له من طرف عينها فوجدته شاردًا في عالم آخر، تهتد محدثة نفسها:

-سامحني يا رب!

انتهت من صب القهوة التي أعدتها على الموقد الصغير لتضعها في فنجانه، مدت يدها بها نحوه لتناوله إياها، تردد لثوانٍ قبل أن يأخذها ثم أسندها أمامه، أدركت أنه مازال غاضبًا منها، أحنت رأسها على كتفه تقبله قائلة بخفوت:

-وادي راسك أبوسها يا ولدي

سحب نفسًا عميقًا حبسه في صدره ليضبط به انفعالاته قبل أن يفسد الأمور، التفت ناحيتها متسائلًا بعتاب:

-ترضيه يا مرات عمي لـ "سوسن"؟

هزت رأسها بالنفي وهي تجيبه:

لع

ثم ضغطت على شفيتها متابعة بنبرة شبه مختنقة:

-بس أني معذورة، غضبي كان عاميني

سألها محتجًا على مبررها الواهي:

هو إتي شوقي "فرح" قبل كده ولا اتعاملتي معاها؟

امتعض وجهها وهي ترد:

لع، بس افكرتها زي المخفية الأولى

انفلتت أعصابه من وضعها دومًا في تلك المقارنة المجحفة، لذا رد بعصية متهورة:

مليون مرة أقول "فرح" مش زيه، ليه الكل يقارنها بيها؟ ليه؟!!!

علت موقفها قائلة بجزم وهي تطرق رأسها للأسفل:

-الي اتلسع يا ولدي من الشورة بينفخ في الزبادي، أني خفت منها، بس ..

ازدردت ريقها مكلمة بندم حقيقي:

-بس ظلمتها!

رفع حاجبه يرمقها بنظراته الجادة وهو يسألها:

فكرك الكلام ده هيراضي "فرح"؟

هزت رأسها متفهمة غضبتها هي الأخرى منها، فالمسامحة لن تكون بالخيار المتاح معها خصيصًا، سألته "مفيدة" بانكسار بادٍ في نبرتها:

-شوف الترضية اللي هي عاوزاها وأنا هاعملها علشانها

كان موقفها حرجًا للغاية، فهي المتسبب الرئيسي في افتعال كل تلك المشكلات منذ لحظة وصولها إلى منزل العائلة، فقط لاعتقادها الخاطئ بأن "فرح" تشبه "هايدي" في تصرفاتها الفظة وفي إساءتها لها، لكنها كانت مجحفة في حقها وظلمتها، أصدرت حكمها عليها دون أن تعرفها أولاً أو حتى تتحرى جيدًا عن أخلاقها، ناهيك عن حقيقة هامة غفلت عنها، ألا وهي أن "يزيد" لن يتزوج مطلقًا من تشبه تلك الوقحة المتمردة في أي شيء، حاولت أن تخلق الأعذار لتدعم موقفها، فتهتد مضيفة بنبرة تحمل المرارة:

- "يزيد" يا ولدي، من يوم ما اتطلجت (اتطلقت) وأنا كان بودي أجوزك "سوسن"، بس إنت مرضيتش

رد بجدية رافضًا أي تلميح في ذلك الأمر:

هو في حد يتجوز أخته يا مرات عمي، ده أنا مريها على إيدي

-أني استخسرتها في الغريب

-ربنا يصلح حالها ويكرمها مع زوجها

يا رب، ها يا ولدي مسامحني؟

جمد أنظاره عليها دون أن ينطق، ثم التفت برأسه ليحدق في الفراغ أمامه، صمت كلاهما لبعض الوقت مانحين أنفسهما الفرصة للتفكير في تبعات كل شيء، قطع "يزيد" هذا السكون مرددًا برجاء لكنه جاد:

-مقدرش أزعل منك يا مرات عمي، بس علشان خاطري محدش فيكم يضايق فرح،
هي .. هي اتعذبت كثير واتهدلت معايا

أومات برأسها قائلة وهي تربت على ظهره:

-اللي تؤمر بيه يا ولدي

هز ساقه بحركات عصبية قبل أن ينهض من مكانه لتسأله الأخيرة بتوجس قلق:

هاتروح فين؟

أجابها وهو يدير رأسه في اتجاهها:

-هاشوف عم "نصر" سأل في اللوكاندة اللي هنا

هبت واقفة من مكانها تتوسله بأعين تسربت إليها العبرات وهي تقبض على ذراعه
بكفيها:

-ورحمة الغاليين كلهم ما تمشي

سحب ذراعه ببطء من بينها قائلاً بإصرار:

-مش هالينفع أستنى بعد كده

احتضنت وجهه براحتيه تستجديه:

-أحب على راسك يا ولدي، خليك إهنة، وأنا هابوس على راس مرتك وأصالحها

نظر لها بجمود لكنها لم تتحمل أن ينفذ ما قاله، انهمرت عبراتها لتؤثر بقوة في جموده
الزائف نحوها، أخرج زفيراً مخنوقاً من صدره وهو يرد:

-القرار ده راجع لفرح

كفكت دمعاتها لتضيف:

إنت جوزها وليك كلمة عليها

رد عليه بلهجة صارمة حتى لا تستخدم طريقتها في استرقاق قلبه:

المرادي هي اللي هاتقرر يا مرات عمي، مش أنا

.....

كانت كمن ألقى بثقل جسده على الفراش بعد أن مارس تمارينًا رياضية مكثفة فتصلبت عضلاته بالكامل، شعرت "فرح" بالتيسر مسيطرًا على ما بقي من جسدها، أخرجت أنفًا موجعًا وهي تتقلب على جانبها، فتحت جفنيها على مهل لتجد ذات الوجه البشوش والباسم تطالعها بنظرات مشرقة مليئة بالحيوية، رمشت "فرح" بعينيها رامية إياها بنظرات استغراب، فوجهها بدا مؤلفًا لها رغم كون هويتها مجهولة، ابتسمت لها "سوسن" قائلة بلطف:

مساء الخير

اعتدلت "فرح" قليلًا لترفع جسدها على الوسادة وهي تتأوه بصوت خفيض، ثم تابعت أسئلتها بنبرتها الناعسة:

إنتي مين؟

أجابتها بنفس الود المندمج أيضًا مع نظراتها:

متقلقيش، إنتي في بيت جوزك

بدأ عقلها يستوعب ما دار معها مؤخرًا، إهانات وصراخ محدد، ندوب وآلام جسدية، إساءات لم تستطع تحملها، وقاحة منقطة النظير، انتفضت "فرح" في نومتها بطريقة مفزعة وهي تتلفت حولها لتتأكد أنها بالفعل في نفس الغرفة التي شهدت تلك اللحظة القاسية، ارتعد جسدها وارتعشت أطرافها، سحبت الغطاء لتغطي به جسدها وقد

زأغت أبصارها، خافت "سوسن" من حالة الهلع التي سيطرت عليها، مدت يديها نحوها قائلة بخوف:

-متخافيش، أنا "سوسن"، محدش هايحي جبك

سألتهافزع جلي في نظراتها إليها:

- "سوسن" مين؟

ظلت الأخيرة محافظة على الابتسامة الودودة المتشكلة على ثغرها وهي تقول:

أنا العروسة

ارتبكت وهي تكمل بحذر:

وأمي تبقى الحاجة "مفيدة"

مجرد لفظ اسمها جعلها تشعر بمدى كراهية تلك السيدة لها، صاحت بلا تفكير وهي

مطبقة يديها المرتجفتين على طرف الغطاء:

أنا عاوزة أمشي من هنا، فين "يزيد"؟

أشارت لها بكفيها قائلة:

موجود، اهدي بس

صرخت فيها بهيسترية:

خاديله، مش هاقعد هنا، إئتو

قاطعتها برجاء:

عشان خاطري اسمعيني

انكشيت "فرح" أكثر في الفراش محاولة الذود عن نفسها من أي تهديد قد يطالها،
أسرعت "سوسن" بالاعتذار علماً بذلك تهدئ من روعها وتلطف الأمور قليلاً:

-أنا بتأسفك عن أي حاجة حصلت، وعن أي كلام اتقال غلط في حقك
ركزت أبصارها المرتاعة عليها، بينما تابعت بتوترٍ مستخدمة يديها في التوضيح:
-بصي أنا غير أي خالص، صدجيني!

تعجبت "فرح" من لهجتها المتحولة ما بين الصعيدية والمحلية العادية، ربما حيرتها تلك
منحت عقلها لحظات ليهداً فيها ويفكر في ذلك الأمر المحير نسيئاً والمناقض لطبيعة
المكان الذي تتواجد به، استمرت "سوسن" في تبادل أطراف الحديث الجدي معها
قائلة:

-مايغريش إني صعيدية، أنا متعلمة وخريجة تجارة
لم ترف عيني "فرح" وظلت محدقة بها متخذة الصمت كردٍ أساسي، حفز ذلك
"سوسن" على الجلوس إلى جوارها على طرف الفراش، التفتت نحو الكومود لتمسك
بدورق المياه الموضوع عليه، أفرغت القليل منه في الكوب المسنود بجانبه، ثم
استدارت بجسدها لتعطيها إياه وهي تقول بلطف:
-اشربي يا "فرح"

زوت الأخيرة ما بين حاجبيها مبدية استغرابها من معرفتها لاسمها، هي لم تلتقي بها من
قبل لتتحدث أولاً معها بتلك الألفة، ولتسهب ثانياً في الحديث معها وكأن بينهما رابط
صداقة قديم، تفهمت "سوسن" حيرتها الظاهرة على وجهه المرهق، ابتسمت لها قائلة
وهي تعيد وضع الكوب على الكومود:

-أنا هافهمك سبب كره أي ليكي إيه، جازع تعذرهما، بس بأحلفك بالله ما تحكي لأبيه
"يزيد" حاجة، هو ميعرفش باللي حصل لحد النهاردة

ارتابت أكثر من كلماتها الغامضة والتي تبعث الشك في النفوس، ظلت تطالعها بتلك النظرات المتوترة، تهتد "سوسن" مطولاً مخرجة زفيراً ثقيلاً من صدرها، ثم استطردت قائلة:

- "هايدي" طليقة "أبيه يزيد" الأولى، أكيد إتي سمعتي عنها؟

ارتسم في مخيلة "فرح" صورة طيفية لتلك القاسية التي أوقعت بها سابقاً في ملعوب محكم جعلها تتجرع الكثير وأوصل علاقتها مع حبيبها إلى لحظة فارقة كادت تخسر فيها الكثير، بل إنها كانت بطريقة أو بأخرى ضلعاً في إصابة والتهتها الراحلة بأزمة قلبية، بدت تعبيراتها مشدودة وهي تستمع إلى صوت "سوسن" القائل:

هي جت مرة زيارة هنا معاه، أي قامت بواجب الضيافة كيف ما احنا متعودين نعمل، وشالتها زي ما بتقولوا كده يا مصاروة على كفوف الراحة

صمتت للحظة لتجذب انتباهها ثم أكملت بصوت خفيض لكنه كان مزعوجاً:

بس هي قابلت ده بالبهدة والإهانة وقلة القيمة لأي، دي شتمتها و.. بلاش أقولك عملت ايه، واحنا صعايدة مانقبلوش الغلط

خرجت "فرح" عن سكوتها صائحة بتشنج:

-وده يديها الحق إنها تهيني ؟!

أطرقت "سوسن" رأسها قليلاً وهي ترد بجرح:

هي فكرت إن كل المصاروة واحد

حاولت أن تلتطف الأجواء فتابعت بمزاح:

-يعني زي ما بتقولوا دبحتك القطة من الأول علشان تعمليلها حساب

عبس وجه "فرح" على الأخير، وامتعضت نظراتها، تنفست "سوسن" بعمق لتقول بعدها بابتسامة رقيقة:

بس قلبها أبيض وزى البافطة البيضاء

شجعها سكونها على وضع يدها على كتفها لتضغط عليه برفق وهي ترمقها بنظراتها المطمئنة، انتهت "فرح" ليدها الموضوعه عليها فركزت بصرها معها، ولكنها لم ترحمها، أبعدت "سوسن" كفها لتضعه أسفل طرف ذقنها فتتمكن من رفع وجهها إليها، ثم نظرت في عينيها مكلمة بجديّة:

والله العظيم مش علشان هي أمي أنا هدافع عنها، بس فعلاً هي ندمت على اللي عملته معاك

خشيت أن يكون في صمتها المقلق تلميحا صريحا لرفضها تصديق ما باحت لها به من أسرار عاهدت والدتها قديما على كتمانها ودفنها مع الماضي، اضطربت أنفاسها وهي تنتظر بقلب مضطرب في دقاته ردها عليها !!

.....

الفصل الثلاثون (الأخير - الجزء الثاني)

طالعتها بنظراتٍ طويلة وهي تفكر مليًا في اقتراحها، فما قالت له ليس بالعرض السخي لتقبله دون نقاش، وحنًا ليس بالخيار الأخير لترتضي به، تعقدت ملامح "فرح" وهي ترمق "سوسن" بنظراتها الحائرة الممزوجة بالغموض، وقبل أن تحرك شفيتها لتبوح بما قررت فعله، ولجت "مفيدة" إلى داخل الغرفة، تجمدت أعينها المزعوجة على وجهها الصارم، ارتعشت من حضورها الذي كان مصحوبًا بالإهانة، زادت ملامحها تعقيدًا وبدأت متحفزة للغاية، بادرت "مفيدة" متسائلة بهدوء مريب لا يتفق مع تعبيراتها الجادة:

-اسمحيلي يا بتي بكلمتين؟

ما طمأن "فرح" قليلًا وأشعرها لحظيًا بالأمان هو رؤيتها لـ "يزيد" يقف بالخلفية، أشعرتها نظراته نحوها معها، خرجت من تحديقها به على صوت زوجة عمه القائل بحرج:

-اعتبريني زي أمك يا بتي، أنا مجوالك (محقوالك)

فغرت "فرح" شفيتها مصدومة بدرجة كبيرة من اعتذارها الغريب لها، سلطت عينيها عليها متفرسة نظراتها لها، رسمت الأخيرة بسمة صغيرة على ثغرها وهي تكمل:

أني معرفكيش، وخذتك بذنب واحدة ثانية، حجك (حقك) عليا
ثم اقتربت منها وهي تفتح ذراعيها قاصدة احتضانها لكن تراجعت "فرح" بعيداً عنها
كردة فعل طبيعية متوهمة أنها تريد إيذاؤها، التفتت سريعاً بنظراتها القلقة نحو زوجها
الذي هتف مطمئناً إياها:

متخافيش يا "فرح"، محدش هايملك حاجة، مرات عمي جاية تتأسفلك على اللي
حصل

تحركت رأسها عفويًا نحو "مفيدة" التي واصلت تبرير موقفها قائلة:
يا بتي أنا ست كبيرة، وياما دجت (دقت) على الراس طول، معلش امسحها فيا،
أنا مقصودش

رأتها "فرح" وهي خفض أنظارها نحو عنقها محمقة في ندوبها، وضعت يدها لا إرادياً
عليها لتخفيه عن أعينها متذكرة كلمتها المسيئة عن إصابتها تلك والتي طعننها في مقتل،
تابعت "مفيدة" مضيفة بأسف أكبر:

إنتي أحسن مننا كلنا، "يزيد" ولدي حكالي على اللي عملتيه
مدت يدها نحو "فرح" لتمسك بكفها الذي يجب الندوب، أزاحته برفق متابعة بصوت
شبه مختنق:

ده فخر لينا يا بتي

نكست رأسها خزيًا وهي تكمل بندم جلي:

أحنا اللي مسوخ مش إنتي

لم تصدق أذنيها وهي تستمع إلى اعترافها بخطئها في حقها، بل وإلى اعتذارها المتواصلة علماً بذلك تصفح عنها وتسامحها، اقتربت منها "مفيدة" لتقبلها أعلى رأسها وهي تطوق كتفيها بذراعها:

-إنتي معزتك هاتكون زي ولدي "يزيد" بالظبط، وبأقولك تاني حجك عليا! تجمدت أعين "فرح" المصدومة على وجه زوجها الذي كان يرسل لها إشارات ضمنية من عينيه آملاً أن تقبل بالعفو عن زلاتها، جلست "سوسن" على طرف الفراش إلى جوارها، ثم وضعت يدها على ذراع "فرح" تستعطفها:

علشان خاطري، ده إنتي هاتتبسطي معانا، بكرة حيتي، وأهل البلد جاينين وهاتبقى ليلة كبيرة، وعفا الله عما سلف

أضافت "مفيدة" هي الأخرى بود رغم جدية نبرتها:

-ريك بيغفر، احنا يا عباده مش هنسامح وكأنها بجملتها تلك تصعب عليها الاختيار أكثر، لم تستطع النظر إليها، بل استمرت في تحديقها بـ "يزيد" الذي أشار بيده قائلاً:

-براحتك يا فرح، اختاري اللي إنتي عاوزاه، محدش هايجبرك على حاجة! ترقب الجميع ردها وهي تجول بنظراتها أوجهم الحائرة، تساءلت بصوت شبه متحشر وهي توجه حديثها لزوجها فقط:

-إنت عاوز ايه؟

دنا من فراشها فأفسحت له "مفيدة" المجال ليقف بجوار زوجته، جثا على ركبته أمامها ثم احتضن كف يدها بين راحتيه، ضغط عليه برفق قائلاً بابتسامة صغيرة:

-زي ما تحبي، ده قرارك لوحذك يا فراشتي، وأنا موافقك عليه مهما كان

ترك لها حرية الاختيار، فلم تشعر مثل كل مرة بضغطة عليها، بإجبارها على اتباع ما يريد هو، أغمضت عينها متجنباً التحديق فيهم، ثم سحبت نفساً عميقاً لفظته ببطء وهي تقول بصوت خفيض:

خلاص!

سألها بقلب شبه منقبض من شدة التوتر:

خلاص إيه؟

أدارت رأسها ناحيته لتطالعه بأعينها المتلألئة، أجابته دون أن تبتسم:

هافضل

تهللت أساريره واتسعت ابتسامته على الأخير، نهض من جلسته يضمها إلى صدره بذراعيه، طبع قبلة صغيرة على وجتها، ثم مال على أذنها هامساً لها بنبرة العاشقين:

ماحبتش في حياتي إلا إتي!

أطلقت "مفيدة" زغرودة قوية أدهشت الجميع لتصبح بعدها بفرحة عامرة:

ربنا يكرمك يا بتي

بدا الحماس واضحاً على تعابير "سوسن" التي تحركت في اتجاه والدتها لتحتضنها هي الأخرى بسعادة وهي تقول بهرح:

أخيراً يامه، كمان زغرودة علشاني بقي

طوت "فرح" تلك الصفحة الحزينة مكتفية بما نالته من اعتذارات شديدة وتوسلات بالبقاء، ربما لو كانت تشبه "هايدي" قليلاً في صفاتها الغليظة لأقامت الدنيا ولم تقعدوا وأشعلت حروباً ضروساً من أجل رد اعتبارها.

.....

-بطلي كسل ويالا بينا

قالها "يزيد" وهو يزيح الغطاء عن جسد فرح التي كانت تغط في سبات عميق، أفاقت بصعوبة بعد أن تخدرت خلايا عقلها وتيبست أغلب عضلاتها بفعل إرهاق السفر المضاعف، ناهيك عن المجهود الذهني والضغط النفسي الذي تعرضت له في الساعات الأخيرة، كانت بحاجة إلى قسط وافر من الراحة، لكن قطع "يزيد" عليها تلك المتعة الخاصة، مدت يدها لتسحب الغطاء نحوها رافضة فتح جفניה، صاح بها مستنكرا حالة الخمول المتمسكة بها:

يا فراشتي اصحي!

زمت شفتيها قائلة بتذمر وهي تمد يدها لتنظر إلى التوقيت في شاشة هاتفها المحمول:

هانروح فين بدري كده؟

أجابها بحماس ظاهر عليه وهو يطم ذراعيه في الهواء بحركات رياضية:

هافرجك على البلد

تثاءبت بصوتٍ مسموع ثم وضعت الوسادة على رأسها لتقول بصوتٍ شبه ناعس:

بس أنا تعبانة وعاوزة أنام، خليها وقت ثاني

ألقي بثقل جسده على الفراش نازعا الوسادة من عليها، مسد على خصلات شعرها المبعثرة ليزعجها أكثر، ثم تابع قائلاً:

يا حبيبتى ده أحسن وقت للخروج، الجو رايق وقبل ما الشمس تحمى، الجو هنا نار!

أومأت برأسها وهي تنظر له بنصف عين:

طيب

داعب وجنتها بإصبعيه مكملًا بابتسامته المتحمسة:

هستناكي تحت

-وقرايك؟

-ملناش دعوة بيهم، خلىنا في نفسنا يا حبيبتي

-ماشي

وقف "يزيد" أمام المرأة ليتأكد من هيئته، التفت بنظره نحو "فرح" الناعسة التي سألته وهي تحرك عنقها:

-مش هانفطر قبل ما نخرج؟

رد باقتضاب وهو يغمز لها بطرف عينه:

-لما نرجع إن شاء الله

نهضت بثقلٍ عن الفراش وهي تقول بتعب:

-أحسن برضوه، أنا ماليش نفس أكل

طب يالا هستناكي، متتأخرش عليا

هزت رأسها قائلة بخفوت:

حاضر

لوح لها بيده مودعًا إياها وهو يطالعها بنظراته التي تتفرس كل تفصيلة فيها، ابتسمت له بركة وأرسلت له قبلة صغيرة في الهواء، أغلق "يزيد" الباب خلفه لتتجه "فرح" بعدها إلى المرحاض وهي تقاوم بشدة ذلك النعاس المتملك منها على غير العادة.

.....

لم تعرف ما الذي عليها ارتدائه تحديدًا في تلك الجولة الغامضة، لذا اختارت بنطالها الجينز وإحدى الكنزات البيضاء الطويلة، وانتقت لقدميها حذاءً رياضيًا، مشطت خصلات شعرها معًا، وعقدتها كذيل حصان كي لا يزعجها، ثم وضعت قبعة رياضية أعلى رأسها لتقيها حرارة الشمس، فالأجواء حارة في تلك المنطقة من صعيد مصر، كان الوقت مبكرًا إلى حد ما وهي تسير بصحبة "يزيد" خارج المنزل، التف بها نحو منطقة جانبية لم تكن قد رأتها بعد، سألتها بفضول:

إنت موديني فين؟

التقط كفها بيده قائلاً:

هتعرفي دلوقت

أكلت سيرها نحو تلك المنطقة التي زكت رائحتها الغريبة أنفها، بالطبع لم تكن بحاجة لتخمين ماهيتها، إنها بالإسطنبول الخاص بالخيول، انفرجت شفتها لتعبر عن اندهاشها وهي تسأله:

ليه ده؟

سحبها إلى داخله وهو يرد على سؤالها بتساؤل متحمس:

ها إيه رأيك؟

ارتسمت على تعبيراتها علامات الإعجاب لوجود مثل ذلك المكان، رددت بانبهار:

ماشاء الله، إنتو عندكم إسطنبول؟

أجابها بتفاخر:

أيوه، ده بتاع عمي، تعرفي زمان أنا كنت بأركب خيل، بس بطلت عشان الدراسة والسفر وشغلي بعد كده

تأملت "فرح" الخيول الموجودة بالداخل بنظرات تحمل الإعجاب، فهي لم تر عن قرب ما يباهيهم قوة ورشاقة إلا في سباقات الخيل الدولية، أخرجها من تحديقها بهم جملته القائلة:

-يا لا تعالي جربي

توترت وهي تنظر إليه متعجبة من دعوته لها لامتطاء أحدهم، تراجعت خطوتين للخلف مستخدمة يديها في الإشارة وهي تعترض بارتباك:

-لا، أنا ماليش في جو الأحصنة ده

أمسك "يزيد" بلجام أحد الخيول يسحبه إليه بعد أن شكر السائس القائم على رعايته، اقترب منها فتراجعت عفويًا للخلف، استغرب من ردة فعلها فسألها:

-إنتي خايفة ولا إيه؟

هزت رأسها نافية ومدعية الشجاعة:

-لا

أكدت لها تصرفاتها المتوترة أنها خائفة منه، جمد أنظاره عليها متابعًا بجدية:

- "فرح" إنتي ركبي حصان قبل كده؟

عضت على شفتها السفلى وهي ترد بمرح:

-بصراحة لأ

سألها مداعبًا دون أن يخفي بسمته المرحية:

-ولا حمار؟

زوت ما بين حاجبيها مستنكرة مزاحه السخيف وهي ترد بضيق:

لا

أشار لها بيده مشجعاً إياها على المحاولة:

حبيب تعالي، ده ركوبه تحفة، هاتجيبه صدقيني

احتجت بإصرار:

أنا مش عاوزة

مد يده ليمسك بها من رسغها ففزعت من إجبارها على الاقتراب من الجواد، صاحت
بخوفٍ بائنٍ في نبرتها وهي تقاومه:

يا "يزيد" بلاش

أصر على عدم تركها قائلاً بعناد:

مش هتخسري حاجة، جربي بس

ارتعدت من سهيل الخيول، وصاحت متوسلة:

-بلاش عشان خاطري، أنا مش عاوزة أجرب حاجة، أنا كده كويسة

ترك "يزيد" اللجام ليتمكن من الإمساك بـ "فرح" التي نجحت في الإفلات من قبضته،
حاصرها من خصرها قائلاً:

تعالي بس

لا

جذبها نحو الحصان هاتفاً بهدوءٍ محاولاً إقناعها بامتطائه:

متخافيش أنا هساعدك

شعر بتلك الرجفة التي تعزي جسدها وهي تجاهد للابتعاد عنه:

مش هاعرف أطلع

أشار بعينه نحو السرح الخاص به ليربها موضع قدميها وهو يوضح لها:

حطي رجلك هنا الأول، إيه الصعب في كده

ردت معترضة وهي تنظر له بقلبي:

هاقع والله

مش هايحصل، ارفعي جسمك لفوق

كزت على أسنانها ممتمة بتوتر مذعور وهو يضع يديه على خصرتها ليتمكن من رفعها
للأعلى:

يا لهوي

نهرها برقة متعمداً استفزازها:

إيه الجبن ده؟

ردت بغیظ:

هو إنت هتركب ولا أنا؟

اتسعت ابتسامته المراوغة مردداً بتسلية:

إنتي يا فراشتي

حبست أنفاسها وهي تشدق قواها وتنسقا معا لتتمكن من الصعود على ظهره، صفق
لها "يزيد" محفزا إياها وهو يقول بإعجاب:

برافو، اجمدي يا "فرووح"، عاوزك أسد في نفسك!

ردت ساخرة من أسلوبه العجيب في تحميسها:

حد قالك إني قطز ولا هاروح أحارب مثلاً؟

كان الجواد ملاصقًا للقضبان الحديدية الخاصة بجوادٍ آخر، فرفضت الإمساك باللجام وتشبثت بتلك القضبان معتقدة أن ذلك سيحول دون سقوطها، بدت في مأزق وهي تحاول السيطرة على الجواد والحفاظ في نفس الوقت على اتزانها، نظر لها "يزيد" متعجبًا مما تفعله، حاول كتم ضحكاته الساخرة منها قدر المستطاع كي لا يستفزها وتثور عليه، تنحج بصوت مرتفع وهو يقول:

مكونش متوقعك كده بتخافي

ردت عليه بنبرة مهزوزة:

العمر مش بعزة

أمسك "يزيد" باللجام الخاص بجوادها ليبدأ من حركته الزائدة، ثم أمرها قائلاً:

سيبي يا بنتي الحديد، وامسكي اللجام ده

حركت رأسها برفض وهي ترد:

هاقع

كتم بصعوبة بالغة تلك الضحكة التي تداعب ثغره متابعًا تبرير تبعات عنادها الخاطئ:

أكيد، ماهو لو الحصان مشى وإنتي قافشة في الحديد هتتعي، فكري بعقلك كده

صرخت فجأة مذعورة حينما بدأ الجواد بالتحرك:

عاه، ده بيمشي

أبعد يديها عن القضبان ليَجبرها على الإمساك بطرفي اللجام، ثم ربت على ظهر الجواد برفق لعدة مرات وهو يقول لها بمزاح ساخر:

-اطمني مش هايطير

تلون وردها بدموية متوترة مرددة بتبرم:

-ما إنت علشانك عارف تتعامل معاه فمش خايف زي

-واحدة واحدة وهتتعلمي

-رينا يستر

سألها بعد أن امتطى هو الآخر الجواد الثاني:

-جاهزة؟

ابتلعت ريقها الذي جف في حلقتها قائلة بارتباك:

-يعني

تابع أمرًا مجدية آملًا في نفسه أن تلتزم بما أملاه عليها من تعليمات بسيطة تخص التعامل معه:

-افردي ضهرك

حاولت تنفيذ أمره بالانتصاب في جلستها على ظهر الجواد وهي ترد بنبرتها المرتجفة:

-ماشي

شهقت لأكثر من مرة وهي تحاول الاعتياد على امتطائه، ولم يكف "يزيد" عن إلقاء النصائح عليها، فهو يرى أن خوفها المضاعف منه مبالغ بدرجة ملحوظة، فالمسألة بالنسبة له أبسط بكثير، وتشبه إلى حد كبير ركوب الدراجات العادية وكذلك البخارية.

.....

دقائق وكان كلاهما يتجولان به بالقرب من الحقول الزراعية، بدت "فرح" أكثر تشنجًا وهي قابضة بأصابعها على طرفي اللجام رغم حركة الخيول البطيئة، راقب "يزيد" طريقة تعاملها المبالغ فيها معه باستمتاع مرح، سألها متعمدًا إخراجها من حالة التركيز الشديدة المسيطرة عليها:

ها إيه رأيك فيه؟

ردت بنبرة مشدودة وهي تضغط على شفيتها:

مش بطل

ثم سألته بجدية وهي تدقق النظر في خطوات جوادها:

وده لو أنا حببت أوقفه أعمل إيه؟

أجابها ساخرًا:

تدوسي فرامل طبعًا، ودي عاوزة سؤال

التفتت برأسها نحوه نصف التفاتة لتحذره بلهجة شديدة:

- "يزيد"

رد بابتسامته العابثة:

هتشدي اللجام كده وهو هايقف

ماشي

سألها من جديد وهو يجوب بأنظاره أنحاء قرية:

شوفتي بلدنا حلوة ازاي؟

ردت بعبوس:

-أنا مش شايقة حاجة، خليني أركز بقى

رد مازحًا:

-هو امتحان ثانوية عامة، ده حصان يا بنتي، درجن درجن!

توترت أكثر حينما أسرع الجواد في خطواته، صرخت مفزوعة:

-أقف لو سمحت!

انفجر "يزيد" ضاحكًا من طريقتها في التحدث مع الجواد وكأنه كائن عاقل سيلبي أمرها اللبق على الفور، وثب جوادها عاليًا مطلقًا صهيلًا مرتفعًا فزاد هلعها، تشبثت أكثر باللجام وهي تصيح بخوف:

-الحق يا يزيد، هاقع!

حاول تهدئتها كي لا تفزع أكثر، خاصة أنها بدأت تتصبب عرقًا، رد بصوت أجش وهو يشير بيده:

-اهدي، ده عادي

ثم اقترب بجواده منها وأمسك بطرف اللجام ليجذبه للخلف قائلاً بتمرس معتاد منه:

-هسس، بس!

استطاع بحرفية واضحة عليه إبطاء حركة الجواد رغم بعض الوثبات التي كان يقوم بها، رمقت "فرح" زوجها بنظرات معاتبة وتحمل التوبيخ لإجبارها على تجربة ما لا تجيده، شعرت بالإرهاق الشديد يضرب بكل عضلة في جسدها، غمغمت مع نفسها بضجر:

-يعني كان لازم الطلعة دي !!

.....

الفصل الثلاثون (الأخير - الجزء الثالث والأخير)

ادعت أنها بخير وتجيد التعامل مع الجواد رغم كون العكس جليًا على تعبيراتها المشدودة، فـ "فرح" سئمت من إظهار تدمرها كل دقيقة - بالطبع لن يغير اعتراضها أو شكواها من الوضع بأي حال - لذلك أكتفت بمتابعة تلك الجولة المرهقة وهي تزفر بضيق، لم يقلل "يزيد" من مجهودها الملحوظ، بل مدحها قائلاً بابتسامة صغيرة تلوح على ثغره:

مبسوط منك يا "فروح"، مرتين كمان وهتنافسي!

نظرت له من طرف عينا محذرة بتجهم:

-بلاش تريقة

رد عليها مبتسمًا:

يا حبيبتي أنا بأديكي دفعة للأمام

التفتت برأسها ناحيته لتقول:

مش عاوزاها

لكزت جوادها في جانبه مثلما تعلمت من "يزيد" فأسرع في خطاه قليلاً، ثم عادت تجذب اللجام للخلف حينما شعرت بدوار طفيف يصيب رأسها، أرخت قبضتها عن طرفيه لتمسح حبات العرق المتصببة من جبينها، تهتت قائلة يارهاق:

ياه على الحر، مش معقول الجو هنا

رد عليها "يزيد" وهو يزفر بصوت مسموع:

ده احنا لسه مقريناش على الضهر، بنسخن بس

شعرت أن قواها تتضاعف بدرجة ما، أحست بعدم قدرتها على المواصلة مع ارتفاع درجة الحرارة بالأجواء، سألتها وهي تبذل ما في وسعها لإكمال تلك الجولة بأقل الخسائر: هي الحرارة هتزيد أكثر من كده؟

أجابها "يزيد" ساخراً ملوحاً بيده بغرورٍ مصطنع:

احنا بلا فخر بنعدي الـ ٤٠ وإنّ طالع

أصيبت بإحباط جلي عقب جملته تلك، نظرت له باستياء، كذلك تهدل كتفها المرهقين مرددة بتذمر:

ياني، ده أنا مش مستحيلة خالص

أراد تحفيزها كي لا تستسلم لإحساس الوهن الذي بدأ يسيطر عليها، فصاح بخشونة طفيفة:

ماتبقيش فستك يا "فرووح"!

ردت عليه بإنهاك:

لفة كمان وهاتكوم أنا والحصان بتاعك

زوى ما بين حاجبيه مرددًا باستنكار:

- ده أنا مديكي "الأبجر"

لم تكن في حالة مزاجية جيدة لتتمكن من فهم مزحته الأخيرة، لوت ثغرها متسائلة بحيرة:

- أبجر مين؟

نظر لها بتعالٍ قليل وهو يرد مستنكرًا جملها بتلك المعلومة الشائعة:

- بتاع "عنتر بن شداد"، شكك مكوئتش بتذاكري كويس في ثانوي

اغتاظت من طريقته التهكمية في السخرية منه، عبست بوجهها قائلة:

- والله إنت فايق ورايق

غمز لها بعينه مغازلًا إياه:

- وما بقاش فايق ليه وأنا معايا القمر ده؟

ابتسمت برقة وهي تعاود التحديق أمماها في ذلك الطريق الترابي والذين وجهة نظرها لا ينتهي أبدًا، لاحت في الأفق سيارة ما تسير بتباطئ حذر حتى اقتربت منها، أطل الجالس في المقعد المجاور لقائد السيارة من النافذة مهلاً بترحيب كبير:

- ابن الحاج سليمان، يا مرحب بالغالي ولد الغالي!

التفت "يزيد" برأسه نحو صاحب الصوت المألوف، عرفه على الفور فأوقف جواده قائلاً:

- ثواني يا "فرح"، هاسلم على الحاج

اكتفت بالإيماء برأسها وهي تتابع ترجمته من على ظهره متجهًا نحوه، بدت الرؤية بالنسبة لها مشوشة نسبيًا، لم تعرف ما الذي أصابها لتشعر بكل ذلك الخمول والتعب، ففي العادي كانت تؤدي العديد من المهام الشاقة المتلاحقة، لكن تلك المرة هي تجد صعوبة في تحريك جسدها، في البقاء واعية وحتى في التواصل الذهني والعصبي، لوهلة اعتقدت أن السبب في تلك الحالة الغريبة هو عدم تناولها لطعام الإفطار، فربما انخفضت مستويات السكر لديها في الدم فأحدثت كل تلك الآثار الجانبية، بدا صوت "يزيد" بالنسبة لها ثقيلًا وخشناً وهو يقول:

حاج "بدري"

رفعت رأسها لتحقق في وجه ذلك الرجل المسن الذي رحب بحرارة بزوجها، اهتزت صورته بطريقة مريبة وهو يسأله:

-كيفك يا ولدي؟

أجابه "يزيد" بحماس:

-الحمد لله في نعمة

جاي أكيد علشان فرح بت عمك

طبعًا، دي أختي الصغيرة

رفعت "فرح" يدها على وجهها لتفرك عينيها المتعبتين، تابعت التحديق في زوجها الذي أولاها ظهره محاولة التركيز في حوارهما رغم تداخل أغلب حديثهما معًا، التفت "يزيد" نحوها أمعن "بدري" النظر نحوها متسائلًا بفضول:

-إنت إمعاك ضيوف؟

أجابه بابتسامة صغيرة وهو يجيبه:

لأدي مراتي "فرح"، هي أول مرة تيجي هنا

رد عليه "بدري" بترحيب شديد:

يا مرحب بيها، نورت البلد بيها، إن شاء الله تتبسط حدانا
أُكيد

الحريمات هاييجيوا عندكم عشان الحنة

-ينوروا ويأنسوا، ده بيتهم، والحاجة "مفيدة" هاتقوم معاهم بالواجب

ماتفضلوا عندنا شوية يا ولدي؟

اعتذر منه متحرجًا من كرمه الزائد:

-معلش وقت ثاني يا حاج "بدري"

لم تستطع "فرح" الصمود أكثر من ذلك، فرغت مقاومتها، واستنزفت آخر ما تبقى
من قواها لتفقد التحكم في نفسها، مالت بشدة نحو الأمام وقد تراخت قبضتها عن
اللجام، لاحظ "بدري" ترنح جسد الضيفة فتساءل متعجبًا:

-الله، مال مرتك؟

استدار "يزيد" كليًا نحوها ليجدها على تلك الحالة المقلقة، هتف بهلع وهو يركض
نحوها:

- "فرح"

مد ذراعيه محاولاً الإمساك بها وإنزالها من على ظهر الجواد متسائلاً بخوف:

حصلك إيه؟

أجابت بصوتٍ خفيض يكاد يكون مسموعًا:

-دايخة خالص، مش قادرة من دماغي

-أضاف "بدري" الذي وقف خلفه:

-شكلها ماستحملتش الشمس

-سحبها "يزيد" بحذر إليه لتقف على قدميها دون أن يفلت ذراعه المطوق لخصرها، خمن
تهاوي قواها قائلاً:

-اوعي تكوني خدتي ضربة شمس؟

-استندت برأسها على كتفه وهي ترد:

-جائز

-تابع مضيقاً وهو يرفع وجهها إليه:

-بصي إتي ... "فرح"!

-أغمضت جفنيها غير مدركة لما قيل بعد ذلك، تحول كل شيء حولها لضباب مظلم فزاد
تثاقل جسدها وفقدت التحكم فيه، أسرع "يزيد" بحملها وهو يعتصر عقله مفكراً في
طريقة سريعة تمكنه من إيصالها للمنزل في أقل وقت ليتمكن من مداواتها، صاح "بدري"
بنبرة عالية مخرجاً إياه من حيرته الحرجة:

-في وحدة صحية إجربية (قرية) من إهنة

-التفت ناحيته متسائلاً بتلهف:

-فينها؟

-لوح له بيده قائلاً وهو يتجه نحو سيارته:

-تعالى معايا، هوديك عندها يا ولي

تبعه "يزيد" وهو يوزع أنظاره بين الطريق وبين "فرح" الغائبة عن الوعي، أشار "بدري" بيده مكملًا بصيغة أمرة لأحد الصبية ممن كانوا معه:

وانت يا واد ودي الخيل عند دوار الحاج جودة
أوما الفتى برأسه قائلًا:

حاضر يا حاج

أفسح المجال لـ "يزيد" ليتمكن من تمديد "فرح" على المقعد الخلفي، ثم جلس إلى جوارها محتضنًا إياها من كتفها، وظل بيده الأخرى يمسح على وجهها برفق موبخًا نفسه على إصراره على تلك الجولة المرهقة.

.....

بعد برهة، وبداخل تلك الوحدة الصحية التابعة للقريّة، أوشك الطبيب على الانتهاء من فحصه على "فرح" التي عادت إلى وعيها بعد تركيب أحد المحاليل الطبية لها، أعطى تعليماته للممرضة التي كانت تعاونه، اطمئن على أحوالها ثم ولج إلى الخارج حيث ينتظر زوجها، وما إن رآه الأخير حتى أسرع نحوه متسائلًا بتلهف وقد زائغت عيناه:

مالها مراقي؟ خدت ضربت شمس ولا ؟

رد بابتسامة روتينية:

اطمن هي تمام

مدح "بدري" في عمل الطبيب الذي تفانى في أداء مهامه:

الدكتور حدانا الله أكبر عليه، عارف كل حاجة

رد عليه الطبيب بامتنان:

-الله يكرمك يا حاج، الموضوع مش خطير، بس محتاجة راحة وخصوصًا في أول الحمل، المجهود الكثير مش مستحب الفترة دي!

عند تلك الكلمة تحديدًا تجمدت حواس "يزيد"، تصلبت أطرافه وشعر أن دقائق قلبه توقفت عن النبض للحظة ليتأكد مما التقطته أذنيه، لم يكن بالوهم، ولا بأحد أحلام اليقظة، ولا بذلك الحلم الذي تمناه قبل سنوات، فقد تركيزه، بل وحتى استيعابه، تساءل ببلاهة وهو ينظر له غير مصدق:

حمل مين؟

قطب الطبيب جبينه متسائلًا باستغراب:

-إنت مش عارف إن المدام حامل؟

انفجرت شفتاه وهو يوزع نظراته بين وجهه ووجه الحاج "بدري":

-يعني إنت قصدك إن "فرح" مراتي، اللي جوا عندك حامل؟

هز الطبيب كتفيه مرددًا متعجبًا من ردة فعله الغريبة:

-ايوه يا أستاذ

تهللت أسارير "يزيد" على الأخير، اتسعت ابتسامته حتى ظهرت نواجذه، أمسك فجأة بوجه الطبيب براحتيه يقبله من جبينه بودّ مضاعف وهو يشكره بحماس زائد:

-الله يمشرك يا دكتور، أنا مش عارف أقولك إيه، إنت.. أنا... ده أسعد يوم في حياتي كلها

تخرج الأخير من تصرفه وهو يبعده عنه قائلًا:

على إيه بس

سأله بتلهف وهو يشير بيده:

-ينفع أخش أشوف مراتي؟

-أكيد طبعا

-احتضنه "يزيد" مجدداً هاتفاً بنفس الحماس الزائد:

-ربنا يكرمك يا أجدع دكتور

-وضع "بدري" يده على ظهر "يزيد" مباركاً:

-البشارة جت يا ولد الغالي، الله يعطيك من خيره

-التفت "يزيد" نحوه يحتضنه هو الآخر وهو يقول بسعادة غامرة وقلبه يرقص طرباً بين ضلوعه:

-الله يخليك يا حاج "بدري" يا وش السعد، الخير على قدومك يا بركة

-تسلم يا ولدي

-ربت على ظهره مكماً بنفس الهدوء:

-خش اطمئن على مرتك

-حاضر

-قالها "يزيد" وهو يسرع في خطاه ليلج إلى داخل غرفة الفحص حيث تتمدد "فرح" على الفراش، تحركت رأسها في اتجاهه حينما هتف باسمها بنبرة رومانسية مليئة بالكثير من المشاعر المختلطة:

-حبيبتي، فراشتي، أغلى حاجة في حياتي

-نظرت له باستغراب وقد انعقد ما بين حاجبيها باندھاش مريب، سألته بخفوت وهي ترفع جسدها قليلاً للأعلى:

هو في إيه؟

ابتسمت له المريضة بنجل من غزله المفرط لزوجته أمامها، أخفضت عينيها وهي تتجه نحو الباب لتترك لهما مساحة من الخصوصية، دنا "يزيد" من الفراش ثم مديده ليمسك بكف "فرح"، رفعه إلى فمه طابعا قبلة طويلة عليه، ظلت نظراتها إليه مليئة بالغموض والحيرة، تأملت تعبيرات وجهه التي تعكس حالة سعادة غريبة محاولة تفسير ذلك، تابع مضيقا بتنهيدة مليئة بالأشواق:

أنا بأحبك، بأعشقك يا أحلى فراشة

بدا وجهها خاليا من التعبيرات وهي تسأله مدهوشة:

هو إنت كويس؟

أجابها بحماس مبرر:

أنا مش مصدق، ربنا هيكرمي أخيرا بعيل

ارتفع حاجبها للأعلى متسائلة باندعاش غير مريح:

عيل مين؟

وضع "يزيد" إصبعيه على طرف ذقنها يداعبه برفق وهو يجيبها:

إنتي حامل يا حبيبتي

اعتلت الصدمة تعابيرها وتجمدت أنظارها المصدومة على وجهه الذي كان مرآة واضحة للحالة الشعورية التي تعتريه، تمت مع نفسها بذهول:

أنا حامل؟!

استغرقها الأمر بعض الوقت لتستوعب بالفعل أنها تحمل في أحشائها جنينًا ينمو بداخلها، الآن استطاعت أن تفسر تلك التغيرات المريبة التي أصابتها مؤخرًا، وبالطبع لم يأتِ ببال "فرح" أن تأخير موعد ضيافتها الشهرية - والتي غفلت عنها كليًا - يعد من أهم علامات حدوث الحمل، هي التهت بما وضعت فيه من ضغوطات كثيرة وتناست احتمالية حدوث الأمر، انتابها حالة من الخوف والقلق، بدت حائرة للغاية، مترددة مما ستفعله لاحقًا، تفهم "يزيد" ما تمر به من تخطيط، بادر بطمأنتها قائلاً:

-أنا معاك يا "فرووح"، مش هاسيبك، إتي مش عارفة أنا نفسي أكون أب ازاي ردت عليه بارتباك وهي تفرك أصابع كفيها معًا:

-إنت مش فاهم يا "يزيد"، أنا أغلب الوقت هاكون لوحدي، إنت في شغلك وأنا قاطعها بجدية وهو ينظر لها بحنو:

-الوضع من اللحظة دي اتغير، احنا كلنا هانكون معاك، وبعدين مش إتي نفسك تبقى أم؟ ويبقى حوالكي عيال يتنططوا جبك رمشت بعينها مبررة خوفها:

-ايوه، بس مكوتنش عاملة حساني إنه يكون دلوقتي، يعني كنا نستنى لحد ما وضعنا يستقر

رد عليها بهدوء ضابطًا انفعالاته كي لا تتأثر إن بدا قاسيًا أو صلبًا معها:

-ربنا أراد، دي مشيئته يا حبيبتي

ضغطت على شفتيها متابعة بنفس النبرة المترددة:

-بس ده ...

قاطعها "يزيد" قائلاً بنبرة جادة لكنها خافتة:

- "فرح" اسمعيني

نظرت له بانتباه تام فتابع تلك المرة بنبرة هادئة ليستميلها:

فراشتي الحلوة

احتضن كفي يدها براحتيه متمعدًا فركهما برفق بأصابعه وهو يكمل بابتسامة صافية تحمل الطمأنينة:

أنا عارف إنك قلقانة من اللي جاي، الحكاية مش بسيطة زي ما أي حد فاكرك، ايوه دي مسئولية كبيرة جدًا، بس طول ما احنا مع بعض كل حاجة هنعملها سوا، فمش عاوزك تشيلي هم أي حاجة

رمقته بنظرات أكثر حيرة دون أن تعقب عليه، سحب "يزيد" نفسًا عميقًا حبسه للحظة بداخل صدره المشحون بالكثير من المشاعر المتحمسة، لفظه دفعة واحدة قبل أن يستأنف حديثه متمعدًا استرقاق قلبها واللعب على عواطفها الأمومية:

عارفة لو مامتك الله يرحمها كانت معانا، كانت هتفرح أوي بالخبر ده، أي أم في الدنيا بيبقي نفسها تشوف عيال بنتها حوالها يملوا عليها حياتها

بدأت حدقتها في اللمعان تأثرًا بما قاله، هي كانت بحاجة إلى تعزيز نفسي يثبت لها إحساس الثقة ويغرزها أكثر فيها، يطمئنها بوجوده إلى جواره إن كانت يومًا بحاجة إلى الدعم خاصة حينما تمر بلحظات التغيرات الهرمونية، تابع قائلاً ومتمعدًا استخدام تلك النبرة المؤثرة للعب أكثر على مشاعرها:

فما بالك بحتة مننا تكبر قصادنا وتقولك يا ماما، عيال كده مقططين شبكك يحبوكي وتحبيهم ويضحكوا من أقل حاجة بتعملها علشانهم

اغرورت أعينها بالعبرات وهي تطالعه بنظراتها، رفع "يزيد" يده إلى وجهها لمسح على وجنتها بنعومة فانسابت دمعاتها الدافئة مع لمساته الحنون، اقترب من وجهها لتشعر بأنفاسه القريبة تضرب بشرتها وهو يكمل بهمسه الهادئ ونبرة ذات مغزى:

-بلاش نضيع الفرحة دي مننا، ربنا أكرمنا بحاجة ناس غيرنا محرومين منها، أنا وإنتي محتاجين عيال يكونوا حوالينا، وهانعرف نحبهم ونحميهم وتنعب علشانهم، فمتخافيش يا حبيبتي

ابتسمت رغم بكائها الصامت فضمها إليه مكلاً بتأكيد:

أنا معاك ومش هاتكوني لوحديك!

.....

انطلقت الزغاريد في كل أرجاء المنزل الكبير بعد معرفة القاطنين به بخبر حملها، فرحة كتلك لم تكن لتمر هكذا دون احتفال حقيقي، فالخطب يخص أحد رؤوس عائلة "جودة"، لم تصدق "فرح" تلك الليلة التي أقيمت للاحتفاء بها وتهنئتها بجوار حفل الحناء الخاص بـ "سوسن"، جلست وسط النساء اللاتي آتين من كافة الأعمار لتقديم التهنئات والتبريكات للثنتين، وبالطبع تلقت العديد من المجاملات المادية التي لم تتوقعها أبداً، انتظرت "مفيدة" انصراف أغلب ضيفاتها لتقدم بنفسها هديتها الثمينة لها قائلة:

-أنا النهاردة فرحتنا فرحتين، ده نقوطك يا أم الواد

تناولت "فرح" المبلغ النقدي الكبير منها وهي تنظر لها باندھاش مضاعف، اعترضت هاتفه بجرح كبير:

بس ده كتير

ردت عليها "مفيدة" بجدية وهي تشير لها بنظراتها الصارمة:

ماتجوليش الكلام ده يا بتي، دي عوايدنا إهنة، وبعدين احنا معملناش معاكى الواجب من الأول، ساعمين إن كنا اتأخرنا عليكى!

ابتسمت لها "فرح" مرددة بامتنان:

ميرسى يا طنط

عبست "مفيدة" بوجهها قليلاً لتحذرها:

بردك بتجولي الكلمة الماسخة دي، أنى زي أمك، جوليلي حتى يا حاجة توردت بشرتها خجلاً منها، أومأت برأسها قائلة:

حاضر

ربتت على كتفها برفق لعدة مرات وهي تتابع بسعادة أظهرتها لها:

يخضرلك الخير يا بتي

.....

لاحقاً، صعدت "فرح" إلى غرفتها لتجد زوجها بانتظارها على أحر من الجمر، ولجت إلى الغرفة نازعة تلك العباءة المزركشة التي كانت ترتديها خلال الاحتفال لتضع على جسدها ثياباً مريحة، راقبها "يزيد" بنظرات حاملة طامعة في تمضية ليلة لا تنسى، لكن قبل أن يعبر لها عن أفكاره الجاحمة، أراد أن يتسلى معها قليلاً، شبك كفيه خلف رأسه وهو يعيد ظهره للخلف ليلتصق بالفراش متسائلاً بعبث:

قوليلي طلعتي بمصلحة أد إيه؟

استدارت نحوه مرددة باستغراب:

مصلحة؟!؟

أرعى ساعديه المعقودين ليشير بهما موضحًا:
-ايوه فلوس النقوط وكده، أنا متودك في الحكايات دي، والناس عندنا هنا ماشاء الله
إيدهم فرطة
وضعت "فرح" يدها على منتصف خصرها ترمقه بنظرات متحدية وهي ترد بدلال:
ملكش فيه
نظر لها معاتبًا ثم اعتدل في جلسته مضيقًا:
-ده أنا اللي هاسد ده كله
هزت كتفها متابعة بعدم اكتراث:
-وأنا مالي
نهض من على الفراش يرمقها بنظراته التي لا تقبل بالخسارة حينما يزج به في تحدٍ ما،
استطرد قائلاً بغموض عابث:
-بقى كده، طب احنا عندنا مهمة بحرية سرية دلوقتي
تراجعت للخلف بخطوات متمهلة وهي تحرك سبابتها بالنفي لتضاعف من أشواقه:
عيب، الناس تقول عنا إيه هنا، مافيش مهمات ولا غيره!
اقترب منها بتأنٍ ممرًا أنظاره على تفاصيلها المغرية، تابع قائلاً بتسلية شديدة وقد
اتسعت ابتسامته اللاهية:
-احنا هنعلق رايات النصر
حذرتة مشيرة بإصبعها:
-إياك!

انقض فجأة على رسغها يجذبها منه برفق وهو يأمرها:

-يا لا يا أم عتريس

قاومته قائلة بعبوس:

-مين؟!

تابع مازحاً وهو يطوق خصرها بذراعه الآخر ليقضي على محاولاتها للإفلات منه:

تخلي أصحابه لما ينادوه "عتريس يزيد جودة"

تلوت في أحضانته مبدية استنكارها، نظر في عينيها قائلاً بثقة:

-ده حتى فخامة الاسم تكفي!

لكزته بقبضتها المتكورة في كتفه قائلة:

-بطل بواخة

شدد من إحاطته لها هامساً بكلمات موحية:

طب تعالي بس، احنا متأخرين ١٠ دقائق على الاجتماع ودي فيها حبس انفرادي

كركرت ضاحكة وهي تتدلل عليه، ثم تعلقت بعنقه مرددة بنعومة تلهب الحواس وتشعل
المشاعر"

ماشى يا ... أبو عتريس!

.....

خلال الأشهر التالية، لم يتوقف "يزيد" عن دعم حبيبته طوال فترة الحمل التي بدت كالدهر بالنسبة له، فيوماً بعد يوم كانت رغبته وأشواقه تتضاعف في رؤية وليديه واحتضانها، لم يصدق بأنه سيرزق بتوأم حينما أخبره الطبيب النسائي بذلك، أدرك أن

المولى أنعم عليه وعوضه عن فترة صبره، بالطبع كانت اهتماماته منصبه على زوجته ورعايتها في المقام الأول، بذل ما في وسعه لإسعادها وإرضائها، شاطرهما كل تفصيلة تخصهما، بل كان في بعض الأحيان يقترح عليها ما يتوجب فعله للتأكد من وجود ما يلزمهما، شعرت "فرح" بكل ما يمنحه لها من حب ورعاية واهتمام، واستمتعت بلحظاته معها، وجداله حول أمور الأطفال، تيقنت كلياً من حنانه الأبوي، بأنه نعم الزوج وسيكون حتماً نعم الأب، وباتت هي الأخرى تترقب لحظة إنجابهما، هدأت حياتها وامتلأت بحب الكثيرين، ظلت الأوضاع مستقرة إلى حد ما، ولكن لم يدم ذلك الصفاء كثيراً، فقد عكره ما نما إلى مسامع "يزيد" من محاميه، والذي أبلغه بتنازل "فرح" عن القضية، اعتبر الأمر تجاوزاً لما اتفقا عليه، خاصة أنها فعلت ذلك دون عمله، جن جنونه واستنشاط غضباً على الأخير، لم يستطع أن يمرره هكذا، لذا عنفها قائلاً بحدة:

-أزاي تتنازلي عن القضية من غير ما تاخدي رأيي؟!

نظرت له بضيق جلي، فالمسألة لم تعد متعلقة به، انزعجت من كونه يعتمد فرض سطوته التحكيمية عليها، ردت بانفعال وقد احتقن وجهها بحمرة منفعة:

-لأن ده موضوع يخصني

صاح بها مغتاضاً من تجاهلها لتلك المسألة طوال الفترة المنصرمة:

- "فرح"، احنا الاتنين عايشين مع بعض، كل حاجة بنعملها سوا، وخصوصاً الحكاية دي، إتي نسيقي عملوا فيكي إيه

ردت مبررة موقفها وقد زادت حدة عصبيتها:

-أنا نهيت علاقتي بالعيلة دي، مش عاوزة حاجة تربطني بيهم، ليه لازم نحكي في حاجة خلصت

هتف بها بتشنج مستخدمًا يده في التلويح:

-تقومي تسبك حقك بالبساطة دي؟ ومن غير ما ترجعيلي؟ ده أنا كنت مستعد
أحارب الدنيا عشان أجيبهولك!

شعرت بالآلم حادة تضرب أسفل ظهرها من الانفعال الزائد، بدت تعبيراتها مشدودة
وأعينها محتقنة وهي تصيح بصعوبة:

-كفاية يا "يزيد"!

لم يشعر بما تمر به من أعراض، واصل صراخه المحتد بها قائلاً:

-يا فرح إنتي مش عايشة لوحديك عشان تعملي حاجة زي كده من غير ما ترجعيلي
دافعت عن موقفها بنبرة ثقيلة وقد بدت حركتها غير طبيعية:

موضوع وراح لحاله، انساهم زي ما أنا عملت

تضاعف الألم بقوة، وزاد عليه تلك النغصة العنيفة التي أصابت معدتها فأجبرتها على
إخراج صرخة موجوعة وهي تنحني للأمام:

آآآآ

توقف "يزيد" عن شجاره معها لينظر إلى تلك الحالة المريعة التي اعترتها فجأة، ردد بقلبي:

-"فرح"، مالك؟ حصلك إيه؟ إنتي كويسة؟!

قبضت على ذراعه الممدودة نحوها لتقول بصوت متشنج وهي تركز على أسنانها:

-مش قادرة، بطني، آآآ

تراجع "يزيد" خطوة للخلف مفزوعاً وهو يرى المياه تنساب من بين ساقها، هتف
متسائلاً بهلع:

إيه ده؟

وضعت يدها على أسفل بطنها وهي تجيبه بصوت متألم ولاهث:

-شكلي بأولد!

اتسعت حدقاته رعبًا من تلك الصدمة المباغتة، شعر أنه انفصل لثانية عن العالم ليعود من جديد إليه صائحًا بلا تفكير وكأنه قد فقد ذاكرته:

-بتولدي، طب أعمل إيه؟

ضغطت على شفيتها صارخة:

-إنت بتسألني؟ اتصرف

هز رأسه بهسترية وهو يرد بارتباك مفهوم:

حاضر..!

.....

لاحقًا، أودعت بالمشفى ليجري الطبيب النسائي عملية الولادة لها بعد أن تأكد من علاماتها، مر الوقت بطيئًا للغاية و "يزيد" يحترق على أعصاب مشدودة في الممر الودي لغرفة العمليات، ذرعه جيئة وذهابًا لعشرات المرات كوسيلة لإفراغ شحنته داعيًا الله في نفسه أن يطمئنه عليها وعلى وليديه، دق قلبه بقوة وتأهبت حواسه مع أول صرخة صغيرة مكتومة سمعها تأتي من الداخل، خطفت أنفاسه وسلبت عقله، أدرك أنه لم يتوهم ذلك حينما تكررت الصرخة، تضاعفت حماسته وهلل بسعادة حامدًا المولى على عطيته اللا محدودة، كانت لحظة فارقة في حياته حينما خرجت إليه الممرضة تحمل الرضيعين بين ذراعيها، أدمعت عيناه تأثرًا برويتهما، تناول أحدهما منها بذراع مرتجفة

وهو يخشى أن يصيبه بأذى، أخرج الرضيع الأول تأويمة متثابرة فارتعدت أطرافه،
طمأنته الممرضة قائلة بابتسامة سعيدة:

-متقلقش يا فندم، هو كويس

نظر لها بأعينه الدامعة قائلاً:

ده ابني؟

ردت عليه مبتسمة وهي تقرب الآخر منه:

-أيوه، وده كمان ابنك

انتبه له مردداً بحرج:

-صح

سلط أنظاره على توأمه وهو يتسم بسعادة مضاعفة، تابعت الممرضة مضيئة:

-تفضل

ورغم سهولة الأمر للأمهات للتعامل مع الأطفال الرضع، إلا أن المسألة كانت محيرة
للغاية مع "يزيد" الذي كان مرتبكاً بدرجة ملحوظة، اعتقد أن الأمر بحاجة لتكتيك
عسكري ليتعامل مع الاثنين في نفس الوقت بنفس الكفاءة، نظرت إليه الممرضة
متعجبة منه، لكنها تركته معها، تأمل "يزيد" قطعتي فؤاده بتوتر، حافظ على ثبات
ذراعيه وهو ممسك بهما يضمهما إلى صدره، أخذ يهددهما برفق وهو مستمتع بأول
لحظات له معها، عادت إليه الممرضة لتساعده ريثما تخرج "فرح" من العمليات، ورغم
سعادته التي لا توصف إلا أن عقله لم ينشغل عن زوجته الراقدة بالداخل، انتظر
وضعها بغرفة الإفاقة ليلج إليها حاملاً الرضيعين، أسندهما على الفراش الخاص بهما ثم
اقترب من فراش "فرح" ليطمئن عليها، أحنى رأسه على جبينها يقبله هامساً لها:

- "فرح"

تأوهت بأنين خفيض وهي تحرك رأسها للجانبين، تابع مسحه الرقيق على بشرتها بأصابعه حتى أصبحت واعية بدرجة معقولة، سأله يارهاق وهي تفتح عينيها بصعوبة:
هو حصل إيه؟

أجابها بابتسامة عفوية:

إنتي ولدتي يا حبيبتي، نسيتي ده؟

استوعبت أنها بالمشفى، فابتسمت ساخرة من سذاجتها، تابعت متسائلة بجدية رغم الوهن البادي في نبرتها:

- وولادي فين؟

أجابها بهدوء وهو يشير بعينه نحو فراش الرضيعين:

هنا يا حبيبتي

ابتعدت عنها ليحضرهما إليها، وضع كلاهما على جانبيها لتشم رائحتها، حاولت تحريك رأسها لتقبيلها، ثم تساءلت بضعف:

- هاتسميم إيه؟

جمدت أعينها المتعبة على وجهه تحذره:

- بلاش عتريس وعويس والأسامي العجيبة دي!

هتف ضاحكًا:

- أكيد مش هاعمل كده، ايه رأيك في "فارس" و "فواز"؟

نظرت له مليًا فتابع موضحًا بمكر:

-واحدة بالك من الحروف، "فارس"، و"فواز"!

ردت بابتسامة صغيرة:

-دول ببداوا بحرف ال "ف"

أوماً "يزيد" برأسه مكملًا بتنهيده:

-ايوه، زيك يا حبيبتي، عشان تعرفي غلاوتك عندي

اتسعت ابتسامتها مع جملته الأخيرة رغم الألم الذي يعتري جسدها، حركت ذراعيها لتضم رضيعيها إليها أكثر مستشعرة ملمس وجهيها عليها، أغمضت عينيها مستسلمة لذلك الخدر الجميل الذي امتزج مع سعادتهما بوجودهما ملاصقين لقلبيها.

.....

امتلاّت الغرفة بالبالونات الزرقاء والورود السماوية والتي أحضرتها "شيء" خصيصًا لصديقتها المقربة، لم تتوقف عن حمل الرضيعين وهددهما بسعادة، التفتت إلى "فرح" تهنئتها:

-مبروك يا فروح، يتربوا في عزم إن شاء الله

ردت عليها ببسمة رقيقة وهي تتأمل رضيعيها:

-الله يبارك فيكي

بالطبع أحضرت معها صغيرتها "سلمى" لترى الرضيعين، تساءلت الصغيرة ببراءة:

-ده النونو يا "فلح"؟

أجابتها بخنو وهي تشير إليهما:

-دول اتنين يا لومة، مش واحد

تابعت الصغيرة صائحة بالحاح طفولي:

أنا عاوزة زها يا مامي

التفتت "شيء" نحو زوجها الذي كان واقفاً إلى جوار رفيقه قائلة بجدية ملحوظة:

قولي لبابي يا لومة

ركضت "سلمى" نحو أبيها، جذبتة من بنطاله بكفها الصغير وهي تقول:

بابي هات نونو

هز رأسه بالإيجاب قائلاً بثقة رغم مزاحه:

حاضر، هانزل أجيب ١ في كيس وطلع

مصمصت "شيء" شفيتها متممة بغیظ منه:

يا سم

رد عليها محذراً:

سامعك يا "شيمو"، الرادار لقط الكلمة!

أولته ظهرها مكملة حديثها مع "فرح" قاصدة تجاهله، لم يكثر لها والتفت برأسه نحو

"يزيد" يسأله مبتسماً:

البشوات أساميهن ايه؟

أجابه الأخير بفخر:

- "فارس" و "فواز"

قطب "آدم" جبينه متسائلاً بمزاح:

فوار، طب ليه كده؟ هو الثاني عنده حموضة ومزنوق في باكو؟

رفع "يزيد" حاجبه للأعلى محذراً:

-باقولك اسمه "فواز" فبلاش استظراف!

وضع "آدم" قبضته المتكورة أمام فمه ليتنحج بخشونة وهو يرد:

-احم، معلش يا باشا كان عندي مشكلة في السمع، ودني الشمال مسدودة و..

ثم مد يده لمصافحته متابعاً بنفس المرح اللطيف:

-مبروك وعقبال ما تجيب فرقة بحالها وتشوف واحد فيهم مشير، والتاني على المعاش

لكزه "يزيد" في كتفه بقوة وهو يرد بضيق:

-امشي يا "آدم" بدل ما أدورك مكتب إن مكوتتش أحبسك، وأهوو أريح مراتك منك

فرك رفيقه كتفه قائلاً:

طب يرضيك البت "سلمى" ما أجيبهاش نونو؟ ده كده يحصل أزمة دبلوماسية!

ضحك "يزيد" من طريقته الساخرة من الأمور وهو يهز رأسه بتعجب، فاستمر الأخير في دعاياته الملطفة للأجواء.

.....

بعد مرور عدة أيام، اهتمت "فرح" بإقامة التقليد المتبع عند ميلاد أي طفل أو ما يعرف مجازاً بـ "سبوع المولود"، تحول المنزل إلى ما يشبه "مقلة اللب" من كثرة ما به من أجولة مليئة بالفول السوداني والملبس والحلوى من كافة الأشكال والأحجام، وقطع الشيكولاته، والهدايا الصغيرة التي يتم إرفاقها مع أكياس الفول وغيرها من تلك الأمور، بدت "شيءاء" متحمسة هي الأخرى لمساعدة رفيقتها في إعداد كل ما تحتاجه ليخرج

السبوع بما يليق، انتهت "فرح" من تعبئة بعض العلب وتأكدت من إحكام ربط أنشوطتها، صاحت بنبرة عالية لكنها آمرة وهي تدير رأسها في اتجاه زوجها:

- "يزيد" حط العلب دول على تربيذة السفرة!

حضر إليها ثم انحنى قليلاً ليجمع ما أعدته بذراعيه وهو يرد متسائلاً:

حاجة تانية؟

ابتسمت له قائلة بامتنان:

تسلم يا حبيبي!

غمز لها قائلاً بسعادة وهو يعتدل في وقفته:

أحلى سبوع لأحلى توأم

ردت عليه برومانسية ناعمة:

-ربنا يباركلنا فيك

-ويخليكي ليا يا أم العيال

هرولت الصغيرة "سلمى" نحوه تقطع طريق سيره وهي تهتف ببراءة:

-عمو "يزيد"

وضع ما بيديه بحذر على الطاولة الواسعة، أخفض رأسه نحوها قائلاً:

-أيوه يا لومة

وضعت يدها التي كورتها على فمها متابعة:

عاوزة اشرب

أوماً "يزيد" برأسه قائلاً بحنو كبير:

حاضر، تعالي معايا المطبخ يا لومة هاجيبلك مياه
وثبت في مكانها بمرح وهي تصفق بكلتا يديها ثم تسابقت معه لتصل أولاً إلى المطبخ،
في حين اقترب "آدم" من زوجته مُلقياً عليها طلباته بجدية:

-أنا عاوز شوية فول من أبو قشره، وماتنسوينش في البتاع الأبيض اللي بيلزق بين
السنان ده، أه وزودوا الملابس اللي في الكيس، أنا بلاقي واحدة بس!

نظرت له "شيء" شرّاً، فقد كان الوحيد الذي لا يشارك في المساعدة بأي شيء،
ويمضي وقته في مشاهدة مباريات كرة القدم أو المصارعة الحرة، احتدت نظراتها نحوه
وهي ترد بتحذير غامض:

-امشي يا "آدم" أحسنك!

كتمت "فرح" بصعوبة ضحكها بسبب شكل وجه صديقتها المحتقن غيظاً من تكاسل
زوجها الملحوظ، أضافت بجدية وهي تغمز لها:

-أقولك أنا على حاجة تعملها

سألها باهتمام:

-ليه هي؟

أجابته بابتسامة متسلية:

روح غير للعيال البامبرز بتاعهم

تجهمت تعابير وجهه وهو يرمقها بنظراته الحادة مردداً بعتاب:

ودي تيجي يا مدام "جودة"، ترضيها لي؟!

ثم صمت للحظات ليقول بعدها بدهاء:

ماينفحش حد يطلع على الأسرار العسكرية دي غير قادة الجيوش
تبادلت "فرح" نظرات حائرة مع "شيء" التي لم تفهم هي الأخرى مقصده الغامض،
أوضح لها "آدم" نواياه هامسًا بعثٍ وقد اتسعت ابتسامته الماكرة على الأخير:
«أنا نكلف سيادة المقدم "يزيد" بالمهمة الحرجة دي، وربنا يقدرني على فعل الخير!

__تمت__

الأعمال السابقة للكاتبة منال سالم :

الأعمال الالكترونية:

- دعني أحطم غرورك
- رهان ربحه الأسد
- الفريسة والصيد - الجزء الأول
- خطأ لا يمكن إصلاحه (رفقا بالقوارير)
- فريسة غلبت الصيد - الجزء الثاني
- فراشة أعلى الفرقاطة - الجزء الأول
- دمية لعنها الحب (نوفيلا قصيرة)
- كتاب الحب (نوفيلا قصيرة)
- سيدرا (نوفيلا)
- وجه لا يصدأ أبداً (نوفيلا قصيرة)
- اليوميات الرمضانية (نعمل إيه في أمانى، حتى مطلع الفجر، في بيتنا بطة، خير يعود لك شر يرجعك)
- أربعة شكلوا حياتها (رواية شرقية)
- شهد الأفاعي (رواية شرقية)
- كبرياء رجل شرقي (نوفيلا قصيرة)
- راسين في الحلال
- ذئاب لا تعرف الحب (الجزء الأول)

- ذئاب لا تغفر (الجزء الثاني)
- وانحنت لأجلها الذئاب (الجزء الثالث)
- فتاة الكومبو (نوفيلا قصيرة)
- ميري يتحدى ملكي (يوميات رمضان مشتركة مع ياسمين عادل)
- وبقي منها حطام أنثى (عمل روائي مشترك مع ياسمين عادل)
- دواعي أمنية .. مشددة
- الدكان
- ذو الوشم (قصة قصيرة)
- أطيفاف عابثة (قصة قصيرة)
- قبضة من أثرها (قصة قصيرة)
- المكتوب الأخير (قصة قصيرة)
- وسقطت ورقة التوت (قصة قصيرة)
- وليس لي غيرها حبيبة (قيد الكتابة)
- ديلارا (قصة قصيرة)
- المحترم البربري (قيد الكتابة)

الروايات الورقية:

- كلارا (عمل مشترك مع حنين الحسيني) عن دار إبداع
- ذئاب لا تعرف الحب (الجزء الأول) عن دار إبداع

- ذئاب لا تغفر (الجزء الثاني)
- وانحنت لأجلها الذئاب (الجزء الثالث)